الخطب الجمعة

ح إسماعيل بن محمد القاسم ١٤٣٤هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، إسماعيل بن محمد

الخطب الجامعة . / إسماعيل بن محمد القاسم. - الرياض، ١٤٣٩هـ.

٥٢٨ص ١٧ x ٢٤سم

ردمك:

١ـ الخطب المنبرية ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي

رقم الإيداع:

ردمك:

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

للمراسلة

iimmgg16@gmail.com

الخُطَبُ الجَامِعَة

إسماعيل بن محمد القاسم

عضو الدعوة والإرشاد بوزارة الشؤون الإسلامية

إمامُ وخطيبُ جامعِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بالرِّياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيوم الجمعة يوم عيد المسلمين الأسبوعي؛ وقد شرع الله فيه خطبة تقرب العباد إلى الله، قال ابن القيم ﵀: «ومن تأمل خُطبَ النبي ﷺ وخُطبَ أصحابهِ وَجَدها كفيلةً ببيان الهدى والتوحيد، وذِكرِ صفاتِ الرب جل جلاله، وأصولِ الإيمان الكلية، والدعوةِ إلى الله، وذِكْرِ آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامِه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكْرِه وشكرِه الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمةِ الله وصفاتِه وأسمائِه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعتِه وشكرِه وذِكْرِه ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبُّوه وأحبَّهم».

وقد جمعت المجموعة الأولى من الخطب التي ألقيتُها في جامع خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﵁ بمدينة الرياض، لفترةٍ تزيد على عقد من الزمان. وقد بلغت تسعين (٩٠) خطبة وسميتها «**الخطب الجامعة**» أوجزت فيها ما يحتاج إلى إيجاز، وبينت ما يلزم إلى بيان دون إسهاب.

أسال الله أن ينفع بها المسلمين، وأن يجعلها ذخراً لنا في الآخرة.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إسماعيل بن محمد القاسم
عضو الدعوة والإرشاد بوزارة الشؤون الإسلامية
إمام وخطيب جامع أبي بكر الصديق ﵁ بالرياض

أركان الإسلام

و

أركان الإيمان

أهمية الشهادتين

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

خلق الله الثقلين لعبادته، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لتحقيق ذلك، واهتم القرآن الكريم بهذا الشأن غاية الاهتمام، وبيّن ضررَ عبادةِ غيرِ الله، وأنها سبب الهلاك في الدنيا والخلودِ في نار الآخرة، فغالب سور القرآن الكريم إما صريحة في توحيد الله، وإما متضمنة له، كما في ذكر أحوال الهالكين من الأمم السابقة، كقوم نوح وعاد وثمود، أو أفرادٍ كفرعون وهامان وقارون، وقد كان سبب هلاكهم مخالفتَهم لدعوة رسلهم عليهم السلام.

ويظهر حرص رسل الله عليهم السلام في دعوة أقوامهم لتوحيد الله في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم بقولهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقد أبرز القرآن الكريم ذكرَ حالِ إمام الحنيفية إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في أكثر من سورة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۞ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۞ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۞ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۞ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٩-٧٣].

ونبينا محمد ﷺ دعا قومه لتوحيد الله ثلاثة عشر عاماً قبل هجرته، وبعد هجرته قاتلهم عليها كما قال: «أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» متفق عليه.

وأرسل ﷺ رسله إلى الأقطار بذلك، كما في بعثه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن فقال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» متفق عليه، وعلّم النبي ﷺ صغار الصحابة رضي الله عنهم ذلك، كما في قوله لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما «إذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي.

وفي الشدائد والملمات يتأكد ذلك، ففي غزوة بدر، لحق رجل من المشركين رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن رجلاً يُذكر منه جُرأةٌ ونَجْدة، فردَّه النبي ﷺ وقال: ارجع فلن استعين بمشرك، وعرض عليه ثانية وثالثة، والرسول ﷺ يقول ذلك حتى أسلم، فقَبِله»، وفي غزوة أحد حين رأى موالي يهودٍ لعبدالله بن أُبي بن سلول يريدون مناصرة رسول الله ﷺ فردهم وقال «فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين» رواه مسلم.

قال ابن تيمية رحمه الله في حقيقة التوحيد: «أن تعبد الله وحده، فلا يُدعى إلا هو ولا يُخشى إلا هو، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا تتخذَ الملائكة والنبيين أرباباً فكيف بالأئمة والشيوخ والملوك وغيرهم؟!».

ولأهمية إفراد الله بالعبادة، قد مَثَّل الله سبحانه بالكلمة الطيبة ـ أي

كلمة التوحيد ـ بشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن، ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرةَ الطيبة تثمر الثمر النافع.

وقد رغَّب النبي ﷺ في ثواب من أخلص قلبه وقالبه من أجل تحقيق عبادة الله وحده، فعن عبادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمتهُ ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنةَ حق، والنارَ حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» رواه البخاري.

ولعظم جزاء من حقق التوحيد قولاً وعملاً واعتقاداً، قال النبي ﷺ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشُرُ عليه تسعة وتسعين سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مثل هذا، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتَبتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرِج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب،ماهذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تُظلم قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثَقُلت البطاقة، ولا يثقُلُ مع اسم الله شي» رواه الحاكم.

وتوحيد الله سببٌ في رفع الكروب قال ابن القيم رحمه الله: «ما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ودعوة ذي النون ـ التي ما دعا بها مكروب

إلا فرّج الله كربه ـ بالتوحيد، فلا يُلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها».

وكلمة التوحيد هي سبب لدخول الجنة و**«من كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة»** رواه أبو داود.

وضد ذلك ما حذر الله منه، وهو الشرك، وبيّن عاقبته في الدنيا والآخرة، سُئل النبي ﷺ ـ كما في الصحيحين ـ: **«أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**، وقال في الحديث القدسي: **«من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»** رواه مسلم، وأول وصية وصى بها لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال سبحانه في جزاء من أشرك به: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢] قال ابن كثير رحمه الله: «أي ماله عند الله ناصر، ولا معين، ولا منقذ مما هو فيه».

وأصل ظهور الشرك في الأرض من قوم نوح، فقد أتاهم الشيطان بعد هلاك قوم صالحين فيهم، وزيّن لهم عملهم، فقال: **«انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدَت»** رواه البخاري.

أما بداية شرك العرب فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العرب قبله ـ قبل عمرِو بنِ لحي ـ كانوا على ملة أبيهم إبراهيم على شريعة التوحيد، فتشبه عمرُو بنُ لحيٍّ وكان عظيمَ أهل مكة يومئذ، لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائرُ العرب متشبهين بأهل مكة، لأن فيها بيتَ الله، وفيها الحج، مازالوا معظَّمين من زمن إبراهيم عليه السلام فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه... إلى أن قال:

فكان ما فعله أصلَ الشرك في العرب، أهلَ دين إبراهيم وأصلَ تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهاً فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشركُ بالله ﷻ، وتغييرُ دينِه الحنيف، إلى أن بعث الله رسوله فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام وأقام التوحيد».

وقد ورد ذكر مصير عمرو بن لحي في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال في حديث عائشة رضي الله عنها ـ حين خسفت الشمس ـ: **«ولقد رأيت جهنم يَحْطِم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت، ورأيت فيها عمرَو بنَ لحي وهو الذي سيّب السوائب»** وفي رواية أخرى قال: **«ورأيت عمراً يجر قُصْبه»** أي: أمعائه.

والمشرك بالله تجده خائفاً مرعوباً في ميدان المعارك قال سبحانه: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٥١]، وبيّن الله ضعف من أشرك به بحال بيت العنكبوت ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العَنكبوت: ٤١] قال ابن كثير رحمه الله: «هذا مثلٌ ضربه الله للمشركين في اتخاذهم آلهةً من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه، ووَهَنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم، إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فانه لا يجدي عنه شيئاً».

ولخطورة الشرك بالله، دعا إمامُ الحنيفية خليلُ الرحمن أن يبعدَه الله ويصرفَه عن عبادة الأصنام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وكان من آخر ما قاله نبينا محمد ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: **«لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** متفق عليه.

والشرك بالله، هو أقبح الذنوب، وهو سوء ظن بالله، لأن المشرك قد ساوى المخلوق الناقصَ الضعيفَ بالخالق القويِّ الكاملِ في صفاته جلّ في علاه، فإن النافعَ الضارَّ الباسطَ القابضَ هو الله، ولذا كان من دعاء النبي ﷺ: «**يا حي يا قيوم برحمتك استغيث، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين**» صححه الحاكم، والنبي ﷺ اصطفاه الله بالرسالة ولا ينفع ولا يضر نفسه إلا بمشيئة الله، قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقد أمره الله أن يُخْلِص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فأخلص عبادتك لربك في أقوالك وأفعالك، واحذر من الوقوع في الشرك، فإنه هلاك للعبد في الدنيا والآخرة قال النبي ﷺ: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه**» رواه النسائي.

رزقنا الله اتباع شرعه، واقتفاءَ سنة رسوله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

الشهادة تتضمن شِقين لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالشهادة لله بالألوهية تتضمن الشهادةَ لمحمد ﷺ بالرسالة، ومعنى شهادةِ أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد اللهُ إلا بما شرع.

فطاعته من طاعة الله، قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النِّسَاء: ٨٠]. وأما تصديقه فيما أخبر به، فيجب الإيمان به من أخبار الغيبيات وذكرِ الجنة والنار، ويكون اجتناب ما نهى عنه وزجر بترك المحرمات، قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحَشر: ٧]، أي: وما آتاكم من أمر أو من خبر فخذوه امتثالاً للأمر، وتصديقاً بالخبر، وما نهاكم عنه فانتهوا، أي: يجب عليكم تركُ نهيه والبعدُ عن فعله طاعةً لله ولرسول الله، قال في الحديث الصحيح: «**إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**» وأما عبادة الله سبحانه فلا تكون إلا بما ذكره الله في كتابه وما جاء به رسوله ﷺ، لا نعبد الله بالأهواء والبدع، قال الزهري رحمه الله: «مِنَ الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم».

وقد بعثه الله الى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين، قال سبحانه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وأكمل الله به الدين قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولا يقبل الله ديناً سواه فإن الله ﷻ قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَال: «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ يهودي، ولا نصراني ـ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به إلا كان من أصحاب النار**» رواه مسلم.

وفي الحديث، أتى عمر رضي الله عنه فقال: إنا نسمع أحاديث من يهودٍ تُعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال ﷺ: «**أمُتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي**» رواه أحمد.

ثم اعلموا أن أي عبادة تُؤدَّى لابد لها من تحقق شرطين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله.

رزقنا الله وإياكم الإخلاص في القول والعمل، واقتفاء أثر رسول الله.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

فضل الصلاة

الشريعة الإسلامية مصدرها الوحيان ـ كتابُ الله الكريم، وسنةُ رسول الله الهادي الأمين ﷺ ـ، فهي شريعةٌ تُسعد المسلمَ في الدارين بما يُؤدَى فيهما من الأوامر، ويُنتهى عنهما من النواهي.

وأهم تلك الأركان بعد تحقيق التوحيد شعيرة الصلاة، أمر الله بها فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البيّنَة: ٥].

وهي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، قال النبي ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادةِ أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ بيت الله الحرام**» متفق عليه، وهي الشعيرة الوحيدة التي فُرضت في السماء ليلةَ الإسراء والمعراج، أما بقية الشرائع فقد نزل بها جبريل عليه السلام إلى الأرض.

هي خير الأعمال ففي حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» رواه ابن ماجه.

وقد أمر الله بالمحافظة عليها في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨].

ومدح المحافظين عليها بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩] وقال النبي ﷺ: «**من حافظ عليها كانت له نوراً، وبرهاناً،**

ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبيٍّ بن خلف» رواه أحمد، وفي حديث آخر: «**من حافظ عليها، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة**» رواه النسائي. وقال: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فان صلحت فقد أفلح وأنجَح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**» رواه الترمذي.

ولأهميتها وصىّ بها النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه، فقال: «**الصلاةَ وما ملكت أيمانكم**» رواه أحمد، ولما دخل المِسورُ بنُ مخرمةَ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الليلة التي طعن فيها، قال الصلاة، فقال عمر رضي الله عنه: «نعم، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة» رواه البيهقي.

وهي الفارقة بين المسلم والكافر كما في الحديث «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**» رواه الترمذي.

وقد دعا إبراهيمُ ربَّه أن يجعله مقيمَ الصلاة فقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

فببركة هذا الدعاء كان ابنهُ إسماعيلُ عليه السلام يأمر أهله بالصلاة، ومن أقوال ما تكلم به المسيح عيسى عليه السلام وهو في المهد: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ونبينا محمد ﷺ قال الله له: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والصلاة راحة للأبدان، وسعادة للقلوب، قال النبي ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» رواه النسائي، وكان النبي ﷺ يقول لبلال: «**أقم الصلاة يا بلال، أرحنا بها**» رواه أبو داود، وهي عون للعبد في الشدائد والملمات قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ

﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣]، والنبي ﷺ «إذا حزبه أمر صلَّى» رواه أبو داود، وهي ناهية عن الفحشاء والمنكر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

وهي كفارة للذنوب والمعاصي التي يقترفها العبد في ليله ونهاره، قال النبي ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرات هل يبقى من دَرَنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مَثَل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا» رواه البخاري، وفي حديث آخر «الصلاةُ إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» رواه مسلم.

وهي سببٌ لدخول الجنة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، قال الرجل: والذي نفسي بيده! لا أزيد على هذا، فلما ولَّى، قال النبي ﷺ من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا» متفق عليه.

وهي إيمان، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]، وهي ذكرٌ قال ﷻ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] ـ أي لتذكرني بها ـ، وهي جالبة للرزق قال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢] ـ أي: إذا قمت إلى الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب ـ.

وجعل الله الفلاح لعباده في الدنيا والآخرة بمحافظتهم على صلاتهم مع الخشوع فيها، قال المولى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

والصلاة ـ من العَزْم على أدائها حتى منتهاها ـ فيها فضائلُ وأجورٌ لا تُحصَى، من إسباغ الوضوء، وكثرةِ الخطا، وانتظارِ الصلاة، فهذا رباط تُكفَّر به الذنوبُ وتُرفع به الدرجات، وما خطا خُطوةً إلى المسجد إلا رفعه بها درجة، وحُطَّت عنه خطيئة، «ومن غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نُزلاً في الجنة كلما غدا أو راح» رواه مسلم.

ولمكانتها وعظيم شأنها لم يرخص الله للمجاهدين في سبيله أن يتركوا الصلاة أو يؤخروها عن وقتها، بل شرع لهم صلاةَ الخوف مناسبةً للحال التي هم فيها.

ولا تسقط كذلك عن أهل الأعذار ـ كالمسافر، والمريض ـ بل أمرهم أن يُصلّوها كلٌّ حسب استطاعته، قال عمرانُ بنُ حصينٍ رضي الله عنه: «كانت بي بَواسيرُ، فسألت النبي ﷺ عن الصلاة، فقال: صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه البخاري، قال ابن رجب رحمه الله: «ولو عجز عن ذلك كلِّه أَومأ بطرفه وصلى بنيته، ولم تسقط عنه الصلاة على المشهور».

رزقنا الله حسن أدائها، وتقبلها منا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ....

الخطبة الثانية

أمر الله بأداء الصلاة جماعة، لما فيها من اجتماع القلوب والأبدان، قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وعندما أتى الأعمى للنبي ﷺ ليرخص له الصلاة في البيت قال: «إني ضرير البصر، شاسعُ الدار، ولي قائد لا يلاومني - أي لا يوافقني - فهل لي رخصة أن أصليَ في بيتي؟ قال: تسمع النداء؟ قال: نعم، قال: فأجب، فإني لا أجد لك رخصة» رواه أبو داود، وفي رواية: «قال يا رسول الله: إن المدينة كثيرةُ الهوامِّ والسباعِ، وأنا ضرير البصر، فهل تجد لي من رخصة؟ قال: تسمع حي على الصلاة، حي على الفلاح؟ قال: نعم، فقال: فحيَّ هلا - يعني اجب - ولم يرخص له» رواه النسائي.

وتظهر أهميةُ أدائها في المسجد أن النبي ﷺ بعد هجرته أقام أول صرح للمسلمين قبل أن يبنيَ داره، واهتم النبي ﷺ بها وأمر من استرعاه الله رعيةً أن يأمرهم بأدائها فقال عليه السلام: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» رواه أبو داود.

كما أن أداءها يكون في وقتها الذي وقَّتها الشارعُ الحكيم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] - أي: مؤقتاً -، فتُصلَّى الصلاةُ في وقتها، ومن غلبه النومُ دون تفريط فقد قال النبي ﷺ: «من نام عن صلاة أو نسيها، فليصلها إذا ذكرها» رواه مسلم.

ثم اعلموا أن المحافِظَ على الصلاة، يرجى له الخيرُ دائماً مهما

حدث له من زلات وهفوات، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمحافظ على الصلاة أقربُ إلى الرحمة ممن لم يصلِّها، ولو فعل ما فعل».

نسال الله أن يصلح قلوبنا، وأن ينورها بنور الإيمان.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه ...

❖ ❖ ❖

أهمية أداء الزكاة

جاء الإسلام لإخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، فكان فيه زكاةُ نفوسهم وطهارةُ أموالهم، وسموُّ أخلاقهم، وتهذيبُ طباعهم.

وقد ذكر الله من صفات عباده المؤمنين أنهم للزكاة فاعلون، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، والزكاة هنا إما أن تكون زكاة النفس ـ أي: تطهيرَها من الشرك والمعاصي ـ، وإما أنها زكاةُ الأموال، قال ابن كثير ﷺ: «زكاة المال إنما سميت زكاةً لأنها تُطهّره من الحرام، وتكون سبباً لزيادته، وبركتِه، وكثرةِ نفعه، وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات».

وبزكاة النفس وطهارتها يصير الإنسان زاكياً، يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، قال الله سبحانه: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

والزكاة: اسم لأخذِ شيءٍ مخصوص، من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة.

فتجب في النقدين، و الزروعِ والثمار، وبهيمةِ الأنعام، وعروضِ التجارة، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، ودل على وجوبها الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، فأما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١] وأما السنة: فقول رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على**

خمس، شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والحجِّ، وصومِ رمضان» متفق عليه.

وقد بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن وقال له: «أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم» متفق عليه.

وأجمع المسلمون في جميع العصور على وجوبها، واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعيها، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «لما توفي النبي ﷺ وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً ـ أو عِقالاً ـ كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق» رواه البخاري.

والزكاة من مكارم الأخلاق التي دعا إليها رسول الله ﷺ، قال هرقلُ لأبي سفيانَ: «فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف» متفق عليه.

وقد ورد فضلُ أدائها، وثوابُ فاعلها، وأنها سببٌ لدخول الجنة، قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «اتقوا الله ربكم، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم» رواه الترمذي.

ولأهمية أداء الزكاة: «بايع جَرِيرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ عَلَى إقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والنصحِ لكل مسلم» متفق عليه.

وفي الزكاة فضائلُ، ورحماتٌ، وتكاتف، وترابط، وعطف، وشفقة بين الغني والفقير، وفي وصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم**» متفق عليه، فالفقير له حقٌ من مال الغني يؤديه حق أدائه طيبةً بذلك نفسه، طالبةً الثواب، وخائفةً من العقاب.

على صاحب المال معرفةَ كيفيةِ زكاةِ ماله، كتحقيق بلوغ النصاب، ـ وهو القدر الذي رتب الشارع وجوب الزكاة على بلوغه ـ وأن يكون هذا المال مملوكاً ملكاً تاماً، ومضى عليه الحول، ولا تجب الزكاة في أقلَّ من الحول، سوى الزرع فإنه تجب فيه الزكاة يوم حصاده إذا بلغ النصاب. قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] لذا عليه أن يبادر في أداء الزكاة متى حصل ذلك دون تأخير.

ومن ترك أداءَ زكاة ماله وفرَّط في إخراجها فقد ورد الوعيد في تاركها، قال رسول الله ﷺ: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّلَ له ماله يومُ القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان يُطَوَّقُهُ يوم القيامة، ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ** ـ يعني بشدقيه ـ **ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الْآيَةَ» [آل عِمرَان: ١٨٠] رواه البخاري، والمعنى: أن الله يُصيِّر له ثعبانٌ لا شَعْر على رأسه لكثرة سُمِّه، وله نابان يَخْرجان من فمه، وهو أوحش ما يكون في الحيات وأخبثُه، ويكون في عنقه كالطوق، ثم يأخذ بشدقيه، وهو جانبا الفم، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك.

ويجوز لصاحب المال تقديمُ الزكاة متى وُجد سببها، لحديث علي رضي الله عنه: «**أن العباس رضي الله عنه سأل رسولَ الله ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تَحِل، فرخص له في ذلك**» رواه أبو داود، كأن يكون في بلاد المسلمين حاجةٌ وفاقةٌ تستلزم ذلك.

طهر الله قلوبنا، وزكاها فهو خير من زكاها.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثانية

يُستحب للإنسان أن يَلي تفرقة الزكاة بنفسه، ليكون على يقين من وصولها إلى مستحقها، وأن يتحرى أهلَ الحاجةِ المستحقين لها، وهم أهل الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]، كما أنه يجوز أن يقتصر على صنف واحد من الأصناف الثمانية، ويجوز أن يعطيَها شخصاً واحداً ليسد حاجته بها، قال النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن كان المال كثيراً يَحْتَمِل الأصناف قسَّمه عليهم، وإن كان قليلاً جاز وضعه في صنف واحد»، وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتحرى موضع الحاجة منهم، ويقدمُ الأَولى فالأَولى».

ولا يجوز صرف الزكاة إلى غير مَن ذكر الله تعالى ـ من بناء المساجد، والقناطرِ، وإصلاحِ الطرقات، وغيرِها ـ.

كما على المزكي أن لا يصرف زكاة ماله للوالدين وإن علوا، ولا للولد وان سَفُل، لأن النفقة عليهم واجبة، بخلاف سائر الأقارب، فمن لا يورث منهم يجوز دفع الزكاة إليه.

ولا تُعطى الزكاة لبني هاشم لأنها لا تحل لهم الصدقةُ المفروضة، قال النبي ﷺ: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس**» أخرجه مسلم.

وإذا أعطى من يظنه فقيراً فبان غنياً أجزأت، قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته**

فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غني، فأُتى فقيل له: أما صدقتك فقد قُبلت، لعل الغني أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله» متفق عليه.

وعلى المُزكي أن يؤديَ زكاة ماله في بلده، ولا ينقلها إلى بلد آخر، لوصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «أَخْبِرهم أن عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم» متفق عليه، وهذا يختص بفقراء بلدهم، ولما بعث معاذ الصدقة من اليمن إلى عمرَ رضي الله عنه أنكر عليه ذلك، وقال: لم أبعثْك جابياً ولا آخذ جزية، ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فتردَّ في فقرائهم، فقال معاذ: أنا ما بعثت إليك بشيء وأنا أَجِد أحداً يأخذه مني، وأيضاً عمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله ردَّ زكاةً أُتي بها من خراسان إلى الشام.

والصحيح من أقوال اهل العلم: جواز نقلها، إذا كان في نقلها مصلحة شرعية ـ كشدة فقر، وقرابةٍ لمن تُدفع إليه الزكاة ـ.

وإذا تولى الرجل إخراج زكاته، فالمستحب أن يبدأ بأقاربه الذين يجوز دفع الزكاة إليهم، سألَتْ زينبُ رضي الله عنها النبيَّ ﷺ: «أيجزي عني من الصدقة النفقة على زوجي؟ فقال النبي ﷺ: لها أجران: أجر الصدقة، وأجر القرابة» رواه البخاري، وفي لفظٍ: «يَسَعُني أن أضع صدقتي في زوجي وبني أخي لي أيتام؟ فقال: نعم، لها أجران: أجر الصدقة، وأجر القرابة» رواه النسائي، ولما تصدق أبو طلحة بحائطه قال النبي ﷺ: «اجعلْه في قرابتك» رواه أبو داود.

وفقنا الله للبذل والعطاء، ورزقنا الخُلْفَ والنماء.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه

❖ ❖ ❖

فضل الصيام

خلق الله الليل والنهار، وفاضل بين الشهور والليالي والأيام، وخص شهر رمضان بالفضائل والنفحات، ومزيد الخيرات والبركات، فهو شهر الرحمات وتكفير السيئات، وأداء القربات وفعل الطاعات، وهو سببٌ لدخول الجنات، قال رسول الله ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله، وأَقَام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة...**» الحديث رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ يوم حجة الوداع: «**اعبدوا ربكم، و صلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم**»رواه الترمذي.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصيام: «إنه لِجامُ المتقين، وجُنَّة المحاربين، ورياضةُ الأبرار والمقربين».

وقد افترضه الله على هذه الأمة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣-١٨٤] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة، وآمراً لهم بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع، بنيةٍ خالصة لله عَزَّ وَجَلَّ، لما فيه من زكاة النفس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم، فقد

أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة، وليجتهد هؤلاء في أداء هذا الفرض أكمل مما فعله أولئك».

والصوم سبب لمغفرة الذنوب والآثام، قال النبي ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليله القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه، قال ابن حجر ؒ: «المراد بالإيمان: الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب: طلب الثواب من الله».

وقد أعد الله ثواباً جزيلاً للصائمين، قال النبي ﷺ: «**قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به**» متفق عليه، قال ابن القيم ؒ: «وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوباتِ النفس وتلذذاتِها، إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سِرٌّ بين العبد وربه، لا يطلع عليه سواه».

ومن كرم الله للصائمين، أن في الجنة باباً لا يدخله إلا هُم، فضلاً منه سبحانه، قال النبي ﷺ: «**إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يومَ القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرُهم، يُقال أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد**» رواه مسلم، والريان: صيغةُ مبالغة من الرِّيِّ، وهو نقيض العطش.

كما أن خلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك، قال النبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده ! لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» قال البغوي ؒ: «معناه الثناء على الصائم، والرضى بفعله»، وقيل: لكثرة ثوابه وأجره.

وللصائم فرحتان يفرحهما: «**إذا افطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**» رواه البخاري، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «معناه: فَرَحٌ بزوال جوعه وعطشه، حيث أُبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي، وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه، وخاتمةُ عبادته، وتخفيفٌ من ربه، ومعونةٌ على مستقبل صومه»، والفرحة الأخرى: «**إذا لقى ربه فرح بصومه**»، أي: بجزائه وثوابه، وقيل: هو السرور بقبول صومه وتَرتُّبِ الجزاءِ الوافر عليه.

وكما أنه شهرُ الصيام، فكذلك هو شهر القران، قال الله سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] وقد أنزله الله في ليلة القدر جملةً إلى السماء الدنيا، كما ثبت عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وقيل: ابتداءُ نزولِه فيها.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميع الشهور من حيث الزمن سواء، ولكن بمناسبة بدء نزول القرآن في هذا الشهر جعله الله محلاً للصوم، وأكرم فيه الأمةَ كلَّها، بل العالمَ كلَّه، فتتزين فيه الجنة، وتُصفَّد فيه مردة الشياطين، وتتضاعف فيه الأعمال».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يمدح تعالى شهرَ الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيلُ لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**».

وفي رمضان ليلةُ القدر، اختصها تعالى عن بقية ليالي الشهر بعظيم الأجر، وجعلها الله تعالى خيراً من ألف شهر.

وهو شهر القيام ولذة مناجاة الله وطلبِ مرضاته، قال النبي ﷺ: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة» رواه أصحاب السنن، فحافظ على إتمام قيامك مع إمامك حتى تنال عظيم الأجر.

وهو شهر البذل والعطاء، قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ أجودَ الناس وأجودُ ما يكون في رمضان» رواه البخاري، قال العَيني رحمه الله: «وأما كون أكثرية جُودِه في شهر رمضان، فلأنه شهر عظيم، وفيه الصوم، وفيه ليلة القدر، والصوم أشرف العبادات». فليتلمس الصائم إخوانه المحتاجين والأرامل والمعوزين، وليُفرحهم ببذل، ويؤنسهم بعطاء، ومن أهم ما يكون في هذا الشهر الكريم إطعام الطعام عموماً، وتفطير الصائمين خصوصاً، فقد ورد الفضل في ذلك، قال النبي ﷺ: «من فطَّر صائماً، كان له مثل أجره، غيرَ أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» رواه الترمذي.

ومن فضل الله على الصائم أن له دعوةً لا تُرد، قال النبي ﷺ: «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» رواه ابن ماجه. وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر» رواه أحمد.

والعمرة في رمضان أجرها مضاعف، قال النبي ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة» رواه مسلم.

وليحرص المسلم على أَكْلة السَّحر ففيها بركةٌ وتعين على أداء العبادات في نهار رمضان، قال النبي ﷺ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بركة» متفق عليه، قال ابن حجر رحمه الله: «المراد بالبركة: الأجر والثواب، أو البركةُ لكونه يقوِّي على الصوم، ويُنشِّط له، ويخفف المشقة فيه، وقيل البركة: ما يُتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السَّحر، والأَولى: أن

البركة في السحور تحصل بجهات متعددة، وهي اتباع السنة، ومخالفةُ أهل الكتاب، والتقوّي به على العبادة، والزيادةُ في النشاط، ومدافعةُ سوء الخُلُق الذي يثيره الجوع، والتسببُ بالصدقة على مَنْ يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وتداركُ نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام»؛ وهي مخالفة لأهل الكتاب فإن رسول الله ﷺ قال: «**إن فصل بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلةُ السحر**» رواه مسلم.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

على المسلم استغلالُ أيامِ شهر رمضان ولياليه بكل ما يكون ذخراً له في آخرته، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان من هديه في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل يدارسه القرانَ في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجودَ بالخير من الريح المرسلة، وكان أجودَ الناس، وأجودُ ما يكون في رمضان، يُكْثِر فيه من الصدقة، والإحسان، وتلاوة القران، والصلاة، والذكر، والاعتكاف».

وحريٌّ بمن أدرك رمضان أن يحمد الله على بلوغه، وأن يدعوَ الله الإعانة على صيامه وقيامه إيماناً واحتساباً، وأن يوفَّقَ لقيام ليلة القدر، ويغتنمَ هذه النفحات فيزداد من القربات، ويبتعدَ عن الخوارم والملهيات، ويحفظَ سمعه وبصره عما يغضب مولاه، قال النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخاري، وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل فطرَك وصومَك سواء».

وصَعِد النبي ﷺ المنبر ذات يوم، فلما رَقِى عتبة قال: آمين، ثم رَقِى الأخرى فقال: آمين، ثم رَقِى ثالثة فقال: آمين، ثم قال: «**أتاني جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال يا محمد! مَنْ أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، فقلت: آمين... هل صحيح**». رواه ابن حبان.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يوفقنا لصيامه وقيامه إيماناً واحتساباً.

صلوا وسلموا...

فضل العشر الأواخر من رمضان

اختص شهر رمضان بأنه سيد الشهور، بما فضّله الله من الفضائل والمكرمات، فهو شهر الجودِ والعطاء، والبذلِ والسخاء.

أكرم الله هذه الأمة بمبعث خير الورى ﷺ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

وأكرمهم بنزول القرآن، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] ومنحهم ليلةً فضلها كبير، وخيرها عميم، قال سبحانه في فضلها ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القَدر: ٣] وقال النبي ﷺ: **«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»** رواه البخاري.

وجاد عليهم بالخير الوفير في أيام شهرهم ولياليه، وساعاته ولحظاته، لذا شمّر النبي ﷺ لاستغلاله بالطاعات، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ أجودَ الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كلَّ ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة» متفق عليه، فجودُه عليه السلام يزيد ويتضاعف فهو أجود ما يكون في رمضان، ولك أن تعلم أن جود النبي ﷺ في غير رمضان لا يوصف فهو ﷺ لا يرد سائلاً، قال أنس: «ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين

جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة» رواه مسلم.

رمضانُ شهرٌ معدودُ الأيام والليالي، وهو يسير سيراً سريعاً، دون إمهال لأحد، صحائفه تطوى بالأعمال خيرِها وشرِها، وتنشر في يوم الحساب والجزاء، فاز في رمضان من عَمَرَه بالصالحات، محتسباً الأجر والثواب، وخسر فيه من ضيَّعه بالملهيات، فاجتهدوا في هذا الشهر تسعدوا في باقي الدهر، واجتهدوا في الأيام القليلة تفوزوا بالنعم الجزيلة.

ومن كان مُقصّراً في أوله فليضاعف عمله في آخره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات»، وأَحْسِن فيما بقي يغفر لك ما مضى.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

أيام وليالي شهركم المباركِ آذنت بالانصراف والترحال، وها هي أيامه الفاضلة أقبلت ضيفاً كريماً وزائراً عزيزاً، ومن كان باذلاً فليضاعف، ومن كان عاملاً فليجتهد، ومن كان مُقصّراً فليتدارك.

في العشر الأواخر من رمضان، يجتهد رسول الله ﷺ في أداء الطاعات، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره» رواه مسلم، لما فيها من فضل كبير ومنة عظمى ألا وهي ليلة القدر، قال سبحانه ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣]، وكانت السِمَة البارزة لعمله فيها عليه السلام كما وصفتها عائشة رضي الله عنها «إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجَدَّ، وشد المئزر» رواه مسلم، وهذا فيه دليلٌ على أن للعشر الأواخر من رمضان مزيةً على غيرها بمزيد الطاعة والعبادة ـ من صلاة، وذكر، وتلاوة قرآن، واعتكاف ـ، قال النووي رحمه الله: في معنى «وشَدَّ المئزر» «قيل: هو الاجتهاد في العبادات زيادةً على عادته ﷺ في غيره، وقيل: هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات، وقولها «أحيا الليل» أي: استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها، وقولها «وأيقظ أهله» أي: أيقظهم للصلاة في الليل وجدّ في العبادة زيادة على العادة».

كما أنه ﷺ يرتقب ليلة القدر بأنواع العبادات، ويتحراها في ليالي العشر الأواخر، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» متفق عليه، وعندهما أيضاً «**فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر**».

وكان من حرصه عليها أنه كان يتفرغ لها معتكفاً في المسجد، حرصاً منه على إدراكها، فعن عائشة ﵂ «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده» متفق عليه قال الإمام العيني ﵀: «كان النبي يجتهد في العشر لمعنيين، أحدهما: لرجاء ليلة القدر، والثاني: لأنه آخر العمل، وينبغي أن يحرص على تجويد الخاتمة».

وأوصى النبي ﷺ من يدركها بالدعاء المأثور، قالت عائشة ﵂: «قلت: يا رسول الله! أرأيت إن علمتُ أيَّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها؟ قال: **قولي: اللهم انك عفو، تحب العفو فاعف عني**» رواه الترمذي.

فاللهم وفقنا لقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً.

صلوا وسلموا..

عباد الله إن الله يأمر بالعدل....

❖ ❖ ❖

فضل أيام العشر من ذي الحجة

امتن الله على أمة الإسلام بمزيدٍ من الفضائل والنفحات، والبركات والخيرات، في مواسمَ تتجدد، وأزمنةٍ تتعاقب، تُرفع بها درجاتُهم وتُحط عنهم خطاياهم، يُقبِل المسلم فيها على ربه، راجياً ثوابه، خائفاً من عقابه.

وفي أيام عشر ذي الحجة أعمالٌ صالحةٌ متتابعة، قولية، وفعلية، ومالية، أو هي مجتمعة. فالطاعة فيها من تعظيم شعائر الله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحَجّ: ٣٢] العمل فيها مُعظَّم، والأجر فيها مُضاعف ـ من الصلاة، والتكبير، والصدقة، والصيام، والحج ـ وكلُّ عبادة فاضلة فيها يزيد فضلها.

وقد أقسم الله بهذه الأيام لأهميتها، وعَظَّم شأنها، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١-٤]، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إنهن ليالي العشر الأُوَل من ذي الحجة»، فأيامها نفيسة ثمينة، هي أفضل أيام العام على الإطلاق، كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال: **«ما العمل في أيام أفضل منها في هذه، قالوا: ولا الجهادُ، قال: ولا الجهادُ إلا رجلٌ خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»** رواه البخاري. وعند البزار من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«أفضل أيام الدنيا أيام العشر»**، وذكر ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ السببَ في امتياز عشر ذي الحجة فقال: «والذي يظهر أن ذلك لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يتأتّى ذلك

في غيره»، وقال ابن رجب ﵀ ـ ذاكراً فضل هذه الأيام المباركات ـ: «لمّا كان الله سبحانه قد وضع في نفوس المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادراً على مشاهدته في كل عام، فَرَض على المستطيع الحجَّ مرةً واحدة في عُمُره، وجعل موسمَ العشرِ مشتَركاً بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج في عام، قَدَر في العشر على عَمَلٍ يعملُه في بيته يكون أفضلَ من الجهاد الذي هو أفضلُ من الحج».

ولأهمية أيامها ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ ـ مفاضلةً بينها وبين أيام شهر رمضان ـ فقال: «أيام عشر ذي الحجة أفضلُ من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضلُ من ليالي عشر ذي الحجة».

لذا حرص السلف على استغلالها، والقيامِ بالطاعة فيها خيرَ قيام، فقد كان سعيد بن جبير ﵀ إذا دخلت أيامُ العشر اجتهد اجتهاداً شديداً حتى ما يكاد يُقدر عليه.

ومن عزم على أداء فريضة الحج، فليخلص عمله لله، قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦]، وعليه أن يعرفَ أداءَ الحج حتى يؤديَه بتمامه، ولا يقع في المحظور، وأن يتحمل مشاقَّ السفر، وجُهدَ أداءِ النسك، وأن يختار رفقةً تعينه على أداء الفريضة.

ويحرص المسلم في هذه الأيام المباركات على أداء الفرائض وفعل النوافل ـ من صيام، وصدقة، ودعاء، وتلاوة لكلام الله، وذكر لله ـ قال سبحانه ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ [الحَج: ٢٨]، فالذكر فيها أفضل من غيرها ليُسْرِه على النفس، قال النبي ﷺ: «**ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل، والتكبير، والتحميد**» رواه أحمد.

وقد كان ابن عمر وأبو هريرة ﷺ يخرجان إلى السوق في أيام العشر فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما.

والتكبير في هذه الأيام، منها ما هو مطلق وهو: من بداية دخول العشر إلى فجر يوم عرفة، والمقيد: أدبار الصلوات المكتوبة من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق لغير الحاج.

وفقنا الله لاستغلال هذه الأيام المباركات بأداء الصالحات، وتقبلها منا ومنكم.

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

في يوم عرفة فَضلٌ وأجرٌ للحاج وغيره، فهو من أفضلِ أيام العام، وصومه لغير الحاج فضل وكرم من الله، قال النبي ﷺ: «احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده» رواه مسلم، وفي عرفة خيرُ الدعاء وأفضله، وثوابٌ جزيل، ودعاء حريٌّ بالإجابة، قال ابن عبد البر رحمه الله: «دعاءُ يومِ عرفة مجابٌ كلُّه في الأغلب». قال النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» رواه الترمذي، ففي الحديث: إشارة إلى ذكر الله في ذلك اليوم، ولعله توطئةٌ لتلك الأدعية لما يستحب من الثناء على الله قبل الدعاء، وبعد فجرِ يوم عرفة يَبدأ التكبير المقيد أدبار الصلوات إلى عصر آخر أيام التشريق، وفي يوم النحر وهو يوم العيد، يؤدي الحاجُّ أكثَر أعمالِ الحج من طوافٍ ورمي وحلق.

ويستحب لغير الحاج أن يغتسلَ ويتطيبَ ويلبسَ الجديد، ويبكْرَ لمصلى العيد، ويستمعَ للخطبة، ويخالفَ بين الطريق. ومَنْ نوى أن يضحيَ تأسياً برسول الله ﷺ واتباعاً لأبينا إبراهيم فداءً عن ابنه إسماعيل عليهما السلام فليُمْسك عن شَعْره وأظفاره ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحَجّ: ٣٧]، وقد ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين قال أنس رضي الله عنه: «فرأيته واضعاً قدمه على صفاحهما، يسمي، ويكبر، فذبحهما بيده» متفق عليه.

صلوا وسلموا ....

فضل الحج

في أداء الحج تلبية لنداء الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحَجّ: ٢٧]، قال ابن كثير رحمه الله: «أي: ناد في الناس بالحج، داعياً لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه، فذُكِر أنه قال: يا رب: وكيف أُبلّغ الناس وصوتي لا يَنْفُذهم؟ فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقيل: على الحِجْر، وقيل: على الصفا، وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس! إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كلُّ شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، لبيك اللهم لبيك، وهذا مضمون ما روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، وغيرِ واحد من السلف».

وقد رغَّب النبي ﷺ في فضله فقال: **«من حج، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»** متفق عليه. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ: **«سُئل أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»** والحج المبرور كما في الصحيحين **«ليس له جزاء إلا الجنة»**، قال الإمام النووي رحمه الله في الحج المبرور: «أي لا يخالطه إثم، مأخوذ من البر، وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول، ومن علامة القبول: أن يرجع خيراً مما كان، ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الذي لا رياء فيه،

وقيل: الذي لا يعقبه معصية، وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه بل لا بد أن يدخل الجنة، والله أعلم».

وعلى مَن عزم على أداء فريضة الحج أن يُخْلص العمل فيه لله ﷻ، فقد أمر الله به في قوله ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦]، ويقتفي أثر رسول الله في أداء النسك دون ابتداع، عملاً بقوله ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسككم**» رواه مسلم، وأن يكون زاده وراحلته حلالاً، وعليه أن يعرف أركانَه وواجباتِه، فهو نسك دقيق في الفعل والزمن والمكان، ولذا قال ابن تيمية رحمه الله: «عِلْمُ المناسك أدقُّ ما في العبادات».

ولذا تعاقب أئمة الحديث شرحاً وتبياناً لصفة حجة رسول الله ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه الذي جمع أحكاماً وفوائدَ كثيرةً لأحكامِ الحج وغيرِه.

وعلى من يسر الله له الحج أن يتحمل مشاق السفر، وجُهدَ أداءِ النسك دون تبرُّم وتشكي، فإن النبي ﷺ قال عنه كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**قلت: يا رسول الله! على النساء جهاد؟ قال: نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة**» رواه ابن ماجه.

وأن يختار رفقةً صالحة تُذكِّره إذا نسي، وتُعلِّمه إذا جهل، وأن يكون الرِّفْقُ مصاحباً له مع إخوانه الحجيج في أداء النسك كلِّه، وأن يحرص الحاج على استغلال أيام الحج بالطاعات، وأن يخص منها وقوفه في عرفة، فإن النبي ﷺ قال: «**خير الدعاء يوم عرفة**» رواه الترمذي، ويكثر فيها من التهليل لقوله ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» رواه الترمذي، في مشعر عرفات «**ما من يوم**

أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟» رواه مسلم. وأن يؤدي أعمالَ يوم النحر من طواف ورمي وحلق، وأن يجعل لسانه رطباً من ذكر الله قال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣].

وأن يدرك تحقيقه للتوحيد لله سبحانه وتعالى في هذا النسك، بدايةً من التلبية، وانتهاءً بالطواف.

بارك الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

من لم يَكْتب الله له أداءَ الحج فإن النبي ﷺ رغَّب في صيام يوم عرفة فقال: «أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنةَ التي بعده» رواه مسلم، وفي صبيحة العيد يستحب أن يغتسل، ويتطيبَ، ويلبسَ الجديد، ويُبكِّرَ لمصلى العيد، ويستمعَ للخطبة، وأن يخالف بين الطريق، وأن يذبح أضحيته تأسياً برسول الله ﷺ كما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «ضحى النبي ﷺ بكبشين، أملحين، أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى، وكبر، ووضع رجله على صفاحهما».

وعلى الحاج وغيرِ الحاج أن يَعْمر وقته بطاعة الله في أيام التشريق، عملاً بقول النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله» رواه مسلم، فهي أيام ذكر وأكل وشرب، بلا إسراف، ولا تبذير.

وفي أيام التشريق يُشرع ذكرُ الله المقيدُ بأدبار الصلوات، من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق.

ولا يكن انتهاءُ موسم الحج هو انتهاءُ العبادةُ، بل إن الله عز وجل قال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٠٠] قال ابن جرير رحمه الله: «يعني بذلك جل ثناؤه: فإذا قَضيتم مناسككم أيها المؤمنون، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا، وارغبوا إليه من خير الدنيا والآخرة بابتهالٍ، وخضوع، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصًا ولطلب مرضاته، وقولوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠١]، ولا تكونوا كمن اشترى الحياةَ الدنيا بالآخرة، فكانت أعمالهم للدنيا وزينتها، فلا يسألون ربهم

إلا متاعها، ولا حظَّ لهم في ثواب الله، ولا نصيبَ لهم في جناته وكريمِ ما أعدَّ لأوليائه.

وخص الله ذكر الآباء لأن من عادة العرب إذا قضت حجَّها تقف عند الجمرة، فتُفاخِر بالآباء، وتذكر أيامَ أسلافِها من بسالة وكرم، وغير ذلك، حتى إن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان عظيمَ القبة، عظيمَ الجفنة، كثيرَ المال، فأعطني مثلَ ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه، فنزلت الآية لِيُلزموا أنفسهم ذكر الله أكثرَ من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية.

تقبل الله من الحجاج حجهم، وغفر الله ذنوبنا، وتجاوز عنا وعن المسلمين.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

أركان الإيمان

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهي أهم ما في الشريعة التي أتى بها جبريل عليه السلام لنبينا ﷺ حين أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ، ووضع كفيه على فخذي النبي ﷺ، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة وأماراتها، ثم قال في آخر الحديث «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**». رواه مسلم.

فأركان الإيمان تُعنى بالأمور الباطنة التي عليها اعتقاد القلب، بخلاف أركان الإسلام التي تعنى بالأمور الظاهرة.

والإيمان في اللغة هو التصديق، أو التصديق الجازم، وفي الشرع: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل الجوارح والأركان. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو ستة أركان ذكرها الله في كتابه، قال تعالى ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]، ودليل القدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: ٤٩]، ومن السنة قال النبي ﷺ «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» رواه مسلم، فلا يصح الإيمان إلا بهذه الأركان الستة.

أولاها : الإيمان بالله، وهو أعظمُ أركان الإيمان وأساسُه، وما بعده من الأركان مندرج في هذا الركن، وهو أصلُ الأصول، وهو يشمل الإيمان بربوبية الله وألوهيته، لا شريك له في ملكه ووحدانيته في

العبادة، وله سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلا، فهو ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١] وهو سبحانه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، فبالإيمان بذلك يجعل المرءَ يُخلص في عبادته لله ﷻ، لأنه المستحق لها وحده دون ما سواه، وأن كل ما سواه لا يستحق شيئا من العبادة، فبالإيمان بالله يحب المؤمن ربَّه ويعظمُه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرجو إلا هو، ولا يخاف إلا منه، ولا يعلق قلبه بأي عبادة إلا به سبحانه ولا يصرفها لغيره.

ثاني أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة، بأن الله خلقهم من نور، وهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فنؤمن بذواتهم، وصفاتهم، ووجودهم، وأعمالهم إجمالاً فيما علمناه إجمالاً، وتفصيلاً فيما علمناه تفصيلاً، وما علمنا من أسمائهم وما لم نعلم، كمَلك الموت وخازن النار مالكٍ، كما في مناداة أهل النار له ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزّخرُف: ٧٧]، وكجبريلَ وميكائيلَ واسرافيلَ، وقد كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يفتتح صلاته بدعواتٍ منها «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل**» رواه أبو داود، وهؤلاء الثلاثة هم أفضل الملائكة.

ونؤمن بما أوكلهم الله من أعمال، فجبريلُ ﵇ موكَلٌ بتبليغ الوحي، وميكائيلُ موكلٌ بالقطر، وإسرافيلُ موكلٌ بالنفخ في الصور، وملائكةٌ موكلة بحمل العرش، وملائكةٌ موكلة بالأجنّة، وملائكة موكلة بكتابة أعمال بني آدم، وملائكة موكلة بحفظ بني آدم، قال تعالى ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرّعد: ١١]، ومنهم موكل بقبض الأرواح، ومنهم ملائكة تحضر الجمعة وتكتب الأول فالأول

وتستمع الذكر، قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكةٌ يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر، ومَثل الْمُهَجِّرِ كمثل الذي يُهدي البدنة، ثم كالذي يُهدي بقرة، ثم كالذي يُهدي الكبش، ثم كالذي يُهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدى البيضة» متفق عليه.

وبيّن النبي ﷺ عظم خَلق جبريل عليه السلام حين رآه في صورته: «له ستمائة جناح» متفق عليه.

والركن الثالث: الإيمان بالكتب، فتؤمن إيماناً جازماً بأن الله أنزلها على رسله عليهم السلام، فما من رسول إلا معه كتاب، قال سبحانه ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحَديد: ٢٥] ففي هذه الكتب الهدى والنور، ومن الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن الكريم. فتؤمن إيماناً عاماً بأن التوراة نزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، والزبور على داود عليه السلام، ونؤمن إيماناً خاصاً بالقران الكريم، ولا نعمل إلا بالقران الكريم فبه نُسخت الكتب السابقة، قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: ٤٨].

وفي إنزال الكتب رحمةٌ من الله تعالى بعباده، فقد أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به، وشرَع فيه لكل أمة ما يناسبهم، قال الله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المَائدة: ٤٨].

والإيمان بالرسل: أصل من أصول الإيمان، فهم صفوة الخلق، اختارهم الله لرسالاته وتبليغ شرعه، فقاموا بالرسالة حق القيام، وصبروا على ما نالهم منها، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فنؤمن بأسماء مَنْ عَلِمنا منهم، و من لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً،

قال تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غَافِر: ٧٨]، والحكمة من إرسال الرسل ﷺ دعوة أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهيُّ عن عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النَّحل: ٣٦]، وكل نبي بُعث إلى قومه خاصة إلا نبيَّنا محمداً ﷺ بُعث إلى الناس كافة، قال سبحانه ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفُرقان: ١]، ومما فُضِّل به النبي ﷺ على الأنبياء ﷺ بأنه «**أرسل إلى الخلق كافة**» رواه مسلم، فنعمل بشريعته، ونهتدي بهديه، قال النبي ﷺ في الحج «**لتأخذوا مناسككم**» رواه مسلم، وقال ﷺ في الصلاة «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» رواه البخاري، وفي الوضوء قال النبي ﷺ «**من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس، غفر له ما تقدم من ذنبه**» رواه البخاري.

والركن الخامس من الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وهو يوم القيامة، وسمي آخِراً، لأنه آخِرُ مراحل الإنسان بعدما كان في بطن أمه، ثم الحياة الدنيا، ثم دار البرزخ، ولأهميته فالله ﷻ يقرن الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التّوبَة: ١٨]، وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [الطّلَاق: ٢]، فيؤمن العبد بأن هناك يوماً يعود الناس فيه لربهم، وأن الله يبعثهم من قبورهم بعد النفخة الثانية في الصور، فيقوم الناس لرب العالمين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦] يبعثهم الله إليه حفاة عراة غرلاً، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٤].

فيؤمن بالبعث والجزاء، وأن الله في ذلك اليوم يجازي المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، قال تعالى ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ

﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزُّمَر: ٧٠]، ويؤمن أن بعد هذا اليوم داراً إما الجنة وإما النار، ويؤمن أيضاً ما يلحق باليوم الآخر من أحوال يوم القيامة من فتنة القبر فيعذب الله الكافر والمنافق، وينعم المؤمن، ويؤمن بما بعده من العرض، والنشور، والحوض، والميزان، واخذ الصحف، وعبور الصراط، فبالإيمان بذلك يرغب العبد في فعل الطاعة رجاء ثواب ذلك اليوم، و يرهب عن فعل المعصية خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

والإيمان بالقدر خيره وشره: أصل من أصول الإيمان، فيؤمن بأن كل شيء يحدث في هذا الكون قد سبق به قدر الله، قال سبحانه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: ٤٩]، وأن الله سبحانه عالم بكل شي قبل أن يخلق الخلائق، قال سبحانه ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَجّ: ٧٠].

ويؤمن المرء بأن الله كتب جميع أحوال العباد من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال في اللوح المحفوظ، قال النبي ﷺ «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» رواه أبو داود، ويؤمن أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما من حركة ولا سكون في السموات والأرض إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأن الله أوجد جميع الخلق، وأن ما في الكون بتقديره وإيجاده قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزُّمَر: ٦٢]، وقال ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفُرقان: ٢] فيؤمن أنما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصبه.

ولا يصح إيمان المرء إلا بالإيمان بالقضاء والقدر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من وحّد الله وكذب بالقدر، فقد نقض تكذيبه توحيده».

فالله قدر مقادير الخلائق بما يلائمهم من أمور دينهم ودنياهم، من الخير والشر، والصحة والمرض، والغنى والفقر.

فما قُدّر للعبد فهو الخير له، لذا عليه الرضا والتسليم، قال رسول الله ﷺ «**عجباً لأمر المؤمن إن أمْرَه كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له**» رواه مسلم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

أركان الإيمان الستة لا تتجزأ، فلا يصح إيمان المرء إلا بعد تحقيقها كاملة، دون الإخلال بواحد منها، فإذا حقق أركانها فإن هناك ركنَ الإحسان، كما عرَّفه النبي ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» متفق عليه.

فالإحسان مأخوذ من الحسن وهو: الجودة وإتقان العمل، وهو نهاية الإخلاص، حيث يؤدي العملَ على أكمل وجهٍ في الظاهر والباطن، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإحسان هو فعل المأمور به، سواءٌ كان إحساناً إلى الناس أو إلى نفسه، فأعظم الإحسان: الإيمان، والتوحيد، والإنابة إلى الله تعالى، والإقبال إليه، والتوكل، وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابةً وحياءً ومحبةً وخشيةً، فهذا هو مقام الإحسان».

وهو مرتبتان: أن تعبد الله كأنك تراه، مستحضراً عبادتك أنك بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، فيؤدي العمل وفق الكتاب والسنة مخلصاً فيه، كأنه يرى الله، عالم بأنه مطلع عليه يراه، فيحسن عمله، بل يجعله أحسن ما يكون.

والمرتبة الثانية: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فتعبد الله وتعلم أنه سبحانه مطلع عليك مما يورث لك إتقان العبادة، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٨-٢١٩] فالله سبحانه وتعالى يرى نبيه ﷺ حال عبادته، ويراه في جميع أحواله حين يقوم، وتقلُّبَه في الساجدين، والله سبحانه وتعالى شهيد على أعمال العباد قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١]، فالله سبحانه يعلم الأحوال، ويرى الأعمال، ويسمع الكلام، ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

القرآن الكريم

فضل القرآن الكريم

من منّة الله على هذه الأمة، أن أرسل إليها خير رسُله، وأنزل عليه أفضل كتبه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

فهو كتاب كريم كافٍ وشافٍ لكل من قام به وأدى حقه، أعجز العرب على بلاغتهم وفصاحتِهم، وحيّرهم في الحُكم عليه، قال سبحانه: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سَبَإ: ٤٣]، ومرة قالوا أساطير الأولين كما أخبر الله عنهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفَال: ٣١].

وقد وصف الوليدُ بن المغيرة القرآنَ لقريش ـ وكان من رؤوسهم ـ: «فوالله ما منكم رجلٌ أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برَجزْه، ولا بقصيدِه، ولا بأشعار الجِنِّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إنَّ لقولهِ الذي يقوله لحلاوة، وانه ليَحْطِمُ ما تحته، وانه ليعلو وما يُعْلى».

وقد تحدى الله المشركين أن يأتوا بعشر سور مثله، فقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هُود: ١٣]، وتحداهم لما عَجَزُوا عن العشر سور أن يأتوا بسورة واحدة، قال سبحانه ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ٣٨].

وبعدها قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٨٨].

وكان نزول القرآن الكريم على رسوله ﷺ خلال ثلاثة وعشرين عاماً، نزل ابتداءً جملةً واحدة في ليلة القدر، في شهر رمضان، كما قال ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ثم نزل مُفرَّقاً حسب الأحداث والوقائع قال ﷻ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، قال السخاوي رحمه الله: «في نزول القرآن إلى السماء جملةً تكريمُ بني ادم، وتعظيمُ شأنه عند الملائكة، وتعريفهُم عنايةَ الله بهم، ورحمتُه لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفاً من الملائكة تشيع سورة الأنعام».

وللقران الكريم أسماءُ منها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والهدى، والنور، والشفاء، والبيان، والموعظة، والرحمة، وبصائر، والبلاغ، والكريم، والمجيد، والعزيز، والمبارك، والتنزيل، والمنزل، والصراط المستقيم، وحبل الله، والذكر، والذكرى.

أما وصفه بأنه يقص وينطق ويحكم ويفتى ويبشر ويهدي فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [النمل: ٧٦]، و﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧] أي: يفتيكم أيضاً، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾ [الإسراء: ٩].

تتابعَ الوحيُ خلال عقدين وزيادة، في الليل والنهار، والسفر والحضر، والسِّلم والحرب، في مكة والمدينة وخارجهما وما بينهما، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على حفظه، وكتابتهِ في العُسُب ـ وهي جريد النخل ـ والرقاع، والأقتاب، إلى أن جمعه أبو بكر رضي الله عنه.

لِكلام الله فضل ومزية، تطمئن القلوب عند ذكره، ويُستشفى المرضى به بإذن الله، قال النبي ﷺ: «**ما أصاب أحداً قط هَمٌّ ولا حَزَن**

فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي في يدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضائك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجِلاء حزني وذهاب همي، إلا اذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً، قالوا: يا رسول الله! ألا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمها» رواه أحمد.

قارؤه ينال أرفعَ الدرجاتِ في الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ: «إن الله ليرفع بهذا الكتاب، ويضع به آخرين» رواه مسلم، وفي الآخرة قال النبي ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» رواه الترمذي.

نفعنا الله بكتابه الكريم، وبهدي أفضل المرسلين.

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

كلام الله كلامٌ نفيس، مُحكمُ الآيات، مُبيِّنٌ للأحكام، لا يَمْل القارئُ من تلاوته، ولا السامعُ من سماعه، ولا العِالم من بيانه، ولا المُتعلم من تعلّمه، كتابٌ لا تنقضي عجائبه، فهو كتابٌ مبارك، كما وصفه الله بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩] أي: كثير البركة حساً ومعنى، لكثرة فوائده، وعموم نفعه، ودائم منفعته، قال القشيري رحمه الله: «فهو مبارك، دائم، باق، لا ينسخه كتاب»، وقال الألوسي رحمه الله: «هو مبارك لما فيه من الخير الكثير لأنه هداية، ورحمةٌ للعالمين»، فهو مبارك في تلاوته بالأجر الكثير، والخير العميم، كما في الحديث «**لا أقول ألّمَ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**» رواه الترمذي، وهو مبارك بالاستشفاء به، كما في سيد القوم الذي لدغته عقرب، فقرؤوا عليه الفاتحة، فبرأ فكأنما نَشِط من عِقَال، ـ والحديث بتمامه عند البخاري ـ، قال ميمون بن مهران رحمه الله: «خصلتان فيهما البركة: القرآن، والمطر».

فعليك بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، فهي نعمة تُغبط عليها، قال أبو ذر رضي الله عنه: «**قلت يا رسول الله! أوصني قال: عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كلِّه، قال: يا رسول الله! زدني، قال: عليك بتلاوة القران، فإنه نور لك في الأرض، وذخرٌ لك في السماء**» رواه ابن حبان.

فالقرآن الكريم بركةٌ لصاحبه في عمره، ووقتِه، وجهدِه، قال بعضُ السلف: «اشتغلنا بالقرآن، فعمرتنا الخيراتُ في الدنيا»، وأعظم هذه

الخيرات الصحة والعافية، قال القرطبي ﵀: «من قرأ القرآن مُتِّع بعقله وان بلغ المائة».

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، وجِلاء احزاننا..

صلوا وسلموا....

❖ ❖ ❖

مراحل جمع وكتابة القرآن الكريم

من مِنّة الله على هذه الأمة أن أرسل إليها خيرَ رسله ﷺ، وأنزل عليها خيرَ كتبه، وهو القرآن الكريم، فهو حبل الله المتين، مَنْ قال به صدق، ومن عمل به رَشَد، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، هو كلام الله منزّلٌ غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، تكلّم الله به حقيقة، آياته مُحكَمة، وأخباره مُتقنة، أحكامه فصلٌ، وألفاظه جزل، يَنال به العبدُ رفعتَه في الدارين، قال أنس ابن مالك رضي الله عنه: «كان الرجل مِنّا إذا قرأ البقرةَ وآلَ عمران جَدَّ فينا - أي: عَظُم - وكان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما، قَدَّمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يُغسَّلوا، ولم يُصَلِّ عليهم» رواه البخاري.

وإذا نزل الروحُ الأمينُ جبريلُ عليه السلام بالوحي، قال النبي ﷺ في وصف ذلك: **«أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيُفْصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملَك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه، الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا»** متفق عليه، وإذا نزل عليه الوحي **«كَربَ لذلك وتربَّد وجهُه»** - أي: عَلتَه غبرة وتغيّر من البياض إلى السواد - رواه مسلم، **«وإذا نزل عليه الوحي وهو على راحلته تضرب بِجِرانها»** رواه أحمد، والجران: باطن العنق، والبعير إذا استراح مدَّ عُنقَه على الأرض.

القرآن الكريم مفهوم الخطاب، مناسب للمخاطَب، خَاطَبَ المشركين بمكة بعبارات التوحيد والبعث وإقامة الحجة، وخَاطَبَ أهلَ الإيمان في المدينة بتفاصيلِ الشرائع وأحكامِ المعاملات وذِكْرِ نعيم الجنة وأهوالِ النار.

وكان نزوله في ليلة القدر جملةً واحدة إلى السماء الدنيا، قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١].

ثم صار ينزل على رسول الله ﷺ منجماً حسب الوقائع، قال السيوطي رحمه الله: «قيل: السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيمُ أمره وأمرِ من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخرُ الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم».

وفي إنزاله مفرقاً، تثبيت قلب النبي ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، فالمخاطبون أمّة أُمّية، فما كان لهذه الأمة أن تحفظ القرآن بيُسْرٍ لو نزل جملة واحدة، وأن تفهم معانيَه، وتتدبر آياتِه، لذا تسابق الصحابةُ رضي الله عنهم إلى جَمْعِه، وحفظه في الصدور، وتلاوتِه، وتعليمِه، والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فقد كان عثمان وابن مسعود وغيرُهما رضي الله عنهما إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

وكان نزول آياتِ القرآن الكريم، إما لحادثةٍ تَحْدث، فينزل القرآن الكريم بشأنها، مثلُ قولِه تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤]، فَصعِد النبيُّ ﷺ الصفا، وجَمَع الناس، وخطب بهم، فقال أبو لهب تباً لك، فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١].

وإما أن يُسألَ النبيُّ ﷺ عن شيء فينزلَ القرآنُ في بيان حكمه، كقصة ظِهارِ زوجِ خولةَ بنتِ ثعلبةَ رضي الله عنها حين شكت للنبي ﷺ حال زوجها فـأنـزل الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجَادلة: ١]، ولا يعني من هذا أن يُلتمس لكل آية سبباً، بل القرآن ينزل احياناً ابتداء بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام.

واتخذ الرسول ﷺ كُتَّاباً للوحي من أَجِلّاء الصحابة، كعليٍّ ومعاويةَ وأُبيِّ بنِ كعبٍ وزيدِ بنِ ثابت رضي الله عنهم، كانت الآية إذا نزلت يأمرهم النبي ﷺ بكتابتها، ويرشدُهم إلى موضع سورتها، كما كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يكتبون ما نزل من القرآن ابتداءً من أنفسهم دون أن يأمرهم النبي ﷺ، فيخطونه محفوظاً في عَسْبِ النخل، وصفائحِ الحجارة، والرِّقاعِ، والأَقْتابِ، والأكْتافِ، ولم يكن جمعه في عهد الرسول ﷺ في مصحف واحد، بل كان متفرقًا بين يدي الصحابة رضي الله عنهم.

وامتازت سورُ القرآن وآياتُه بأنها ذاتُ منظومةٍ متكاملةٍ في البلاغة والقوة والإحْكام، قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: ١]، قال أبو بكر بن العربي رحمه الله: «ارتباط آيِّ القرآنِ بعضها ببعض حتى تكون بها الكلمة الواحدة منسقة المعاني مُنتظمة المباني».

وفقنا الله لتلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

لما كانت غزوة اليمامة واستُشهد ستون قارئاً، هالت هذه الحادثةُ عمرَ بنَ الخطاب ﵁ فأشار إلى أبي بكر الصديق ﵁ بجمع القرآن، لئلا يَضيْعَ بموت الحفّاظ، فأمر زيدَ بنَ ثابتٍ ﵁ لجمعه، قال زيد ﵁: «فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقلَ مما أمرني به من جمع القرآن»، فجمعه من الرقاع، والأكتاف، والعُسُب، في مصحفٍ واحدٍ مرتبِ الآيات والسور، قال علي بن أبي طالب ﵁: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع آيات الله».

ولما اتسعت الفتوحات في عهد عثمانَ بنِ عفانَ ﵁ وتفرق القرَّاءُ في الأمصار، وحين غزا حذيفةُ بنُ اليمان ﵁ غزوةَ أرمينيةَ وأذربيجان، رأى اختلافاً كثيراً في وجوه القراءة، وبعضُ ذلك مشوبٌ باللحن، وعدم إدراك البعض بتلك القراءة، ففزع حذيفة ﵁ إلى عثمان ﵁ وأخبره بما رأى وقال: «أدْرِك الأمة قبل أن تختلف كاختلاف اليهود والنصارى»، فأجمع الصحابة ﵃ على أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، ويَحْمِلوا الناسَ عليها، فنسخوها، وأرسل إلى كل أُفقٍ بمصحفٍ مما نسخوه، وأمر بما سواه في كل صحيفةٍ أو مصحف أن يُحرق. وقد عُرف المصحف بالرسم العثماني، نسبةً إلى عثمان بن عفان ﵁.

ولما كثرت الفتوحات، واختلط اللسانُ العربيُّ بغيره، دَبَّ الفسادُ اللغويُّ في نطق القرآن، يُروى أن قارئاً سمعه أبو الأسودِ الدؤليُّ يقرأ:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [التوبة: ٣] فقرأها بجر اللام، في كلمة ﴿وَرَسُولُهُۥۚ﴾ فأفزعه هذا اللحن وقال: وعزةِ وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم ذهب إلى والي البصرةِ وقال له: قد أجبتُكَ إلى ما سألتَ، فأظهرَ حركاتِ الأحرف.

ثم في خلافة عبدِ الملكِ بن مروانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كثرت التصحيفات، ففكر الولاة في النُّقَطِ والتشكيل، ثم كان الضبطُ بالحركات الحالية، التي أخرجها الخليل بنُ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وحفظاً للقرآن وسبراً لعددِ كلماته وأحْرُفِه بعث الحجاجُ بنُ يوسفَ إلى قُرَّاءِ البصرة، فجمعهم، واختار منهم الحسنَ البصريَّ وغيرَه، وقال عُدُّوا حروف القرآن، فبقوا أربعةَ أشهر يعدون بالشَّعْر، فأجمعوا أن كلماتِه سبعٌ وسبعون ألفاً وأربعُمائةٍ وتسع وثلاثون كلمة، ولا خلاف بين المسلمين بأن عددَ سُور القرآن مائةٌ وأربعَ عَشْرةَ سورة.

وبعد هذه الخلاصة في المراحل التي مرت بكتاب الله، إلى أن وصل لنا بهذه التحفة كتابةً وضبطاً، قد أفلح من زين قلبه بكتاب الله، ورطَّب لسانه، وأبهج نفسَه، وأسعد قلبَه به. قال بِشْرُ بنُ السَّريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما الآية مثلُ التمرة، كلما مضغتها استخرجت حلاوتها، فحدَّث بها أبو سليمان فقال: صَدَق، إنما يؤتى أحدُكم من أنه إذا ابتدأ السورة أراد آخرها»، وقد ختم عثمانُ بنُ عفانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القرآنَ في ليلة واحدة، فاحْرِص على تلاوته والعمل به.

قال الفضيلُ بنُ عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حاملُ القرآن حاملُ لواء الإسلام لا ينبغي أن يلهوَ مع من يلهو، ولا يغلو مع من يغلو، ولا يسهو مع من يسهو».

وعلى قارئه الإخلاصُ وقيامُ الليل به، واجعل في يومك وليلتك وشُغْلك وفراغِك ودارِك نصيباً من القرآن الكريم، قال النبي ﷺ: «مَثَل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مَثَلُ الحيِّ والميت» رواه مسلم.

وعلى قارئ كلام رب العالمين أن يكون متطهراً لقول النبي ﷺ: «لا يمسه إلا طاهر» رواه الإمام مالك، وأن يستحضر معانيَ كلامِ الله عند تلاوته، قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [صٓ: ٢٩]، ويجب أن يستشعر قارؤه بأن كلام الله عظيم، فيعظمَه، قال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

فرطِّب لسانَك بكلام الله في يومك وليلتك، واجعل لك ورداً تقرؤه لكي تنالَ ثوابه.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

تأملات في سورة الفاتحة

أنزل الله تعالى في كتابه الكريم سوراً وآياتٍ، وفاضل بينها، وأفضل سورة في القرآن الكريم سورةُ الفاتحة، هي الفاتحة، وأم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، قال النبي ﷺ فيها: «**الحمد لله رب العالمين، أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني**» رواه أبو داود، وهي كافية، ووافية، وشافية، لايقبل الله صلاة عبد إلا بها.

وسورة الفاتحة يقال لها: الرُّقية، فعندما رُقي سيدُ القوم بفاتحة الكتاب من أثر لدغة، كما في الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه «**فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي، فقال له رسول الله: وما يدريك أنها رقية**»، وسماها سفيان بن عيينة رحمه الله بالوافية، وسماها يحيى بن أبي كثير رحمه الله بالكافية ويقال لها: سورة الصلاة والكنز.

وسميت بأم الكتاب، لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وسميت بذلك أيضاً لرجوع معاني القرآن الكريم كلِّه إلى ما تضمنته، مع أن عدد كلماتها خمسٌ وعشرون كلمة، كما نقل ذلك ابن كثير رحمه الله.

ومن فضائلها ما ذكره النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده! ما أنزلت في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان، مثلَها وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته**» رواه الترمذي.

فعلى كل مسلم عَلِم فضائلَ هذه السورة، أن يُعظِّم كلام الله

عموماً، وأن يتأمل في معانيها العظيمة، فيستعيذَ بالله من الشيطان الرجيم عند البدء بالتلاوة، كما أمر الله ﷻ بقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النّحل: ٩٨]، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر، قال: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه» رواه أصحاب السنن.

والبسملة، ليست من الفاتحة كما في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم،غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» رواه مسلم، قال النووي رحمه الله: إن هذا الحديث أوضح ما يُحتج به على أن البسملة ليست من الفاتحة.

بدأ الله ﷻ هذه السورة العظيمة بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الفَاتِحَة: ٢]، فالألف واللام لاستغراق جميع المحامد، وهو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم، وهي ثناءٌ عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال ابن جرير رحمه الله: «الحمد لله ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضِمْنه أمر عباده أن يثنوا عليه، فكأنه قال: قولوا الحمد لله».

وعَرَّف ابن عباس رضي الله عنهما: «الحمد لله» بأنها: كلمة الشكر، وإذا قال العبد الحمد لله، قال: «شكرني عبدي» رواه ابن أبي حاتم، وعند

النسائي من حديث الأسودِ بنِ سَرِيع ﷺ قال: «قلت يا رسول الله: ألا أَنْشُدُك مَحَامِد حَمِدْتُ بها ربي تباركٍ وتعالى، فقال النبي ﷺ: أما إن ربك يحب الحمد»، والنبي ﷺ يحمد الله في سرائه وضرائه فإذا أتى ما يُحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتى خلاف ذلك قال: الحمد لله على كل حال» رواه ابن ماجه.

ولم يذكر سبحانه لحمده هنا ظرفاً مكاناً ولا زماناً، ولكن ذكرها سبحانه في سورة الأنعام أن من ظروفه المكانية قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرُّوم: ١٨]، وفي سورة القصص ذكر الزمانية الدنيا والآخرة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [القَصَص: ٧٠].

و﴿لِلَّهِ﴾ في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو اسم ربنا، لا يُسمَّى به غيرُه، إلهنُا لا اله لنا سواه، ولا ربَّ لنا غيره، نحمده سبحانه، حمداً يليق بجلال وجه وعظيم سلطانه.

و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، الرب: هو ما اجتمعت فيه ثلاثة أوصاف: الخلق والملك والتدبير، والعالمين ما سوى الله فهو من العَالَم، لأن وجود العَالَم علامةٌ لا شك فيها على وجود خالقٍ لها، متضمناً صفات الكمال والجلال ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فهو سبحانه مربيهم بالنعم، وخالقُهم، ومالكُهم، والمدبِّرُ لهم كما شاء سبحانه.

وهو ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وهما اسمان من أسمائه الحسنى، وهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، فالرحمن أوسع من الرحيم، لأن الرحمن ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في

الآخرة، قال النبي ﷺ: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» رواه مسلم.

والرحيم: ذو الرحمة للمؤمنين في يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وهو سبحانه ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وهو يوم الجزاء والحساب، فهو سبحانه مالك ذلك اليوم: الذي يجازي فيه الخلائق، ففيه يظهر ملكُ الله وحده، فالله ينادي في ذلك اليوم ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، فلا يجيب أحد فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

بعدها ذكر المولى سبحانه ملخصاً لأعمال الخلق في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فنعبده ونخلص له العمل، فالعبادة قائمة على فعل ما أمر الله به، وتركِ ما نهى الله عنه، وبه نستعين عليه وحده في أداء العبادات، وقضاءِ الحاجات، فلا نطلب العون إلا منه ﷻ، لأن الأمر كلَّه بيده، لا يملك أحدٌ غيرَه معه مثقالَ ذرة، ولذا أوصى النبي ﷺ بقوله: «إذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي، وهذا المعنى مشار إليه في آيات عديدة من كتاب الله ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥].

جعلنا الله ممن عبده حق عبادته، وتوكل عليه حق توكله..

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

بعد الثناء على الله وحده، بأنه سبحانه له الحمد كلُّه، وأنه ربُّ العالمين، وأنه الرحمن الرحيم، وأنه مالك يوم الدين، وأنّ له العبادةَ وحده، وبعد عهد الاستعانة، ناسب أن يُعْقَب بالسؤال، قال النبي ﷺ: «فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل» وهذا أكملُ أحوالِ السائلِ أن يمدح مسئوله، ثم يسأل حاجتَه وحاجةَ إخوانِه المؤمنين في طلب الهداية في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦] وهو الإرشاد والتوفيق إلى الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو المتابعة لله ولرسوله، وقيل: إن الصراط المستقيم: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد سواه، وقيل: الرسول ﷺ، وقيل: القرآن الكريم.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تنتهي»، والعبد يسأل ربه الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها، حتى وهو متصف بها لاحتياج العبد ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالةٍ إلى الله في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الدعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أفضلُ الأدعية، وأوجبُها على الخلق، فإنه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة».

وقال أيضاً: «فإذا هدى الله العبد إلى هذا الصراط أعانه على طاعته، وتَرْكِ معصيته، فلم يصبه شر لا في الدنيا، ولا في الآخرة - إلى أن قال: - وعلى العبد أن يجتهد في تحقيق هذا الدعاء، ليصير من الذين أنعم الله عليهم، كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩]».

فأهل الصراط المستقيم كما قال ابن القيم ﵀: «هم أهل تحقيق إياك نعبد وإياك نستعين».

ثم ختم الله السورة بقوله ﷻ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٧]، فالمغضوب عليهم: هم من عرفوا الحق وعدلوا عنه، وهم اليهود، فأخص أوصاف اليهود الغضب، قال تعالى ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المَائدة: ٦٠].

و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٧]: هم من فقدوا العلم، فهم هائمون في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق، وهم النصارى قال سبحانه: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المَائدة: ٧٧] قال ابن القيم ﵀: «من لم يعرف الحق كان ضالاً، ومن عرفه ولم يتبعه كان مغضوباً عليه، ومن عرف الحق واتبعه فقد هدي إلى الصراط المستقيم».

أَجْمَلَ معنى هذه السورةِ إمامُ المفسرين ابنُ كثير ﵀ فقال: «اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات، على حمد الله، وتمجيده، والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وذكر المعاد، وهو يوم الدين، وعلى إرشاد عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبرّي من حولِهم وقوتهم إلى إخلاص العبادة له وتوحيده

بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يقضي لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم، في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة، ليكونوا من أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل، لئلا يُحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون».

وفقنا الله للعلم، والعمل بآيات هذه السورة العظيمة.

وجعلنا من أهل الصراط المستقيم، وأنعم علينا بجنات النعيم.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

تأملات في آية الكرسي

سور القرآن الكريم تتفاوت في الفضل، بما فيها من صفات ومعانٍ وأحكام، فسورة البقرة فيها من الأحكام، والآيات، والصفات العديدة.

ففيها أطول آية في القران، وفيها أعظم آية، وفيها آخر ما نزل من القران، وفيها كما قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتعاظمونها في الشدة والرخاء، ويُنادَون عند تعثر سير المعارك بأهلها، ذُكرت فيها أركان الإسلام الخمس، والتوجه للقبلة، وجملة من الأحكام، والمعاملات، والقصص، والأخبار.

ورد في فضل هذه السورة ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، فإن البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»، وفي الحديث المتفق عليه: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»، وفي حديث أبي إمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرؤوا الزهراوين، البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فِرقانِ من طير صَوَافَّ، تحاجان عن أصحابهما، ثم قال اقرؤوا البقرة، فإن أخذها بركة،وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» رواه مسلم. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: سميت بالزاهراوين «لنورهما، وهدايتهما، وعظيم أجرهما».

وورد في حديث حذيفة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش» رواه مسلم، وفي حديث ابن عباس ﵄ قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال أبشر بنورين أتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أُعْطيتَه» رواه مسلم.

وفي سورة البقرة أعظمُ آية فيها، بل في القرآن الكريم كلِّه، إنها آية الكرسي، شأنها عظيم، وثوابها كبير، سأل رسولُ الله أبيَّ بنَ كعبٍ ﵁: «أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: الله ورسوله أعلم، فرددها مراراً، ثم قال: آية الكرسي قال: ليهنك العلم أبا لمنذر» رواه مسلم.

قال القرطبي ﵀: «آية الكرسي سيدة آي القرآن، وأعظم آية، ونزلت ليلاً ودعا النبي ﷺ زيداً فكتبها»، وهي حصن حصين، وحرز من الشيطان الرجيم، كما في قصة أبي هريرة ﵁ في الصحيح أن الشيطان قال له: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنك لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: أما إنه صدقك وهو كذوب».

آية الكرسي اشتملت على عشر جمل مستقلة، أولاها: وهو أصل خلق الخلائق ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، فلا معبود بحق إلا الله، فهو الإله الحق الذي يجب على المخلوقات صرف العبادة له ـ سبحانه ـ لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، فمن أجْلِ (لا إله إلا الله) أُرسلت الرسل ﵈ قال سبحانه: ﴿وَمَآ

أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبيَاء: ٢٥]، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنة والنار.

وهو سبحانه: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، حي لا يموت، والإنس والجن يموتون، فهو سبحانه له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله.

وهو سبحانه قيوم لغيره، فجميع المخلوقات مفتقرة إليه وهو سبحانه غني عنها لا قِوام لها بدون أمره.

وهذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمن، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان شيخ الإسلام ابنُ تيمية قدس الله روحه شديدَ اللّهْجِ بها جداً، وقال لي يوماً: لهذين الاسمين ـ وهما الحي القيوم ـ تأثير عظيم في حياة القلب، وكان يشير إلى أنهما الاسمُ الأعظم».

فليحرص المسلم على حفظ هذه الآية الكريمة، لما ورد فيها من توحيد، وثناءٍ على الله بما هو أهله، من الصفات العلى والأسماء الحسنى.

وفقنا الله لتدبر كلام الله سبحانه.

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

من صفاته ﷻ ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، أي: لا تغلبه سِنة، وهي الوسن والنعاس، وذلك لكمال حياته وكمال قيوميته، وقد ورد في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور ـ أو النار ـ لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

والله سبحانه: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البَقَرَة: ١١٦] مُلكاً وخَلقاً والجميعُ عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره، وسلطانه، قال سبحانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مَريَم: ٩٣-٩٥].

ومن عظمة الله وجلاله وكبريائه، أنه لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة، وهي في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، ولابد للشفاعة من شرطين: إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له، قال سبحانه: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النّجْم: ٢٦].

وهي فضلٌ من الله ورحمة، والنبي ﷺ له شفاعات، واختص يوم المحشر بشفاعة تعجيل الحساب، وهي في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسرَاء: ٧٩]، فبعد أن يعتذر آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام يأتون إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها، فأَسْتأذِنُ على**

ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأَخِرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقُل يسمعْ لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول يارب أمتي...». رواه البخاري. والشفعاء كثيرون، منهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة، وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى.

والله سبحانه عِلْمه محيطٌ بجميع الكائنات، ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فيعلم سبحانه ما خلَّفوه في الدنيا وراء ظهورهم، وما يَقْدِمون به في الآخرة، ولا يطلع أحد على شيء من علم الله إلا بما أعلمه الله ﷻ، وأطلعه عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، ومن ذلك ما أخبر به رسلَه عليهم السلام قال سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجنّ: ٢٦-٢٧].

ومن عظمة الله ﷻ أن كرسيَّه وهو موضع القدمين، وسع السمواتِ والأرض، فيدل على عظمتها وعظمة مَن فيها، والكرسي ليس أعظم مخلوقات الله، بل العرش أعظم منه. والله سبحانه لا يُثقله ولا يُكْرِثُه حفظ السموات والأرض ومن فيها، وما بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير عنده، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء، وهو سبحانه عليٌّ بذاته، وجامعٌ لصفات العظمة والكبرياء.

وأَجمَلَ معنى هذه الآيةِ شيخُ الإسلام رحمه الله: «ليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي».

صلوا وسلموا..

تفسير قوله تعالى

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾

أسماء الله ﷻ حسنى، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعرَاف: ١٨٠]، ومعنى كون أسماء الله ﷻ حسنى: أي بالغةً نهايةَ الحُسن، والجمال، والجلال، والكمال.

وصفات الله ﷻ تنقسم إلى صفات ذاتية وصفات فعلية:

فالصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عن الله جل وعلا، كالسمع والبصر.

والصفات الفعلية: هي المتعلقة بمشيئة الله، مثل صفة الغضب، فإنه يغضب ويرضى، يغضب إذا شاء، ويرضى إذا شاء، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وحديث الشفاعة أنه ﷺ قال: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**» متفق عليه.

ومن أسماء الله: السميع والبصير، وهما يأتيان مقرونان في القرآن الكريم كثيراً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

فـ(**السميع**): مبالغة من (سامع)، يعني الذي لا يفوت سمعه شيء، و(**البَصِيرُ**): مبالغة من (المُبصر)، وهو: الذي لا يفوت بصره شيء.

يعلم ويرى ويسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، بل ويرى من هذه النملة العروق، وما يجري فيها من طعام، و ورود اسمي السميع والبصير بصفة الماضي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ٥٨] لثبوت الصفة أزلاً وثبوتها فيما بعد ذلك.

وهاتان الصفتان، السمع والبصر،من صفات الكمال، فآلهة المشركين التي يعبدونها ليست متصفة بهذه الصفة، كما في قول إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مَريَم: ٤٢]، وقال لقومه: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٢]، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «كنا مع رسول الله ﷺ فإذا أشرفنا على واد هلَّلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس! اربعوا على أنفسكم** ـ أي: ارفقوا بأنفسكم ـ **فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه، وتعالى جَدّه**» رواه البخاري.

وفي قصة المجادلة قالت عائشة رضي الله عنها: «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله! أَكَلَ شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجَادلة: ١]» رواه ابن ماجه.

والله سبحانه وتعالى يسمع الصوت المسموع، والمتناجَى به، قال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجَادلة: ٧]، سواء كان المتكلمون قلة أو كثرة، فكل داعٍ في السماء أو في الأرض أو ما بينهما، فإن كل أقوالهم وإن كانوا في وقت

واحد فإن الله يسمعها، دون أن يشغله آخرون، وهذا خلاف صفة المخلوق الضعيف، الذي لا يمكن أن يستمع إلى قول إلا واشتغل باستماعه إياهم عن أقوال الآخرين.

وفقنا الله وإياكم للعمل الموصل لمرضاته.

أقول...

الخطبة الثانية

الله ﷻ يرى كل مرئي، سواءٌ كان ذلك الشيء صغيراً أو كبيراً، خفياً أم غير خفي، فلا تغيب عنه غائبة ﷻ في الأرض ولا في السماء ولا ما بينهما، ولا تخفى عليه خافية، يبصر ويرى كل شيء سبحانه وتعالى، قال تعالى لموسى وأخيه هارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

ففي الآية الكريمة: إثبات صفة السمع والبصر له جل شأنه، إثباتًا يليق بجلاله وعظمته، وهما من صفات الكمال.

وقال لنبيه عليه السلام ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٨-٢٢٠] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي حين تقوم إلى الصلاة، وقال مجاهد: حين تقوم حيثما كنت.

والله ﷻ مطلع على أحوال رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: ٤٨] قال ابن كثير رحمه الله أي: «اصبر على أذاهم ولا تبالهم، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس».

والله بصير بعمل كل عامل، بصير بعمل عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البَقَرَة: ١١٠]، قال ابن جرير رحمه الله: «هذا الخبر من الله للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين، أنهم مهما فعلوا من خير أو شر، سراً وعلانية، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شيء، فيجزيهم بالإحسان خيراً، وبالإساءة مثلها، فلا يخفى عليه شيء من الأحوال والأقوال والحركات والسكنات».

وهو سبحانه بصير بأعمال المشركين، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٩٦]، أي: أن الله ذو إبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر.

فالله يبصر كلَّ شيء وإن دق وصَغُر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء،على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وهو البصير يرى دبيب النملة الـ ... ـسوداء تحت الصخر والصوان
ويرى مجاري القوت في أعضائها ... ويرى عروق بياضها بعيان
ويرى خيانات العيون بلحظها ... ويرى كذلك تقلب الأجفان

فعلى المسلم أن يثبت صفة البصر إثباتاً يليق بجلاله سبحانه قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورىٰ: ١١]، وفي السنن: «أن النبي ﷺ قرأ على المنبر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ٥٨] ووضع إبهامه على أذنه وسبابته على عينه.» قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب أن مقصودَه تحقيقُ الصفة، لا تمثيلُ الخالق بالمخلوق».

والإيمان بذلك له أثر إذا وقر في القلب، فإذا استشعر المسلم بأن الله سميع وأنه بصير أحدث له المراقبة، وأن الله يسمع كلامه وسيحاسبه على ما تكلم به، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسرَاء: ٣٦]، فيحمي المسلم سمعه من الحرام، ومن الاستهزاء بشرع الله، ويعمل بجواره في الطاعات والقربات.

ثم اعلموا أن قُرْب الله ﷻ لا ينافي علوه، فهو قريب، وهو مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشّورىٰ: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١].

جعلنا الله ممن يستعمل جوارحه في مرضاته.

صلوا وسلموا..

❖ ❖ ❖

تفسير قوله تعالى

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾

أعظم ما يتدبره المسلم هو آي القرآن الكريم فينهل من علومه، ويقف على ما فيها من الأحكام، ويعرف جزاء ما أعده الله لأوليائه من النعيم المقيم، والثواب الجزيل؛ وها نحن نقف اليوم على آيتين عظيمتين من كتاب الله، أمر الله بهما عباده للمسارعة في الخيرات، فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣-١٣٤].

فقد ندب الله عباده إلى المسارعة لأداء الخيرات لنيل أرفع الدرجات بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣]، وقد وردت آيات تدل على المبادرة بقوله سبحانه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الحَديد: ٢١]، وقوله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البَقَرَة: ١٤٨]، وهذا الأمر إنما يدل على اغتنام الفرص على الفور لا التراخي؛ لتحقيق الأعمال الصالحة قبل بلوغ الأجل، والمسارعة والمسابقة إلى موجبات دخول الجنة يكون بالإيمان بالله والعمل الصالح، وقد عرف الصحابة رضي الله عنهم قدر ذلك، فكانوا يتنافسون فيما بينهم ـ غنيِّهم وفقيرهم ـ، كما في حديث أهل الدثور، وبسؤالهم النبي ﷺ بقول: «**أوصني**»، أو «**دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة**»، أو بسؤالهم عن: «**أي العمل أحب إلى الله**»، أو كمنافسة عمر لأبي بكر رضي الله عنهما بإنفاق نصف مال.

وقد كانت المسارعة والمنافسة فيما بينهم رضي الله عنهم ليس لتحقيق أمر دنيوي، أو لنيل رياسة، أو لأخذ غنيمة، وإنما المسارعة إلى الأسباب التي ينال بها العبد مغفرة الله ورضوانه، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، حتى يفوز بالدخول في الجنة.

ووصف الله في هذه الآيةِ الكريمةِ اتساعَ دار المتقين الجنة، بأنَّ عَرْضها السماوات والأرض، لأنها أكبرُ مشاهَدٍ للناس، قال ابن كثير رحمه الله: «عرضها كطولها، لأن الجنة قبةٌ تحت العرش، والشيء المقبب والمستدير عرضه كطوله، ودل على ذلك ما ثبت في الصحيح: **إذا سألتم الله الجنة فاسالوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسطُ الجنة، ومنه تتفجر أنهار الجنة، وسقفها عرش الرحمن**» رواه البخاري.

هذه الجنة أعدها الله تعالى لعباده المتقين كما في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرّعد: ٣٥]، و﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمَّد: ١٥].

ثم بين الله صفاتِ هؤلاء المتقين في هذه الآيات بثلاث صفات:

الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عِمران: ١٣٤] أي: في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، كما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]، فلا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاقِ في مرضاته، والإحسانِ إلى خلقه من قرابتهم وغيرِهم بأنواع البر، وهذه الصدقة ليس لها حد،

والصدقة إذا كانت من قلب مخلص فإن جزاءها سيكون عظيماً، قليلةً كانت أو كثيرة، ولذا وبّخ الله المنافقين من سخريتهم لفقراء المسلمين، حين ندبهم النبي ﷺ للصدقة لتجهيز جيش تبوك، فلما أتى أبو عقيل بنصف صاع من تمر قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا فنزلت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التّوبَة: ٧٩]، وقال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» متفق عليه.

الصفة الثانية لعباد الله المتقين: كظم الغيظ قال سبحانه: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤]، إذا ثار بهم الغيظُ كظموه وكتموه، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من كتم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره أي الحور شاء» رواه ابن ماجه، وقال النبي ﷺ: «ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة» رواه الطبراني، وقال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعَة، ولكن الشديدَ الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه، وفي الجنة بابٌ للكاظمين الغيظ يدخلون منه كما يدخل الصائمون من باب الريان، وطلب رجل من النبي ﷺ أن يوصيه فقال له لا تغضب، فقال السائل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشرَّ كلَّه؛

وداء الغضب كما قال النبي ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» رواه أبو داود، وبالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ففي حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: «استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب

صاحبه مغضَباً قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» رواه البخاري.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المتقين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الصفة الثالثة لعباد الله المتقين: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مع كف شرهم يَعْفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجَدةٌ على أحد، وهذا أكمل الأحوال»، ولذا قال الله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشّورى: ٤٠].

والعفو من صفات الكرماء، قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإخوته: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [يُوسُف: ٩٢]، والنبي ﷺ قال الله له: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث أُقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله**» رواه احمد.

فاللهم إن نسألك رضاك والجنة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه

❖ ❖ ❖

أصحاب الفيل

مَنَّ الله على قريش بمننٍ كثيرة، كاصطفاء رسول الله ﷺ منهم، وخدمة السقاية والحجابة ـ وهي حفظ البيت ـ ونزولِ سورة من القرآن فيهم، ومنع عنهم أصحابَ الفيل، حين أرادوا هدم الكعبة المشرفة. قال ابن كثير رحمه الله في حفظ الله لبيته العتيق: «هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، حين صرف عنهم أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ومَحْوِ آثارِها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنوفهم، وخيب سعيهم، وأضل أَعمالهم، وردهم بشر خيبة». وكان أصحاب الفيل قوماً نصارى، ودينُهم أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد نبينا ﷺ ولسان الحال يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه، ونعظمه، ونوقره، ببعثة النبي الأمي محمد ﷺ.

وقد جرت أحداثُ هذه الحادثة، حين بنى أبرهةُ كنيسةً عالية تسمى «القُلَّيْسُ» وعزم على أن يصرف حجَّ العربِ إليها، كما يُحَجُّ إلى الكعبةِ بمكة ونادى بذلك، فكرهت العربُ ـ العدنانيةُ، والقحطانيةُ ـ ذلك، وغضبت قريشٌ غضباً شديداً، حتى قصدها بعضهم ليلاً فأحدث فيها، وكَرَّ راجعاً، فلما رأى السدنةُ ذلك الحدث، رفعوا أمره إلى أبرهة، وقالوا: إنما صنع هذا بعضُ قريشٍ غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم ليسيرنَّ إلى بيتِ مكةَ وليخرِّبَنَّه حجراً حجراً.

فسار بجيشٍ عرمرمٍ لئلا يصده أحد عنه، واصطحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة، لم يُر مثلُه، وبصحبته أفيال، قيل: ثمانٍ، وقيل: اثنا عشر، وأتى بها ليجعل السلاسل في أركان الكعبة، وتوضع في عنق الفيل ليلقي الحائط جملة واحدة.

سار الجيش وتصدت بعض القبائل له فهزمها، وأَسَرَ مَنْ يَدلُّه على بلاد الحجاز، إلى أن وصل إلى المُغَمِّس ـ وهو قريب من مكة ـ وأغار على سِراح أهلِ مكةَ من الإبل فأخذها، وكان منها مائتا بعير لعبدالمطلب.

في هذه الأثناءِ أرسل أبرهةُ من يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملكَ أبرهةَ لم يجئْ لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت، فدلُّوه على عبدالمطلب فقال: «والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه»، فذهبوا به إلى أبرهةَ فلما رآه أَجَلَّه، وكان عبدالمطلب رجلاً جسيماً، حسنَ المنظر، وقال لترجمانه: ما حاجتك؟ قال: أن يرد المَلِك عليَّ مائتي بعير أصابها لي، فقال لترجمانه: قد كنتَ أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبناها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لأهدِمَه لا تكلمني فيه؟! فقال عبدالمطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك». ويذكر أن أشرافاً مع عبد المطلب عرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى، ورد أبرهةُ إبلَ عبدِالمطلب، وأَمَر بَعْدَها عبدُ المطلب قريشاً بالخروج من مكة والتحصنِ في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش.

نفعنا الله وإياكم بالقرآن العظيم.

أقول...

الخطبة الثانية

في قصة أصحاب الفيل دروسٌ وعبرٌ، منها:

أنه لما تهيأ أبرهة لدخول مكة، وهيّأ فيله العظيم، ووجهه نحو مكة برك الفيل، فضربوه وأبى التحرك، فلما امتنع ووجهوه إلى اليمن قام يهرول، ووجهوه للشام والمشرق ففعل مثل ذلك، ووجهه بعدها لمكة فبرك.

وفي رواية الواقدي رحمه الله: أنه إذا وجهوه للحرم برك وصاح، وكان يصنع ذلك، وهو فيل المَلِكِ تقتدي به بقية الفيلة، وكان فيهم فيل تَشَجَّع، فحُصِب، فهربت بقية الفيلة، فلما طال الفصل وأهل مكة في جبالها ينظرون ما الحبشة يصنعون وما يَلْقون من أمر الفيل ـ وهو العجب العجاب ـ فأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار، حجرٌ في منقاره، وحجران في رجليه ـ أمثالُ الحِمَّصِ والعَدس ـ ولا يصيب أحداً منهم إلا هلك.

وقد ذكر ابنُ كثير رحمه الله ـ بأسانيدَ صحيحةٍ ـ وصفَ الطير التي خرجت: أن لها خراطيمَ كخراطيمِ الطير، وأكُفَّاً كأكفِّ الكلاب، وقيل: إنها طير خُضْر خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع، وقيل: طيور سودٌ بحرية، في مناقيرها وأظافرها الحجارة، فجاءت وصفّت على رؤوسهم ثم صاحت، وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس إلا خرج من دبره، ولا يقع على شي من جسده إلا خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحاً شديدة فزادتها شدة فأُهلكوا جميعاً.

وفي رواية أخرى عن عطاء بن يسار ﷺ انه قال: ليس كلهم أصابهم العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون ـ ومنهم أبرهة ـ وقيل: إنه أصيب في جسده فخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه.

وذكر مقاتل بن سليمان ﷺ أن قريشاً أصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم وما كان معهم.

فالله سبحانه أهلكهم ودمرهم، وردهم بكيدهم، وغيظهم لم ينالوا خيراً، وهذا وعد الله وحِفْظُه لبيته ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحَجّ: ٢٥].

فما من عدو قصده إلا رده الله، وما من أحد خدمه إلا أعزه الله وحفظه.

وفقنا الله لتعاهد بيته الحرام بالطاعات والقربات.

صلوا....

❖ ❖ ❖

أمــــور الغيــــب

وَسِع علمُ الله ﷻ السمواتِ والأرض، وما بينهما، وما فيهن، فالأرزاق والآجال وغيرُها من المغيبات التي اختص الله بعلمها، متى وقتها وقدرها، والمُغيَّبات عند الخلق لا تغيب عنه سبحانه قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعَام: ٥٩].

فالله سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وليس لأحدٍ معرفةُ ذلك، لا ملَكٍ مقرّب، ولا نبيٍّ مرسل، قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن النبي ﷺ يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم الفِرْية والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النَّمل: ٦٥]» رواه مسلم، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبين للناس أنه لا يعلم الغيب في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعَام: ٥٠]، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى مفاتحَ الغيبِ الخمسةَ، التي استأثر الله بها قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمَان: ٣٤].

فعلم الساعة، لا يعلم وقوعَها أشرفُ ملَك، ولا أشرفُ رسول، سأل جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: ما المسئول بأعلم من السائل، والله ﷻ قال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأعرَاف: ١٨٧] وإنما أخبر النبيُّ ﷺ عن علاماتها: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان» رواه مسلم.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى نزولَ الغيث، فقال سبحانه مختصاً بهذا الخير العميم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾[الشّورىٰ: ٢٨]، فمن اعتقد أن نزول المطر من عند غير الله فقد كفر، قال زيد بن خالد رضي الله عنه: «خطبنا النبي ﷺ على إثر سماء كانت من الليل، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» متفق عليه، وقد ذكر الله عن تكوين السحب ونزول المطر ما يدل على كمال قوته، وقدرته، وتدبيره ﷻ، فهو سبحانه يبعث الرياح المثيرة، فتقُمُّ الأرضَ قمّاً، ثم يبعث المبشرة فتثير السحاب فيجعله كسفاً، ثم يبعث المؤلِّفة فتؤلف بينه فتجعله ركاماً، ثم يبعث اللواقح فتُمْطِر السماء، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[النُّور: ٤٣]، فإثارة السحاب من البحر، أو مما يشاء الله ﷻ، فيبسطه في السماء كيف يشاء، أي: يمده فيكثِّرُه وينمِّيه، ويجعل من القليل الكثير، ينشئ سحابة في رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق.

ثم ذكر المولى سبحانه عِلْمه بما في الأرحام، فلا يَعْلم أحد: ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾[الرّعد: ٨] نوعَه، وجنسَه، ولونَه، وإذا عُلم بالوسائل الحديثة بعضُ ذلك، فإنه لا يكون إلا بعد نفخ المَلَك للروح في الجنين، فزال علم الغيب، لأن المَلك عَلِم بنوعه، وإذا أظهر العلم الحديث

التعرف على نوع الجنين بعد النفخ في الروح، فلا يزال الغيب في معرفة الرزق والعمل والأجل والسعادة والشقاء، فسبحان من أحسن وأبدع كلَّ شيءٍ خلقه.

وفقنا الله لقَدْرِهِ حق قدره.

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

من المغيبات التي استأثر الله بها: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، أي: ما تعمل في الغد من خير أو شر، من كسب دينها ودنياها، وما يعتري حياة المرء من صحة وسقم.

ثم ختم المولى سبحانه الآية بقوله: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، فلا يعلم العبد متى يموت، وأين يموت، فقد يَعْبُر المرءُ المفاوزَ والأخطار، ويظن أنه لا يجاوزها سالماً، ويُقدِّر الله له أن يموت في بلد لا يظن انه سيذهب إليها يوماً من الدهر، قال النبي ﷺ: «**إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة**» رواه أحمد، فيذهب إلى الموضع المقدر له ـ إما تجارةً، أو تعلماً، أو علاجاً، أو زيارة ـ ثم يأتيه الأجل هناك.

اللهم اختم بالصالحات أعمالنا.

صلوا وسلموا على خير البرية..

❖ ❖ ❖

تفسير قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾

القارئ للتأريخ يجد أن الأيام تحمل في طياتها منحاً ومحناً، وآمالاً وآلاماً، وأن كل ما يحصل لأوليائه من شدةٍ وبلاءٍ، وكرب وعناء، فالله لطيف في قَدَرِه، حكيم في تدبيره، حيث قال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحَجّ: ٣٨]، وقد نزلت هذه الآية في الصحابة رضي الله عنهم يوم أن كانوا في مكة مستضعفين، وكانت قريش تؤذيهم، فوعدهم الله أنه يدافع عنهم شرهم وأذاهم.

قال الزمخشري رحمه الله في قوله: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ [الحَجّ: ٣٨]: أي: «يبالغ في الدفع عنهم»، وهي كرامة من الله لأوليائه، وبشارةٌ وتقويةٌ لعزائمهم.

وفي ذلك قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار، وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ﴾ [الزُّمَر: ٣٦]»، وهذه المدافعة بحسب إيمان العبد بمولاه، لأن أولياء الله لهم النصيب الأكبر في الدفاع عنهم، قال الله سبحانه في الحديث القدسي: **«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهو تبارك وتعالى يدافع عن الذين امنوا حيث كانوا، فالله هو الدافع، والسبب هو الإيمان»، وقال ابن القيم رحمه الله: «فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله، ومادةُ

الإيمان وقوتُه بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً كان دفعُ الله تعالى عنه ودفاعُه أعظم، ومتى نقص نقص، ذِكراً بذكر، ونسياناً بنسيان». وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله سبحانه لن يضيع رجلاً قطُّ حفظ له دينه».

والأحداث التي مرت على رسول الله ﷺ في مكة، أو في الغار، أو طريق الهجرة، أو في غزواته، تبين حفظَ الله لنبيه ﷺ رغم الأهوال والأخطار.

ثم قال سبحانه في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحَجّ: ٣٨]، فذكر سبحانه صِفَتين: هما الخيانة، والكفر، وهما قبيحتان، فالخوان: هو الخائن في أمانة الله، وهي أوامره ونواهيه، والكفور: الجاحد لنعم الله، فلا يعترف بها.

بعدها نزلت أولُ آية بعد الهجرة في محمد ﷺ وأصحابه، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالي: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحَجّ: ٣٩]: «هو قادر على نَصْر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته».

وكانت جريرة هؤلاء الأولياء المستضعفين، أنهم أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن قالوا ربنا الله، فما كان إلى قومهم إساءة وأذى، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له.

فمن حكمة الله بخلقه أنه سبحانه قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ﴾ [الحَجّ: ٤٠]، قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لولا أن الله دفع بعض الناس ببعض لهُدِّم في كل شريعةِ نبيٍّ المكانُ الذي يصلى فيه، فكان لولا الدفع لهُدِم في

زمن موسى الكنائسُ التي كان يصلى فيها في شريعته، وفي زمن عيسى الصوامعُ والبِيَع، وفي زمن محمد المساجد».

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحَجّ: ٤٠]، أي: أن الله قوي غالب، فمن أراد نصرته نصره، ولو اجتمع عليه أقطار الدنيا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله».

بعدها ختم الله الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحَجّ: ٧٤]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان نصرهم مضموناً، لأن ناصرهم قدير على ذلك بالقوة والعزة».

وقد أنجز الله سبحانه وعده فسلّط المهاجرين والأنصارَ على صناديدِ قريش، وأكاسرةِ العجم وأقاصرتهم، وأورثهم أرضهم وديارهم، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧] و﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

فاللهم انصر عبادك المؤمنين..

الخطبة الثانية

إن معركةَ الحق والباطل دائمةٌ منذ بزوغِ فجرِ الرسالة، والله سبحانه ينصر أولياءه بِعُدَّتهم ولو كانت قليلة، قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩].

وقد ينصر أولياءه بدون قتال، كما حصل في الأحزاب وغيرها قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٩].

وقد يُلقي الله الرعب والهلع والجزع في قلوب أعداء أولياءه، كما حصل ليهود بني النضير، قال سبحانه في وصفهم ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحَشر: ٢].

وقد يكون هناك قتل وجراحات لأوليائه ولكن الله سبحانه لطف بهم، كما حصل في أُحدٍ حيث قُتل من الصحابة سبعون، وكان هدفُ المشركين استئصالَ حزبِ الرحمن، خاصةً بعد مقتل صناديدِ قريشٍ في بدر، ولله في حُكْمه وتدبيره لخلقه شؤون.

فاللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه

❖ ❖ ❖

الأحاديث النبوية

شرح حديث

«إنما الأعمال بالنيات»

من الأحاديث النبوية التي عليها مدارُ عملِ المسلم في جميع عباداته، قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» متفق عليه.

وقد اهتم العلماء بهذا الحديث العظيم، وجعلوه فاتحة مصنفاتهم، كالإمام البخاري وابن رجب وغيرهما، قال عبد الله بن مهدي رحمه الله: «من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بحديث: **(الأعمال بالنيات)**».

ولأهمية هذا الحديثِ وقوةِ مدلولاته، قال ابن رجب رحمه الله: «هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور الدين عليها»، وقال الشافعي رحمه الله: «هذا الحديث ثلث العلم»، وقال الإمام احمد رحمه الله: «أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: **(الأعمال بالنيات)**، وحديث عائشة: **(من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)**، وحديث النعمان بن بشير: «**الحلال بين والحرام بين**».

وصدق النية ومصاحبتها للعمل أهم الأعمال، قال عمر رضي الله عنه: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله عز وجل، والورع عما حرم الله عز وجل، وصدق النية فيما عند الله عز وجل».

هذا الحديث «**إنما الأعمال بالنيات**» عجيب في ألفاظه، فقائله أُعطي جوامع الكلم ﷺ، وغريبٌ في تفردُّ راويه، فالصحابة ﵃ مع أن عددهم كثير، لم يروه عن رسول الله إلا عمر ﵁ فقط، وتفرد بروايته عن عمر يحيى بنُ سعيد الأنصاري، ثم رواه عنه الخلق الكثير، والجم الغفير، فقيل: رواه أكثر من مائتي راوٍ، وقيل: سبعمائة راوٍ، واتفق العلماء على صحته وتلقيه بالقبول.

في قوله ﷺ: «**الأعمال بالنيات**»، كل عمل لازمَتْه نية صادقة فصاحبها مأجور على أدائها، قال الله سبحانه في وصف حال الفقراء الذين رغبوا مشاركة النبي ﷺ في تبوك وتَعذّر وجود الرَّحْل: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، قال النبي ﷺ فيهم: «**إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض**» وفي رواية: «**حبسهم العذر**» رواه مسلم، وعلى مثلهم قال النبي ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**» رواه مسلم.

وأما إذا كان العمل صالحاً وافتقد النية كان العمل هباء منثوراً، قال النبي ﷺ: «**رُب قتيل بين الصفين، الله أعلم بنيته**» رواه أحمد، وفي الصحيحين: «**أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانُه، فمن في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»، وقال النبي ﷺ: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به فعرَّفه نِعَمَه فعَرَفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأَنْ يقال جريء، فقد قيل، ثم**

أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تَعَلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتى به فَعرّفه نِعَمَه فَعرَفها، فقال: ما عملتَ فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن فيك، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قاريء فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتى به فعرّفه نِعَمَه فعرَفَها، فقال: فما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيه إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار» رواه مسلم، ولما بلغ معاويةَ ﷺ هذا الحديثُ بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق، قال: صدق الله ورسوله، قال الله ﷻ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هُود: ١٥-١٦].

ومسجد الضرار لمَّا عَلِم الله فساد نية متخذيه، حيث لم يُؤسَّسْ على تقوى من الله ورضوان، بل اتخذوه ضراراً، وكفراً، وتفريقاً لصف المسلمين، ومقراً للرَّصْد والإعداد لحرب المسلمين، أمر رسولُ الله بهدمه، قال سبحانه: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التّوبَة: ١٠٩].

وفقنا الله لطاعته، وأصلح لنا النية والذرية.

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

من وقفات هذا الحديث العظيم قوله عليه الصلاة والسلام: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر**» فالهجرة مع أن فيها انتقالاً من دار الكفر إلى دار الإسلام، إلا أنها تختلف باختلاف النيات، فإذا كانت هجرته إلى دار الإسلام، حباً لله ورسوله، ورغبة في تعلم دين الإسلام، وإظهار دينه، فهذا المهاجر حقاً، ـ وكفاه شرفاً ـ أنه حصل ما نواه من هجرته إلى الله ورسوله، وأما إذا كانت هجرته من دار الشرك إلى دار الإسلام لطلب دنيا يصيبها فهذا تاجر، أو امرأة ينكحها فهذا خاطب، ولهذا قال النبي ﷺ: «**فهجرته إلى ما هاجر إليه**» فلم يذكر إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، وهذا من باب التحقير لما طلبه.

فعلى المسلم أن يصلح نيته في أي عمل، وان يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

اللهم اجعل أعمالنا صالحة، ولوجهك الكريم خالصة.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

شرح حديث
«دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة»

الصحابة رضي الله عنهم خير القرون، وهم ألزمُ الأمةِ بالسنة، وأحرصهم على العمل، فحالهم رضي الله عنهم المنافسةُ فيما بينهم على السؤالِ عنها، وأداءِ الأعمال الصالحة، لما يترتب عليه من الثواب العظيم وهو الفوز بالجنة، والنجاةِ من النار، وقد وصف هذا الحالَ حذيفةُ رضي الله عنه بقوله: «**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني**» متفق عليه.

وفي الحديث المتفق عليه: «**أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة**» فأرشده النبي ﷺ إلى أركان الإسلام ودعائمه العظام، فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده! لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص، فلما ولى قال النبي ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**».

وهذا الحديث يشتمل على وصايا:

الوصية الأولى: «تعبد الله ولاتشرك به شيئاً»، ابتدأ النبي ﷺ بالأهم وهو تحقيقُ العبودية لله، وتعلُّقُ القلب بالله وحده، وتخليصُه من جميع ما يشوبها، وهو أصل دعوة الرسل عليهم السلام ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فيوحد المسلم ربه

في جميع شؤونه، ويخلص عبادته لله وحده فلا شريك معه، ولا ند، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣]، وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعَام: ١٦٢-١٦٣].

ولعظم من حققها قال أبو ذر رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق، قالها ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر، فخرج أبو ذر، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر» متفق عليه.

وقيل لوهب بن منبه: «أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك» رواه البخاري.

وأسنانُ مفتاح الجنة فعلُ ما أمر الله تعالى به، وترك ما نهى الله عنه، فمن حقق عبوديته لله فهو السعيد في الدارين، ويرجى له دخول الجنة، قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» رواه أبوداود.

الوصية الثانية: «وتقيم الصلاة المكتوبة» إقامتها تكون بتحقيق شروطها وأركانها وواجباتها وسننها، وقد أمر الله بالمحافظة عليها بقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨]، وقال النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه ابن ماجة.

ولأهميتها شرعت في السماء ليلةَ الإسراء والمعراج، وقال النبي ﷺ في فضل أدائها: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء

بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة» رواه أبو داود، وفي الحديث القدسي: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**» رواه البخاري، فالصلوات المفروضة محببة إلى الله أكثر من النوافل، وكذا صيام رمضان على صيام الاثنين والخميس، والزكاة على الصدقة، وحج الفريضة على التطوع، وهكذا كان النبي ﷺ: «**إذا حزبه أمر صلى**» رواه أبوداود، وفي حال الرخاء قال «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» رواه النسائي.

ولما دخل المِسور بنُ مخرمةَ على عمرَ بنِ الخطاب في الليلة التي طعن فيها، أيقظ عمرَ لصلاة الصبح، فقال عمر: «نعم، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى وجُرحُه يثعب دماً» رواه البيهقي.

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلَحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، والصلاة تزكي النفوس، وتسمو بالأخلاق، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

الوصية الثالثة: «وتؤدي الزكاة المفروضة» الزكاة هي: اسم لإخراج شي مخصوص، من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة، وفعل الزكاة من صفات عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤].

وزكاة المال تطهره من الحرام، وهي سبب لزيادته وبركتِه وكثرةِ نفعه، وعونٌ على استعماله في الطاعات، قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبَة: ١٠٣]، وبزكاة النفس وطهارتها يصير الإنسان زاكياً يستحق في الدنيا الأوصافَ المحمودة، وفي الآخرة الأجرَ

والمثوبة، وأداؤها سبب لدخول الجنة، قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم**» رواه الترمذي، وفي الزكاة تكاتف وترابط، وعطف ورحمة بين الغني والفقير، ولذا في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم**» رواه مسلم.

وعبَّر عن الزكاة بالأداء لا بالإقامة كما في الصلاة، لأنها لا تحتاج إلى خشوع وخضوع القلب، وإنما تحتاج إلى بذل مالٍ مع الإخلاص، والمفروضة هي المقدرة من الأموال والثمار والمواشي، وذِكْر «المفروضة» احترازٌ من صدقة التطوع.

والوصية الرابعة: «صوم رمضان»، وهو الإمساك عن أشياءَ مخصوصة، في وقت مخصوص، وقد ورد في فضله أن النبي ﷺ قال يوم حجة الوداع: «**اعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم**» رواه الترمذي.

وفي الجنة باب لا يدخله إلا الصائمون، فضلاً من الكريم سبحانه، قال النبي ﷺ: «**إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلن يدخل منه أحد**» رواه مسلم.

قال ابن القيم رحمه الله: في الصيام: «إنه لجام المتقين، وجُنَّةُ المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين».

وفي هذه الرواية لم يذكر الحج، لاحتمال سببين، ذكرهما ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولها: أن النبي ﷺ والإعرابي كانا في الحج، فلم يذكر النبي ﷺ الحج، وثانيها: أن الحج فُرِض متأخراً في السنة التاسعة من الهجرة، ولقاء النبي ﷺ مع الإعرابي قبل فرض الحج.

ولما انتهى النبي ﷺ من وصيته قال الأعرابي: **«والذي نفسي بيده! لا أزيد على هذا»**، فليس مراد الإعرابي أنه لا يعمل شيئاً من شرائع الإسلام وواجباته، بل إن سؤاله كان عن الأعمال التي تُدخل الجنة، وقيل: إن هذا الإعرابيَّ حديثُ إسلام، فأمره النبي ﷺ بفعل ما أوجب الله عليه لئلا يثقل عليه ذلك فَيَملّ.

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه..

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

لما ولّى الأعرابي ـ أي انصرف ـ قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**». قال الامام النووي رحمه الله: «الظاهر منه: أن النبي ﷺ عَلِم أنه يُوفِي بما التزم، وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة»، كما كان لأهل بدر وغيرِهم فلذلك شهد له بالجنة، أما نحن فلا نشهد لأحد بجنة أو بنار لأننا لا نعلم بم يُختم على العبد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «نقول: من فعل كذا دخل الجنة، ومن فعل كذا دخل النار، لا يجزم لمعين لكن يرجى للمحسن ويخاف على المسيئ».

والشهادة بالجنة شهادتان:

شهادة وصف وشهادة شخص، فنشهد لكل مؤمن ومؤمنة وتقي وتقية دون تعيين أنه من أهل الجنة، كما ذكر الله تعالى في كتابه فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٢]، وقولِه سبحانه ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣].

والشهادة الثانية: شهادة شخص، فإنا نشهد لمن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة كالعشرة، وبلالِ بنِ رباح، وعبدِ الله بنِ سلام، وسعدِ بنِ معاذ، وعكاشةَ بنِ محْصن، وأنسِ بنِ مالك، والمرأةِ السوداءِ التي تصرع، والأعرابيِّ الذي في هذا الحديث.

فالوصايا المذكورة هي أركان الإسلام ومبانيه العظام، فبدأ بتوحيد

الله لأنه الأهم، ثم الصلاةِ لأنها عمود الدين ولتكرارِها كلَّ يوم خمس مرات، ثم الزكاة لكونها قرينة للصلاة في أكثر المواضع في كتاب الله وسنة رسول الله، ثم الصوم لتكراره كل سنة، والحج مرة في العمر.

فهذه أسبابٌ مقتضيةٌ لدخول الجنة، كما في حديث معاذ ﷺ: «قلت يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» رواه الترمذي.

والأحاديث متعددة في ذلك: بعضها يرتب ثواب الجنة على كلمة التوحيد، وبعضها يرتب ثواب الجنة على الصلاة، وكذا الصيامُ والزكاةُ والحجُ إذا فعلت مع اجتماع الشروط وانتفاءِ الموانع، أو إذا فُعلت هذه الأفعالُ مع الإتيان بالتوحيد؛ لأنه به تصح الصلاة، وتقبل الزكاة، ويصح الصيام... إلى آخره.

وليحذر المسلم من ارتكاب المحرمات، واقتراف الكبائر والموبقات، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «من مات على هذا، كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا - ونصب أصبعيه - ما لم يعق والديه» رواه أحمد.

جعلنا الله ممن قام بشريعته حق القيام.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

شرح حديث «سبعة يظلهم اللّه في ظله»

من رحمة الله بعباده أن جعل لهم من الثواب على أعمالهم ما تهنأُ به نفوسُهم، وَتَقرُّ به عيونُهم، فيزدادوا عملاً إلى عملهم، وحرصاً إلى حرصهم، ومن جملة ما ذكره النبي ﷺ من ثواب من اتصف بالصفات الفاضلة، والأعمال الحميدة، ما جاء في الحديث المتفق عليه: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

هذا الحديث حوى جملة ممن اتصفوا بصفات كريمة في الدنيا، تحلوا بها، وتخلقّوا بآدابها، فوُعدوا بالثواب الجزيل، والخير العميم، والمراد بهؤلاء السبعة: سبعة أصناف وليس المرادُ سبعةَ أشخاص، وهم لا ينحصرون في عدد معين، وقد تتعدد الأصناف أيضاً فليست مقصورة على السبعة الواردة في الحديث فقط، فقد ذكر الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من عشرين صنفاً يظلهم الله في ظله، مثل: «من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم. وكإظلال الغازي، وعونِ المجاهد، وإرفادِ الغارم، وعونِ المكاتب، والتاجرِ الصدوق.

وإضافة الظل لله سبحانه، إضافة تشريف ـ كبيت الله، وناقة الله ـ

والظل ليس ظلَّ العرش، وإنما ظلٌّ يخلقه الله لأهل هذه الأصناف على الكيفية التي يعلمها سبحانه، والشمس العظيمة تدنو من رؤوس الخلائق قدر ميل ـ قيل: ميل مسافة، وقيل: ميل المكحلة ـ في يوم وصفه الله: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعَارج: ٤]، فيخص الله فئاماً من الناس في هذا الظل الحقيقي:

أولاهم: الإمام العادل وهو الذي يحكم بشريعة الله حكماً وعملاً، وهو من يضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط، وبدأ به النبي ﷺ لكثرة مصالحه، وعموم نفعه.

ولأن الإمامَ العادلَ مصلحتُه تَعُمُّ المسلمين، وتنفعهم، فيقيم فيهم شرع الله، ويحكم فيهم بالعدل، وينصف مظلومهم من ظالمهم، ويعينهم على طاعة الله ﷻ، فلهذا صار أولَ هؤلاء السبعة، ويدخل فيه القاضي، وكل من ولي أمراً من أمور المسلمين، وقد ورد أن: «**المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما وَلُوا**» رواه مسلم.

والثاني: شاب نشأ في عبادة الله، وقد نقل ابن حجر رحمه الله زيادة: «حتى توفي على ذلك» و «أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله».

وخص فترة الشباب لأن العبادة في الشباب أشدُّ، وأشقُّ، لكثرة الدواعي، وغلبةِ الشهوات، وقوةِ البواعث على اتباع الهوى، وهذا الشاب قد أفنى شبابه ونشاطَه طيلةَ عمره في عبادة الله، فذنوبه قليلة وحسناته كثيرة، وقد ورد في الحديث: «**إن ربك ليعجب للشاب لا صبوة له**»، فالشاب الناشئ في العبادة له شأن في فقهه وعلمه ونصحه، لكونه قد تربى على العلم والفضل والعمل والعبادة والخير، فيكون بذلك نافعاً لنفسه ولغيره، ولأن الشاب عند كبره قد يتقلد المناصب ويتحلى

بالفضائل، ويكون إماماً في العلم، وقد يتخلق بالأخلاق الواردة في هذا الحديث.

والثالث: رجل قلبه معلق بالمساجد، شبَّهه بالشيء المعلق في المساجد كالقنديل والسراج مثلاً، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه، وإن كان جسده خارجاً عنه، فهو يألف الصلاة ويحبها، وكلما فرغ من صلاةٍ إذا هو يتطلع للأخرى، لِمَا للصلاة من تجدد صلة العبد بربه، وهذا المصلي لمَّا آثر طاعة الله، وأوى إلى الله، أظله في ظله.

والرابع: رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه،تحابا في الله لا لأجل مالٍ ولا جاهٍ ولا نسب، ولكنه رآه قائماً بطاعة الله فأحبه، وهذه المحبة اجتمعا عليها في الدنيا، وبقيت بينهما حتى فرق بينهما الموت، وهما على ذلك.

وقد ورد في فضل المحبة في الله ما قال النبي ﷺ: «**يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي**» رواه مسلم، وقال النبي ﷺ: «**إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته مَلكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله ﷻ**، قال إني رسول الله إليك، بإن الله قد أحبك كما أحببته فيه» رواه مسلم.

الخامس: رجل دعته امرأةٌ ذاتُ منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، وذات منصب: يعني شريفة ليست دنيئة، والجمال أمر يدعو النفس إلى التطلع للمرأة، والمنصب يستلزم المال، فاجتمع منصبٌ ومالٌ وجمال، وهي أمور قلَّ أن تجتمع في امرأة، وخص المنصب والجمال، لكثرة الرغبة فيها، وعسر حصولها، لكن هذا الرجل لم يتأثر بالمغريات،

بل قال: إني أخاف الله، فلم يخف غير الله، كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لامرأة العزيز معاذ الله، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما يصدر ذلك عن شدة خوف من الله، ومتين تقوى وحياء».

جعلنا الله من أهل البذل والعطاء والعفاف.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ومن الأصناف السبعة: رجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، والصدقة سميت بذلك لدلالتها على صدق باذلها، وهي بركةٌ في المال وتزيده، قال سبحانه ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سَبَإ: ٣٩]، وفي الحديث: «**ما نقصت صدقة من مال**» رواه مسلم، وهذا الرجل تصدق بصدقه مخلصاً فيها بقلبه، حتى ولو كان أحدٌ عن شماله ما علم بتلك الصدقة، لشدة إخفائها، وصدقة التطوع في السر أفضل، لأنها أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء.

والصدقة فيها تفريج هَمّ، وتنفيسُ كرب، وعطفٌ، ورحمةٌ، والصدقة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «عَجَبٌ من العُجاب».

والصنف الأخير في هذا الحديث: رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ذِكْرُ الله أمرنا الله سبحانه بالإكثار منه، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٤١]، وأوصى النبيُّ ﷺ الرجل فقال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**» رواه الترمذي، وهذا الرجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، شوقاً إلى ربه، وكان خالياً ليس عنده أحد، أو أنه خالي القلب من الدنيا وزخارفها، فقلبه خالٍ إلا من ذكر الله في هذه الخلوة القلبية والمكانية.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنبيهاً بعد شرحه لهذا الحديث: «إن هذه الخصالَ السبعة، يشترك فيها النساء إذا كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى، وإلا فيمكن دخول المرأة حين تكون ذات عيال، فتعدل فيهم كما في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن: «**المرأة راعية في بيت زوجها**،

ومسئولة عن رعيتها» رواه البخاري، وتخرج أيضاً خصلة ملازمة المسجد، لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد، وما عدا ذلك فالمشاركة حاصلة لهن».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ذَكَرَ النبي ﷺ هؤلاء السبعة، إذ كلٌّ منهم كَمَّل العبادة التي قام بها، فالإمام العادل كمَّل ما يجب من الإمارة، والشاب الناشئ في عبادة الله كمَّل ما يجب من عبادة الله، والذي قلبه معلق بالمساجد كمَّل عمارة المساجد بالصلوات الخمس؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، والعفيف كمَّل الخوف من الله، والمتصدق كمّل الصدقة، والباكي كمّل الإخلاص».

وهؤلاء المتصفون بهذه الصفات قد خالفوا هواهم، وجاهدوا أنفسهم على تحقيق أمر ربهم، قال ابن القيم رحمه الله: «فإن الإمام المسَلَّط القادرَ لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المُؤْثِر لعبادة الله على داعي شبابه، لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد، إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المُخْفيُّ لصدقته عن شماله، لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك، والذي دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل وخالف هواه، والذي ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشيته، إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لِحرِّ الموقف وعَرَقِه وشدتِه سبيلٌ عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحرُّ والعرقُ كلَّ مبلغ، وهم ينتظرون بعد هذا دخول سجن الهوى».

جعلنا الله وإياكم ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه

❖ ❖ ❖

شرح حديث
«أيُّ العمل أحبُّ إلى اللّه»

الدين الإسلامي أُسُسُه راسخة، وقواعده ثابتة، وأحكامه سهلة ميسرة، وأعماله متنوعة، فيؤدي المسلم شرائعَه، الفاضلَ قبل المفضول، والأهمَّ فالمهم، اغتناماً للأجر، واستباقاً لأداء الخير. وقد وردت أحوال، وأزمان، وأماكنُ فاضلة، تُضاعَف فيها الخيرات، وتعلو فيها الدرجات. وقد سأل عبد الله بن مسعود ﵁ النبي ﷺ: «**أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: بر الوالدين قلت: ثم أيٌّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله**» متفق عليه.

هذا الحديث فيه معانٍ عديدة، وفوائدُ كثيرة، فيظهر فيه حرص الصحابة ﵃ على تعلم أمور دينهم، كما ثبت ذلك في الصحاح، فيأتي الرجل للنبي ﷺ فيقول: يا رسول الله أوصني، وتارة يأتي الرجل ويقول دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، وتارة يُسأل النبيُّ ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، وهكذا حالهم، وأُجمل ذلك في قول حذيفة ﵁: «كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» متفق عليه.

وخَصّ عبدُ الله بنُ مسعودٍ ﵁ سؤالَه عن العمل المحبب إلى الله، لأن ثوابه كبير، وأجره عظيم، فأجابه النبي ﷺ بثلاثة أعمال: الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله. فالصلاة عمود الدين،

وبر الوالدين وفاء لبعض حقهما، والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام.

فبدأ ﷺ بالصلاة على وقتها لأهميتها، فهي أول ركن بعد الشهادتين، وهي سببٌ لدخول الجنة، كما في الحديث: «من صلى البَردين دخل الجنة وفي الحديث: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة» رواه النسائي.

وأداء الصلاة يكون في بيوت الله، قال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]، «أتى رجل أعمى إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسولَ الله ﷺ أن يرخص له فيصلى في بيته، فرخص له، فلما ولّى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة، فقال: نعم قال: فأجب» رواه مسلم.

ولأهميتها فإن شرائع الإسلام فرضت في الأرض، إلا الصلاة فقد فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج، وتتأكد أهميتها أن الله لم يسقطها عن أي مسلم، مميز، يعقل، فالمريض يصلي على الهيئة التي يستطيعها، قال النبي ﷺ: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه البخاري. والمقاتلون في سبيل الله يؤدون صلاتهم بحالةٍ شرعها الله لهم تسمى صلاة الخوف، دون تأخير عن وقتها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن أخر الصلاة عن وقتها فقد أتى باباً من الكبائر».

والعمل الثاني: المحبب إلى الله تعالى بر الوالدين، فالله سبحانه قرن حقه بحق الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمَان: ١٤]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فبايعه على الجهاد، وقال تركت أبويّ يبكيان، فقال: «**ارجع فأضحكهما، كما أبكيتهما**» رواه أبو داود وابن حبان، ولهما أيضاً من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما**». والله أوصى بالبر بهما، ولو كانا كافرين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمَان: ١٥]، وسأل رجلٌ ابنَ عمر رضي الله عنهما وهو حامل أمه على ظهره يطوف بها فقال يا ابن عمر أتراني جازيت أمي؟ فقال: «ولا طلقة من طلقاتها، ولكن الله يجزي العمل القليل بالكثير». وبكى الحارث العَكِّيُّ رحمه الله في جنازة أمه، وقال: «أُغلق عني باب من أبواب الجنة». وبرُّ الوالدين في حياتهما يكون بالكلمة الطيبة، والفعل الحميد، وبعد وفاتهما بالدعاء لهما، وإنفاذ وصيتهما، وإكرام صديقهما.

وضد برهما عقوقُهما، وقد وردت آياتٌ وأحاديثٌ تبين خطورة ذلك: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣-٢٤]. وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «**يا رسول الله! ما الكبائر؟ قال: الإشراك بالله، قال: ثم ماذا قال: ثم عقوق الوالدين، قال ثم ماذا؟ قال: اليمين الغموس قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: الذي يقتطع مال امرئ مسلم هو فيها كاذب**» رواه البخاري، وفي رواية أخرى قال: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

العمل الثالث: الذي أبانه الرسول ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه الجهاد في سبيل الله، فالجهاد جهادان: جهاد العدو، وجهاد النفس.

فأما جهاد العدو: فهو ما كان لإعلاء كلمة الإسلام، قال أبو موسى رضي الله عنه: «**سُئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**» متفق عليه، وجهاد العدو له ضوابط وضعتها الشريعة حفاظاً على دم المسلم وغيره.

وقد جعل الله للشهداء منزلة كبيرة في الآخرة، جزاءً على ما قدموا أرواحهم نصرة للدين، ورفعة لكلمة التوحيد، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: ٦٩]، ويُبعث الشهيد على ما مات عليه، قال النبي ﷺ «**لا يُكْلَم أحد في سبيل الله عز وجل - والله أعلم بمن يُكْلَمَ في سبيله -، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**» متفق عليه.

ومن رحمة الله أن جعل أصناف الشهداء كثيرة، قال النبي ﷺ «**ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله! من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذا لقليل، قالوا فمن هم يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد**» رواه مسلم، وفي حديث آخر: **الشهداء خمسة: المطعون،**

والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد فى سبيل الله ﷻ» متفق عليه، وعند الإمام أحمد «**والنفساء يقتلها ولدها**»، وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دِينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**» أخرجه أبو داود والترمذي.

وفَضْل الله واسع، وأجره كبير، قال النبي ﷺ: «**ومن سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» رواه مسلم.

والجهاد الثاني: جهاد النفس، فهو جهاد لا دماء فيه، ولا أشلاء، قال ابن رجب رحمه الله: «جهاد النفس عن الهوى من أعظم الجهاد»، قال النبي ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في الله**» رواه الترمذي، وعندما سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الجهاد قال: «ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فأعزها»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم».

وقد أجمل الطبري رحمه الله سبب ورود هذه الأعمالِ الفاضلةِ الثلاثةِ في هذا الحديث فقال: «لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات، فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مُؤْنتها عليه، وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل براً، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك، فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع».

فاللهم إنا نسألك عيش السعداء، وموت الشهداء، ومرافقة الأنبياء.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

شرح حديث: «أي الأعمال أفضل»

جاءت السنة النبوية بتفاضل ثواب الأعمال الصالحة، وهذا من رحمة الله بعباده، فمن أراد العمل سعى إليه قدر وسعه واستطاعته، لينال بذلك أرفع الدرجات.

قال أبو ذر رضي الله عنه: «قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال الإيمان بالله والجهاد في سبيله، قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفَسُها عند أهلها وأكثرها ثمناً، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق، قلت: يا رسول الله ! أرأيت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟ قال: تكُفُّ شَرَّك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك» رواه مسلم.

هذا الحديث النبوي الشريف بيّن موضوعاتٍ متفرقة، وأعمالاً فاضلة، دلالةً للعامِلين، ورفعاً لهمة المتنافسين.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الصالح، بل ويسألون عن أفضله، طمعاً في زيادة الأجور، ورفع الدرجات، وتخصيص السؤال عن الأعمال الفاضلة أو المحبوبة إلى الله، لأن أجرها كبير، وثوابها عظيم، كما أن سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم هو سؤال أدب، واحترام، وإجلال، مع أداء بما علموه.

وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بالإيمان بالله، لأنه أفضل الأعمال كلِّها، ولأنه متقدم عليها، وشرطٌ في صحتها، فلا يصح عمل بلا إيمان، لأن متعلق الإيمان هو بالله تعالى، وكتبه، ورسله، ولا أشرف من ذلك،

وقد وصى النبي ﷺ سفيانَ بن عبدِ الله رضي الله عنه حين قال: «يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: قل: آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم.

ثم ثنَّى النبي ﷺ بالجهاد في سبيل الله، فهو من أفضل الأعمال، وقد ذكر الله فضله بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال النبي ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم القائم، وتوكَّلَ الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة» رواه البخاري، وعند مسلم «والذي نفس محمد بيده! ما من كَلْم يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم، لونه لون دم، وريحه مسك، والذي نفس محمد بيده! لولا أن يشق على المسلمين ما قعْدتُ خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سَعَة فأحمِلهم ولا يجدون سَعَة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى، والذي نفس محمد بيده! لوددت أنى أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل».

وسأل رجل النبي ﷺ فقال أي الناس أفضل؟ فقال: «رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، قال: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب، يعبد الله ربه ويدع الناس من شره» رواه مسلم.

وقد قَدَّم النبي ﷺ بر الوالدين كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه على الجهاد في سبيل الله، وذلك لاختلاف حال السائل، فقد يكون والداه

على قيد الحياة، ولذا قال النبي ﷺ للرجل حين استأذنه في الجهاد قال: «**أحي والداك؟ قال: نعم ففيهما فجاهد**» متفق عليه.

ثم بيّن النبي ﷺ أن الرقاب ذاتَ الغبطةِ والرفعة هي الفاضلة في العتق، والمال النفيس هو المرغَّب فيه في البذل والعطاء، وهو من تعظيم شعائر الله، قال المولى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عِمرَان: ٩٢]، وقد رغب النبي ﷺ بعتق الرقاب فقال: «**من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار، حتى يعتق فَرْجه بفرجه**» متفق عليه.

بعدها سئل الراوي إذا لم يُؤد الجهاد، أو يعتق الرقاب، لأن الإيمان لا بد من تحقيقه، فقال «**فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً، أو تصنع لأخرق**»، فالصانع صاحب الحرفة المتخصص بها، والأخرق الذي لا صنعة له.

ومعنى الحديث: أنك لابد أن تعمل في يومك وليلتك بالعمل النافع، فإن لم يكن من جهاد، وعتق رقاب، فإن المسلم حياتُه دائماً في خير وتكاتف، لذا قال للنبي ﷺ تعين صانعاً بما تكون الإعانة به، أو تَصْنع لأخرق بما يكفل له من أداء العمل، حتى يكون به كسب قوته له ولعياله.

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ختم أبو ذر ﵁ سؤاله للنبي ﷺ بعدما ذكر الأعمال الفاضلة بقوله: «أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تَكُفُّ شَرّكَ عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «ففي هذا الحديث أنه أوجب الصدقة على كل مسلم، وجعلها خمس مراتب على البدل: الأولى الصدقة بماله، فإن لم يجد اكتسب المال فنفع وتصدق، وفيه دليل وجوب الكسب، فإن لم يستطع فيعين المحتاج ببدنه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يفعل فيكف عن الشر، فالأُوليان تقع بمال إما بموجود أو بمكسوب، والأُخريان تقع ببدن إما بيد وإما بلسان».

قال القرطبي ﵀: «فيه دليل على أن الكفَّ فعلٌ للإنسان، داخلٌ تحت كسبه، ويؤجر عليه، ويعاقب على تركه»، ومن آمن بالله حق الإيمان وجاهد نفسه وعدوه، وبذل ماله في سبيل الخير، ومن أفضلها عتق الرقاب، فإن ضعف عن عمل، فلا يمنعه من معونة الآخرين بماله أو برأيه، فإن لم يكن من إحدى الفئتين فليكف شره عن عباد الله، وليعلم أن الله قادر عليه.

عمر الله أيامنا بالطاعات، وختمها بالصالحات.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

شرح حديث
«ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا»

لما استكبر إبليس لعنه الله عن أمر الله في السجود، وذكر الله مآله ومآل أتباعه، سلك مسالك عديدة لغواية الإنسان، فقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]، ولا يزال الشيطان في تزيين العمل السيئ، حتى يوبقَ صاحبَه مزالقَ الردى والرذيلة، ونصوص الشريعة تدل على رفعة درجات المسلم وتكفير سيئاته، قال النبي ﷺ في خبر ألقاه على مسامع الصحابة رضي الله عنهم: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الله الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**» رواه مسلم.

ساق النبي ﷺ بداية الحديث على سبيل الاستفهام من أجل أن يتنبه السامع لما يُلقى إليه، لأن الأمر مهم، ومثله حديث: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا...**» رواه مسلم.

في قوله عليه السلام «**ألا أدلكم...**»، فيه بشارات من النبي ﷺ لأمته في

دلالتهم على رفع درجاتهم، والحط عن سيئاتهم، وهي من الأخبار الغيبية المتعلقة باليوم الآخر التي أطلع الله نبيّه ﷺ عليها.

وفي قوله ﷺ: «**ما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الله الدرجات**» قال القاضي عياض رحمه الله: «محو الخطايا كناية عن غفرانها، ويحتمل محوها من كتاب الحفظة، وأما رفع الدرجات فهو إعلاء المنازل في الجنة».

وفي هذا الحديث ثلاث عبادات بدنية،

أولها: «إسباغ الوضوء على المكاره» دلّ القرآن الكريم على أن الوضوء مُكفّرٌ للذنوب، كما في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المَائدة: ٦] ففي قوله: ﴿لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾، يشمل طهارةَ ظاهرِ البدنِ بالماء، وطهارةَ الباطنِ من الذنوب والخطايا، وإتمام النعمة إنما تحصل بمغفرة الذنوب، وقال النبي ﷺ: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يديه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب**» رواه مسلم.

و«**إسباغ الوضوء على المكاره**» هو إتمام الوضوء باستيعاب جميع الأعضاء بالغسل والمسح في أيام الشتاء لصلاة النافلة، لأن الماء يكون فيها بارد، وتحصل بذلك المشقة على النفس، فإذا فعل ذلك دل هذا على كمال الإيمان، فيرفع الله بذلك الدرجات، ويحط الخطيئات، وإذا

توفر الماء الدافئ فالأولى استخدامه، وقد ورد في فضل الوضوء أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وُضوءه، يقوم فيصلى ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» رواه مسلم، وإذا قال العبد عند فراغه من الوضوء أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله «إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» رواه مسلم.

والعبادة الثانية في الحديث: «كثرة الخطا إلى المساجد» فيه أهمية أداء الصلاة جماعة في المساجد، ولذا حرص الصحابة رضي الله عنهم على أدائها، قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: «كان رجل من الأنصار لا أعلم أحداً أبعد من المسجد منه، وكانت لا تُخْطِؤه صلاة، فقيل: لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي جنب المسجد، إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلي المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال النبي ﷺ: قد جمع الله لك ذلك كلَّه» رواه مسلم، ولما أراد بنو سَلِمة القرب من مسجد النبي ﷺ بلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «بني سَلِمة! ديارَكم تكتب آثارُكم، ديارَكم تكتب آثارُكم» رواه مسلم. وكثرة الخُطا سبب لتكفير الذنوب، ورفعةِ الدرجات، قال النبي ﷺ: «من تطهّر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه: إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة» رواه مسلم. وفي الصحيحين «وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة».

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا سخطه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الوصية الأخيرة من هذا الحديث العظيم: «**انتظار الصلاة بعد الصلاة**»، فالمنتظر للصلاة يدل على محبته لها، وشوقه إلى أدائها، فكلما فرغ من صلاة، إذا بقلبه متعلق بالصلاة التي تليها ينتظرها، وورد من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**رجل قلبه معلق بالمساجد**»، وسواء انتظر الصلاة قبلها، أو بعدها، فهو في صلاة.

أما قبلها فقال أنس ﷺ: «**لما أخّر النبي ﷺ صلاة العشاء الآخرة، ثم خرج فصلى بهم، قال لهم: إنكم لم تزالوا في صلاةٍ ما انتظرتم الصلاة**» متفق عليه، وفيهما أيضاً عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يُحْدث، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة، ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة**».

وأما بعدها: فقال النبي ﷺ: «**منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارسٍ اشتد به فرسه في سبيل الله على كَشْحِهِ، تُصلي عليه ملائكة الله ما لم يُحْدث أو يقوم، وهو في الرباط الأكبر**» رواه الامام احمد.

وانتظار الصلاة فيه من الخيرات العميمة المتتابعة - من الجلوس لذكر الله المطلق، أو بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، وتلاوةِ القرآن الكريم، وسماعِ مجالس العلم، ـ فإن النبي ﷺ قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**» رواه مسلم، ومن الخيرات

إدراك الصلاة المنتظرة، والترديد مع المؤذن، والدعاء بين الأذان والإقامة، وصلاة النافلة بين الأذانين، وحيازة الصف الأول، والقرب من الإمام، وإدراك تكبيرة الإحرام.

وفي نهاية الحديث ذكر النبي ﷺ، قوله: «**فذلكم الرباط**»، وفي الموطأ تكرار «**فذلكم الرباط**» ثلاث مرات، وتكراره ﷺ للاهتمام به، وتعظيم شأنه.

وأصل الرباط: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها، فشبه المواظبَ على الطهارة والعبادةِ كالجهاد في سبيل الله، وقيل: إن الرباط: اسم لما يربط به الشيء، بمعنى أن هذه الأعمالَ تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عنها.

فإذا توضأ بإسباغ الوضوء على المكاره، وخطا إلى المسجد، وانتظر الصلاة، فإنه سيكون مقبلاً على عبادةٍ أَمَرَ بها مولاه، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه في الوضوءِ: إنه يكفر الجراحات الصغار، والمشي إلى المساجد يُكفِّر أكبرَ من ذلك، والصلاة تُكفِّر أكبرَ من ذلك.

وإذا كان هذا الثواب العظيم، والأجر الجزيل للأعمال الثلاثة في هذا الحديث، والتي تؤدي قبل الصلاة، فما بالكم بثواب الصلاة نفسها؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمحافظ على الصلاة أقرب إلى الرحمة ممن لم يصلها ولو فعل ما فعل».

فاللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

شرح حديث
«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس»

نِعَم الله على عباده كثيرة، وعديدة، قال سبحانه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ومن أهم النعم بعد نعمة الإسلام نعمة الصحة والفراغ، لذا بوّب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ باباً سماه: باب ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، وأورد فيه حديث النبي ﷺ أنه قال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**».

والمغبون الوارد في قوله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما** - أي الخاسر - **كثير من الناس**». هو: من صح بدنه وتفرغ من الأشغال العائقة له ولمن يعول، ولم يَسْعَ لصلاح آخرته، فهو كالمغبون في البيع أي خاسر، والمرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً مُؤْنَةَ العيشِ في الدنيا، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يخسرهما.

قال الإمام ابن بَطّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما يستعان به على دفع الغبن، أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، فَمَنَّ عليهم بصحة الأجسام، وسلامة العقول، وتضمن أرزاقهم، وضاعف لهم الحسنات، ولم يضاعف عليهم السيئات، وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، يشكروه عليها بأحرف يسيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلوداً

دائماً في جنة لا انقضاء لها، مع ما ادخر لمن أطاعه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أمعن النظر في هذا، كان حَرِياً ألا يذهب عنه وقتٌ من صحته وفراغه إلا وينفقه في طاعة ربه»، ولذا قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفِيْمَ أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**» رواه الترمذي.

والصحة في الأبدان، يُسأَل المرء عنها يوم القيامة بما أدى بأعضائه من خير أو شر، قال النبي ﷺ: «**إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة** ـ يعني العبد من النعيم ـ **أن يقال له: ألم نُصِحَّ لك جسمك، ونُرْوِيك من الماء البارد**» رواه الترمذي.

وكان من دعاء النبي ﷺ في كل غداة: «**اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت**» رواه أبو داود.

ومن دعائه أيضاً ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**» رواه مسلم، وقال النبي ﷺ لعمه العباس: «**سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة**» رواه الترمذي.

وليعلم المسلم أن نعم الله على عباده نعمٌ متتابعة - نعمةُ الصحة، والفراغِ، والعقلِ، والإدراكِ، والمالِ، والأمنِ، والأمانِ، والغذاءِ، وقبلها الإيمان - وجِمَاع ذلك ما ذكره رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بأسرها**» رواه ابن ماجه.

وإن الموفَّق من يُسَخِّر هذه النعم المتتابعة في مرضاة الله، فيتقرب إلى مولاه بأنواع من الطاعات، فيلزم أوراده اليومية في صباحه ومسائه، يتلو فيها كلام الله، وينهل من سنة رسول الله ﷺ، ويلزم حلقاتِ العلماءِ الربانيين، ويتصدق بما يَسَّر الله له من ماله.

نسأل الله ﷻ أن يستعملنا في طاعته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم..

الخطبة الثانية

الدنيا دار عمل وابتلاء، ولا يَسْلم العبد فيها من سقم يكدر صفو حياته، ومرضٍ يوهن قوته ويُضعف حاله.

والبلاء والشدة تقرب العبد من ربه وتوقظه من سباته ؛ ليرى نعم الله عليه صباح مساء، قال النبي ﷺ: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من المعافاة**» رواه البخاري في الأدب المفرد، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا شيئاً أفضلَ من العافية».

والعفو: هو المحو من الذنوب، والعافيةُ هي السلامةُ من الأسقام والبلايا والأمراض.

فالصحة والعافية هي أغلى نعمةٍ بعد نعمة الهداية إلى الإسلام، وهي التي تجعل العبد قادراً على أداء الفرائض في المساجد، والصيامِ مع جموع المسلمين، وأداءِ الحج، وغيرِها.

لذا فليحمد الله كلُّ من أسبغ الله عليه من نعمة ظاهرة وباطنه، وليستعملها فيما يرضي ربه، ومن ابتلاه الله عز وجل بمرض، فإن النبي ﷺ قال: «**من يرد الله به خيراً يصب منه**» رواه البخاري. ومعنى «**يُصب منه**» أي: يبتله بالمصائب ليطهره من الذنوب في الدنيا، فيلقى الله تعالى نقياً، ويستعينُ على كشف ما ألمَّ بِه، بالصبر والدعاء، وبالبذل والعطاء.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، ونعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه..

شرح حديث

المرأة السوداء التي تصرع

جاء في الحديث الصحيح أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعطاء بن أبي رباح: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: **إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها**» ولنا في هذا الحديث وقفات:

أولاها: أن النبي ﷺ أبٌ حانٍ لفئات الناس - صغيرِهم وكبيرِهم، ذكرِهم وأنثاهُم، صحيحِهم ومريضِهم، غنيهِم وفقيرِهم - ويتمثل ذلك في مجيئ هذه المرأة للنبي ﷺ تشكو اعتلال صحتها مدركةً أنها ستجد قولاً سديداً يكشف ما أهمها، ويزيل ما أغمها.

ثاني هذه الوقفات: أن ما يصيب المسلم من آلام ومصائبَ مدّخرةٌ أجورها له في الآخرة، قال النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتَليتُ عبدي بحبيبتَيه، فصبَر، عوَّضته منهما الجنة**» يريد ـ عينيه ـ رواه البخاري، وهي كفارةٌ له، قال النبي ﷺ: «**ما يصيب المؤمنَ من شوكة فما فوقها، إلا رفعه الله بها درجة، أو حط عنه بها خطيئة**» رواه مسلم، وقال ﷺ: «**ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة يمرض مرضاً إلا قضى الله عنه من خطاياه**» رواه البخاري في الأدب المفرد.

بل وحتى ما يحب المرء من قريب، أو صديق، ثم فقده فصبر، كان له جزاءٌ وافرٌ مدخر، قال النبي ﷺ: «**قال الله ﷻ: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ من أهل الدُّنيا، ثم احتسبه إلاّ الجنَّة**» رواه البخاري.

ثالثها: أن الصرع نوعان: نوع ناتج من الأخلاط الرديئة - كما ذكرها ابن القيم رحمه الله وهذه يتكلم عنها الأطباء في علاجه وأسبابه. ونوع ناتج من الأرواح الخبيثة، وهو ناتج عن إيذاء الجن، وعلاجه يكون في صدق التوجه إلى الله، والقيام بالأوراد والأدعية الشرعية، وقد ذُكِر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه كان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ومن هذه الوقفات: محبة النبي ﷺ لهذه المرأة، ولجميع أمته، وذلك في تخييرها بين أمرين كليهما حَسَن، الصبر على المرض ولها الجنة، أو الدعاء بأن يعافيها من مرضها، والأمثلة في محبة النبي ﷺ لأمته كثيرة كما في حديث الشفاعة عند قول النبي ﷺ: «**يا رب! أمتي أمتي**» وقد بوب الإمامُ مسلمٌ «بابُ دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائِه شفقة عليهم».

ومن الوقفات أيضاً: أن النبي ﷺ شهد لهذه المرأة بالجنة، والشهادة بالجنة نوعان: شهادة شخص، كمن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة بأشخاصهم كالعشرة، وعبد الله بن سلام، وسعد بن معاذ، وعُكَّاشةَ بنِ مِحْصن، وغيرهم رضي الله عنهم.

وشهادة وصف: فنشهد لكل مؤمنٍ، مُتقٍ، دون تعيين، كما ذكر الله ذلك في كتابه فقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣].

ومذهب أهل السنة والجماعة في الشهادة بالجنة: أنهم لا يشهدون لأحد بجنةٍ أو نار إلا من شهد له النص بذلك، ونقول كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «من فعل كذا دخل الجنة، ومن فعل كذا دخل النار»، لا نجزم لمُعين، لكن يُرجى للمحسن، ويُخاف على المسيء.

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ومن الوقفات في هذا الحديث المبارك: أن هذه المرأة وهي أم زُفَرَ ﵂ طلبت من النبي ﷺ أن يدعوَ لها أن لا تتكشفَ في حال ذهاب عقلها حفاظاً على سترها وعفافها، ولذا ذُكر عنها أنها ﵂ كانت تتعلق بأستار الكعبة إذا خشيت أن يأتيها الصرع.

وهذه نموذج للمسلمات في الستر، وقد أمر الله نساء العالمين أن ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال سبحانه ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النُّور: ٣١] الآية، بل حتى الزينة التي لا ترى لكن يُخشى منها أن يُفتن السامع قال ﷻ فيها: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النُّور: ٣١]، والمسلمة مملكتها في بيتها، رعايةً، وتربيةً، بأمر الله لها بالقرار في بيتها، ولا يكون خروجها إلا لحاجة قال سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والمرأة لؤلؤة مكنونة، وجوهرة مصونة، فإذا ظهرت قال النبي ﷺ: **«استشرفها الشيطان، وإنها أقرب ما تكون إلى الله وهي في قعر بيتها»** رواه ابن خزيمة، ومعنى استشرفها الشيطان: أي رفع البصر إليها ليُغويَها، أو يُغويَ بها.

ومن الوقفات: أن الصبر جزاؤه وافر، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠] وقال النبي ﷺ: **«وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً»** رواه الإمام أحمد.

وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم، قال النبي ﷺ: **«إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جَزِع فله الجزع»** رواه أحمد.

قال ابن حجر رحمه الله: «في هذه الأحاديث بشارةٌ عظيمةٌ لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم، بسبب مرض، أو همّ، أو نحو ذلك، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت، أو قلبية - تكفر ذنوب من تقع له»، وساق رحمه الله حديث ابن مسعود رضي الله عنه: **«ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه، كما تحات ورق الشجر»**متفق عليه، وظاهره تعميمُ جميعِ الذنوب، والجمهور خصوا ذلك بالصغائر.

وليس للمسلم إلا الصبر والمصابرة، فإن الله سبحانه رحيم بالمؤمنين، ولطيف بعباده، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له»**. رواه مسلم.

شفى الله مرضانا، ورحم موتانا.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

شرح حديث
«صل من قطعك، وأعط من حرمك،
واعف عمن ظلمك»

أرسل الله رسوله ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، فكان ﷺ صاحبَ الخلق العظيم، بوصف الله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤] وقد كانت من خصاله ما ذكرته خديجة رضي الله عنها: «فوالله إنك لتصل الرحم، وتَصْدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق» متفق عليه.

وكان من جملة ما وصّى به النبيُّ ﷺ عقبةَ بنَ عامرٍ رضي الله عنه وهو يمشي معه أنه قال له: «**يا عقبة بن عامر! صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، قال عقبة: ثم قال لي رسول الله ﷺ: يا عقبة! أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**» رواه الإمام احمد.

هذه توجيهات نبوية مختصرة، جامعة للأخلاق والآداب والمعاملة، يكسب المسلمون بها صلة، وبذلاً، وعفواً، وأُلفةً، ومحبة.

أولها: قوله ﷺ: «**صل من قطعك**»، فقد حث الإسلامُ على التواصل، والتزاور، ونَبْذِ التدابر والتخاصم، فقال ﷺ: «**لا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا**» رواه الإمام احمد.

وصلة من قطعك، بأن تفعل معه ما تُعَدُّ به واصلاً، فإن انتهى فذاك، وإلا فالإثم عليه، وهذا يدل على مكارم الأخلاق والترغيبِ في صلة الأرحام وغيرهم، وبَيَّن النبُّي ﷺ فضلَ صلةِ الرحم، وأنها سببٌ في طول العمر، وزيادةُ الرزق، فقال ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه، وَيُنْسَأَ له في أَثَرِهِ فليصل رحمه» رواه البخاري.

واهتم النبي ﷺ بصلة الرحم، فكان يوصي بهم خيراً كما قال: «وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكِّرُكُمُ الله في أهل بيتي» رواه مسلم.

وليست صلةُ الرحم قائمةً على المقايضة، بل أمر بها النبي ﷺ مطلقاً قال رجل: «يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلُم عنهم ويجهلون علي، فقال: فإن كنت كما قلت، فكأنما تُسِفُّهم المَلّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» رواه مسلم.

ثاني هذه التوجيهات: «وأعط من حرمك» حياة المسلم مع أخيه المسلم فيها جُود وإخاء، فلا تعامل بينهم في الهبات والهدايا بمقياس المقاضاة كالبيع والشراء، بل بأجودَ مما يعاملوك، ومن صَنع لك شيئاً فأعطه أنت، ومن بخل عليك فتفضل عليه، وكن سبَّاقاً في هذا المجال.

ثم قال ﷺ: «واعف عمن ظلمك» وهذا من شيم الرجال، ونُبلِ الأخلاق، وعلوِّ المنزلة، ورفعة المكانة، ولذا أمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وليس في القرآن آية أجمع لكلمات الأخلاق منها، وثبت أن النبي ﷺ قال: «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً» رواه مسلم.

وما عفى إنسان إلا اعتز، لأنه تخلص من حظ نفسه، وفَعَل ما ندبه الله ﷻ، والدنيا قصيرةُ الأمدِ لا تستحق التنازعَ والفرقةَ من أجلها، وكلنا على رحيل منها.

وبالعفو عمن ظلمك، تَنْزِعُ سلاحَه من يده، وتُشْعِره بالندم والأسف، وتجده يلتمس رضاك، ويحرص على مصالحتك، وقد ذكر الله من صفات أهل الجنة ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣-١٣٤]، قال ابن كثير ﵀: «أي: مع كف شرهم يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم مُوجَدَةٌ على أحد، وهذا أكمل الأحوال». ولذا قال الله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشّورىٰ: ٤٠].

والعفو من صفات أنبياء الله ﵈، قال يوسف ﵇ لإخوته: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [يُوسُف: ٩٢]، والنبي ﷺ قال الله له: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومَن تواضع لله رفعه الله**» رواه أحمد والترمذي.

رزقنا الله اقتفى أثر رسولنا ﷺ قولاً وعملاً وخلقاً.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ختم النبي ﷺ الوصايا بمناداة عقبةَ بنِ عامرٍ مرة أخرى، وهذا يدل على خُلُق النبي ﷺ مع أصحابه ﵃، فقال: «**أمسك لسانك، وابك على خطيئتك، وليسعك بيتك**».

أما اللسان: فهو أكثر ما يدخل الناسَ النارَ، كما ورد في الحديث: «**الفم والفرج**» رواه الترمذي. وقال عليه الصلاة و السلام: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**» رواه الطبراني.

وقد يكون في أقواله رفعة له في درجاته، كتفريج كربة، ونصرة مظلوم، أو شفاعة حسنة، وإما أن يَزِلَّ بها في النار - كاستهزاءٍ بالدين وأهلِهِ -، كما قال النبي ﷺ: «**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، تهوي به في النار سبعين خريفاً**» رواه البخاري.

وأوصاه كذلك بالبكاء على الخطيئة، أي: بالندم على فعلها، وليكن هذا الندمُ في الدنيا بالتوبة منها قبل الآخرة.

والندم شرط من شروط التوبة، كالإقلاع من الذنب، والعزم على عدم العودة، وكراهية الذنب كما يكره أن يقذف في النار، ورد المظالم إلى أهلها، وقبل أن تغرغر الروح، أو تَخْرُجَ الشمسُ من مغربها.

ثم ختم النبي ﷺ الوصايا بقوله: «**وليسعك بيتك**»، لاسيما زمن الفتن وفساد الناس، ولما ظهرت الفتنة بمقتل عثمان بن عفان ﵁ قال

محمد بن سيرين رحمه الله «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا الثلاثين» وإذا كان في خلطة مع الناس وصبر على أذاهم فهو أخْيَر، كما جاء في الحديث: «**والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**» رواه الترمذي.

فهذه ست وصايا نبويةٍ، جامعةٍ، مانعةٍ، سهلةٍ، ميسَّرةٍ، قصيرةِ الألفاظ، عظيمةِ المعاني، لن يأتيَ بهذه المعاني المختلفةِ الموزونةِ أديبٌ أو حكيمٌ بمثلها، بينما قالها النبي ﷺ لعقبة بن عامر وهما ماشيان كما ورد في الحديث.

اللهم ارزقنا العلم النافع، والعمل الصالح.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

شرح حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه

كان مَقْدمُ النبيِّ ﷺ المدينة يوماً مشهوداً، فقد كان الأنصار رضي الله عنهم يَخْرجون كلَّ يوم إلى الحرّة ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد الحر رجعوا إلى منازلهم، فلما وَصَل ﷺ انجفل الناس إليه ـ أي: ذهبوا مسرعين إليه و اجتمعوا به ـ، وكان عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه فيمن جاء إلى النبي ﷺ، وهو عالمٌ بالتوراة وقد قرأ فيها صفة النبي ﷺ، فلما كان راسخاً في العلم اتصل علم قراءته بعلم المعرفة، قال: «فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبنته، عرفت أنْ وجهه ليس بوجه كذاب، قال فكان أول ما سمعت من كلامه أَنْ قال: «**أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» رواه الترمذي وابن ماجه.

راوي هذا الحديثِ عبدُ الله بنُ سلام رضي الله عنه: هو حَبْر من أحْبار اليهود، وعَلَمٌ من أعلامهم فأسلم، وبشَّره النبي ﷺ بالجنة، كما في صحيح مسلم عن عامر بن سعد قال: «سمعت أبي يقول: ما سمعت رسولَ الله يقول لحَيٍّ يمشي إنه في الجنة إلا لعبد الله بن سلام».

قال: لما رأيت وجه رسول الله ﷺ،وتأملت وجهه،واستبنته،عرفت أنه ليس بوجه كذاب، فآمن به فوراً، لأن الظاهرَ عنوانٌ للباطن، قال السندي رحمه الله: «لِما لاحَ عليه من سواطع أنوار النبوة، وإذا كان أهل الصلاح والصلاة في الليل يُعْرَفون بوجوههم فكيف هو وهو سيدهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه».

وفي قوله: «**عرفتُ أنه ليس بوجه كذاب**» وذلك أن اليهود يصفون الأنبياء عليهم السلام دائماً بالكذب، قال سبحانه عنهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٧].

ابتدأ النبي ﷺ حديثه بالنداء بقوله: «**يا أيها الناس**» لِيَدُلَّ المستمعَ على أهميةِ هذا الخطاب، ولأن النداء يوجب تنبُّه المخاطب لما يلقى عليه، فذكر النبي ﷺ في هذا الحديث أعمالاً فاضلة من محاسن الإسلام ـ قولية وفعلية، ومالية ـ وهي صالحة لعموم الناس، وخاصتِهم من ذوي القربى.

أولاها: إفشاء السلام وهو: نشره وإشاعته لكل مسلم ليُحْيوا سنته عليه السلام، دون أن يُخَصَّصَ للمعارف والأصحاب، قال ابن حجر: «إفشاء السلام حصول المحبة بين الْمُتَسَالِمَيْنِ»، وهو داخل في لين الكلام، كما قال ابن رجب رحمه الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البَقَرَة: ٨٣]، وفيه تواضع للناس، وعدمُ تصعير الخد لهم.

وهو سببٌ موصل لدخول الجنة قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده! لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» رواه مسلم، فإفشاء السلام من أسباب المحبة في الله، وقوةِ الإيمان، وقد سُئل ﷺ: «**أي الإسلام أفضل؟ قال: أن تطعم الطعام، وتَقْرئَ السلام على من عرفت ومن لم تَعْرف**»، متفق عليه، وقد كان من هديه ﷺ إفشاء السلام للكبار والصبيان، وأرشد إلى أنه «**يُسلّم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير**» متفق عليه، وعلى المُسَلَّم عليه أن يرد السلام لقول الله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّسَاء: ٨٦]، وهو من حق المسلم على المسلم، كما في الحديث: «**حق المسلم**

على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» متفق عليه.

ولا يبتدئ السلامَ على غيرِ المُسْلِم، قال النبي ﷺ: «**لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام**» رواه الترمذي.

الخصلة الثانية من هذا الحديث المبارك: إطعام الطعام لمن هو محتاج إليه من المساكين والأيتام، قال العيني رحمه الله: «إطعام الطعام غير مختص بأحد، سواءٌ كان المُطعَمُ مسلماً، أو كافراً، أو حيواناً»، كما ورد في الحديث: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**» متفق عليه.

وقد جعل الله إطعامَ الطعامِ من الأسباب الموجبة للجنة ونعيمها، قال عز وجل: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]، إلى قوله ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، فوصف فاكهتهم وشرابهم جزاءً لإطعامهم الطعام، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» متفق عليه.

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا كان الله قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمأه، فكيف بمن سقى العِطاش، وأشبع الجِياع، وكسى العراة من المسلمين؟».

وإطعام الطعام من خصال الإسلام الخَيِّرةِ التي أتى بها رسول الله ﷺ، فقد جاءه رجلٌ فقال: «**يا رسول الله! أي الإسلام خير؟. قال: تطعم الطعام، وتُقرئُ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» متفق عليه، وفي حديث صُهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من أطعم الطعام، أو الذين يطعمون الطعام**» رواه أحمد، لما يمتاز به المُطعِم من بذلٍ ومحبةٍ لإخوانه، ويتأكد إطعام الطعام للجائع وللجيران خصوصاً، فعن أبي

ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعهد جيرانك**» رواه مسلم، وقال النبي ﷺ: «**ليس المؤمن الذي يَشْبع وجاره جائع**» رواه الطبراني.

وأفضل أنواع إطعام الطعام: الإيثار مع الحاجة، كما وصف الله تعالى بذلك الأنصار رضي الله عنهم فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: ٩].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يُفْطِر إلا مع اليتامى والمساكين، ومنهم من يطعم إخوانه الطعام ويخدمهم وهو صائم، منهم الحسنُ البصريُّ وابنُ المبارك، ومنهم من يُفضّل إطعام الإخوان على الصدقة على المساكين، ولا سيما إن كان الإخوان لا يجدون مثل ذلك الطعام.

وفقنا الله لفعل الخيرات، وأداء القربات.

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

الخصلة الثالثة من خصال هذا الحديث المبارك: صلة الأرحام، فقد أمر بها في أكثرَ من آية من كتابه الكريم، وهي ثالث الحقوق العشرة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، قال البغوي: أي: «أحسنُوا بذي القربى»، وهو صاحب القرابة ومن يصح إطلاق اسم القربى عليه، وإن كان بعيداً، بل أمَرَ الله الموسرين بتفقد المُعْوِزِين من قراباتهم، وإعطاءِ ما تدعو إليه حاجتُهم، وإعفافِهم، كما أمر الله به في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل: ٩٠].

وقد رغب النبي ﷺ بالبذل والعطاء لهم فقال: **«الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة»** رواه ابن ماجه، وهي من خصال الخير التي دعا إليها رسول الله ﷺ، كما في قصة هرقل حين قال لأبي سفيان: «فماذا يأمركم به؟ - يعني النبي ﷺ - قال قلت: يقول: **اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة»** متفق عليه، وصح عن النبي ﷺ: **«أنَّ صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب»** رواه الطبراني وقال: **«من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»** متفق عليه.

ومعنى «ينسأ له في أثره»: أي يؤخر له في أجله وعمره، وهذه كناية عن البركة في العمر، وقيل: إن الزيادة على حقيقتها بالنسبة إلى علم المَلَكِ المُوكّلِ بالعمر ـ كما قاله ابن حجر رحمه الله ـ.

ومما يدل على أهمية صلة الرحم، وعدمِ قطعها، ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» رواه مسلم، وفي حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يدخل الجنة قاطع» متفق عليه.

ومن خصال هذا الحديث الصلاة بالليل: وقد وصف الله عباده أهل الإيمان بأنهم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٦]، وكان جزاؤهم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ورغَّب في صلاة الليل فقال: «أفضل الصلاة بعد الفريضة» أخرجه مسلم، وفي حديث جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كلَّ ليلة» رواه مسلم، وطَرَق صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة ليلاً فقال: «ألا تصليان» متفق عليه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل، قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا» متفق عليه.

وفي صلاة الليل فَضْلٌ عظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جميعا، كتبا في الذاكرين والذاكرات» رواه أبو داود، وكان عليه السلام يصلي إحدى عشرة ركعة يسلم من

كل اثنتين، ويوتر بواحدة، وربما أوتر بتسع و بسبع أو خمس، ولكنَّ الأغلبَ أنه يصلي إحدى عشرة، وربما صلى ثلاث عشرة يطيل في قراءته وركوعه وسجوده.

وخص الصلاة بالليل «**والناس نيام**» لأنه وقت الغفلة ولبعده عن الرياء والسمعة.

ورتَّب لهذه الأعمالِ الصالحةِ في هذا الحديث: «**تدخلوا الجنة بسلام**» أي من كل مكروه أو تعب ومشقة، فإنكم إذا فعلتم ذلك ومُتم عليه، دخلتم الجنة آمنين لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، أو أنه بلا عقاب ولا عذاب لأن من عُذّب لم يسلم.

وقد وردت رواية أخرى تدل على فضل هذه الأعمال الأربعة، ففي الترمذي، عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وصلى بالليل والناس نيام**»، وعند الحاكم من حديث أبي شريح رضي الله عنه أنه قال: «**يا رسول الله! أخبرني بشيء يوجب لي الجنة قال: طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعام الطعام**».

فهذه الأمور الأربعة في هذا الحديث، من أسباب دخول الجنة بسلام.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لأداء هذه الأعمال الصالحة، وأن يجعلنا ممن يدخلون الجنة بسلام، إنه على كل شيء قدير.

عباد الله ...

❖ ❖ ❖

شرح حديث
«من أصبح منكم اليوم صائماً»

وصف الله نبيه ﷺ بأنه ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال أيضاً سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فهو ﷺ يشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم ومعايشهم، ولذا هو قريب من الصحابة رضي الله عنهم في شؤونهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ لأصحابه: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر رضي الله عنه أنا، قال فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبو بكر: أنا قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» رواه مسلم.

في هذا الحديث النبوي يظهر تواضعُ النبي ﷺ ومباسطتُه لأصحابه رضي الله عنهم، وهذا ظاهر جلي في أحداثٍ كثيرة منها: ما رواه سمرةُ بنُ جندب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها فيقول ما شاء الله ...» رواه البخاري، أو كقول جابر بن سمرة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ: «إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس، فيتحدث أصحابه يذكرون حديث الجاهلية، وينشدون الشعر ويضحكون، ويتبسم ﷺ» رواه النسائي.

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن بعضٍ

من نوافل العبادات وليس الفرائض، وهذه الأعمال الخَيِّرةُ باجتماعها تكون سبباً بعد رحمة الله لدخول الجنة:

أولها: الصيام، وهو صيام التطوع، وقد اختص الله بثواب هذا العمل، كما في الحديث قال: «**يقول الله ﷻ: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» متفق عليه.

وفي صوم التطوع وردت فضائل عامة، كقول رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً**» رواه مسلم.

أو بتخصيص أيام من أيام الأسبوع بعينها ـ كالاثنين والخميس ـ قال فيهما: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأُحب أن يعرض عملي وأنا صائم**» رواه الترمذي.

أو تحديد ثلاثة أيام من كل شهر، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام» رواه البخاري، وقال رسول الله ﷺ: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله**» متفق عليه، وورد تخصيصُ هذه الأيام بأيامِ البيض، فقال لأبي ذر: «**إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة**» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

ومن الصيام ما يكون سنوياً: كصيام يوم عرفة لغير الحاج، قال النبي ﷺ في فضله: «**صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده، والسنة التي قبله**» رواه مسلم، أو عشرِ ذي الحجة، أو يومِ

عاشوراء، فقد صامه وأمر بصيامه، وسئل عنه فقال: «يكفّر ذنوب السنةِ الماضية» رواه مسلم، وفيه «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع».

ومنها: الإكثار من الصيام في شعبان، فقد كان يفعله ﷺ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كلَّه، كان يصوم شعبان إلا قليلا» رواه مسلم.

الثاني من الأعمال: اتباع الجنائز، وقد جعله النبي ﷺ حقاً من حقوق المسلم على المسلم، فقال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» رواه البخاري.

واتباع الجنائز إما أن يكون اتباعها بالصلاة عليها، أو بالصلاة عليها وحتى يفرغ من دفنها. والأخير أفضل لقوله: ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصلي فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان، قيل وما القيراطان؟، قال: مثل الجبلين العظيمين» متفق عليه.

الثالث من الأعمال : إطعام المسكين، وهو من الأعمال التي أمر الله بها وحض عليها، ومدح الله تعالى فاعلها، فقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]، وقد جاء في الحديث القدسي أنه يقول للعبد يوم القيامة: «يا ابن آدم! استطعمتك فلم تُطْعمني، فيقول: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! فيقول: أستطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» رواه مسلم. وورد في فضل إطعام الطعام قول النبي ﷺ: «إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدّها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناسُ نيام» رواه الإمام احمد.

الرابع من الأعمال: عيادة المريض، وهي من حق المسلم على المسلم، وقد جاء في فضل العيادة أحاديث كثيرة، منها: قوله ﷺ: «**من عاد مريضاً لم يزل في خُرْفة الجنة حتى يَرْجع**»رواه مسلم، والخُرْفة: ما يخترف منها، والمعنى: أنه يمشي في طريق مفضية إلى الجنة، كأنه يمشي في طريقٍ وسط الجنة يجني من ثمارها ما شاء، وهي الأعمال الصالحة التي فيها ثواب وأجر، قال النبي ﷺ: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ أن طِبْت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً**» رواه ابن ماجه والترمذي. فعودوا المريض فإن الله يلوم على تركها، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**إن الله يقول للعبد يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني! فيقول: كيف أعودك يا رب وأنت رب العالمين؟! فيقول: مرض عبدي فلان فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده**» رواه مسلم.

ويستحب للعائد أن يدعوَ للمريض بالشفاء والعافية، وأن يوصيَه بالصبر والاحتمال، وأن يقول له الكلماتِ الطيبةَ التي تطيّب نفسَه وتقوي رُوحه.

كما يستحب تخفيفُ العيادةِ وتقليلُها ما أمكن، حتى لا يَشُقَّ طولُ الجلوسِ عنده عليه، إلا إذا رغب المريض في ذلك، أو علم الزائر أن المريض يحب زيارتَه وطولَ الجلوسِ عنده.

ومن الأدعية المشروعة: «**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سَقَماً**» متفق عليه.

وفقنا الله لطاعته..

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

في هذا الحديث مَنْقبة عظيمةٌ لأبي بكر ﷺ، حيث إنه الذي اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع في يوم واحد دون غيره من الصحابة ﷺ.

وقد ورد في معنى قوله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة» قال القاضي: «معناه دخل الجنة بلا محاسبة ولامجازاة علي قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى».

واجتماعها في يوم يدل على دوام السعادة لصاحبها، ومما يوجب حسنَ الخاتمةِ ودخولَ الجنة ـ بعد رحمة الله ـ.

أبو بكر ﷺ صاحب مبادرات الخير، سمع أن للجنة ثمانيةَ أَبواب، لم يرض أن يدعى من باب أو بابين، وإنما أحب أن يدعى من ثمانية أبواب، فقال: «يا رسول الله! ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟ قال: نعم يا أبا بكر، وإني لأرجو الله أن تكون منهم» متفق عليه.

ومثل اجتهاد خليفة رسول الله أبي بكر ﷺ في العبادات يبعث في نفس المسلم العجبَ والإعجاب، ويقود إلى الاقتداء بمثل أولئك الذين صحبوا رسول الله ﷺ، ففي يوم واحد يجتهد المسلم فيه بالصيام، واتباع الجنازة، وإطعام المساكين، وعيادة المريض، فإن من قام بهذه وغيرها فهي من أعمال تقوية الإيمان، بسبب اجتماع أمهات العبادات.

وخصال الخير في يومِ أبي بكر لم يكن يفعل ذلك تحرياً لمثل هذا

السؤال، وإنما كان ذلك يوماً معتاداً من أيامه، وما سَبَق الصِّدِّيقُ الأمةَ وكان في الفضل بعد نبيها إلا بأشياء من جنس هذه الاعمال العظيمة، لذا قَرْنُ الصحابة ومن بعدهم من سلف هذه الامة كانت أوقاتهم مملوءة بالطاعات، وأداء نوافل العبادات، فضلاً عن الحرص على أداء الفرائض، وكان أبو بكر رضي الله عنه أحبَّ الرجال إلى الرسول ﷺ، وقال فيه: «إن من أَمَنّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنْ أُخوةُ الإسلام ومودتُه، لا يَبقيَنَّ في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر» رواه البخاري.

ومن أعظم مناقبه التي لا يشاركه فيها غيره قول الله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

رزقنا الله اقتفاء أثر رسولنا ﷺ..

صلوا وسلموا..

❖ ❖ ❖

فضل
المساجد الثلاثة

فضل مكة المكرمة

فاضل الله بين البقاع والأمكنة، وأعظم بقعة فاضلة على وجه الأرض بيت الله الحرام، رفع قواعدَه إبراهيمُ عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٧]، وقد خصه الله تعالى بخصائصَ فريدة، وميزاتٍ عديدةٍ، منها ما قاله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عِمرَان: ٩٦-٩٧]، ففي هذه الآية الكريمة سبع خصال ليست لغيره من المساجد، فهو أول بيت وضع للناس، ومبارك، وهدى للعالمين، وفيه آيات بينات، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والحج والعمرة إليه.

وميّز تعالى بيته الحرام بأن جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتَحِنُّ إليه، ولا تقضي منه وطرًا، ولو ترددَت إليه كلَّ عام، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٥] وذلك استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، قال ابن كثير رحمه الله: «فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يَحِن إلى رؤية الكعبة والطواف، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار»، وهي مولد ونشأة خير عباد الله، محمد بن عبد الله ﷺ وهي مهبط الوحي، ومنبعُ الرسالة، وقبلةُ المسلمين، ومهوى أفئدتِهم.

وهي أم القرى قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشّورىٰ: ٧] وتسميتها بأم القرى، لأنها أشرف من سائر البلاد.

ومكةُ حَرَمٌ حرمَّها الله ﷻ، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النَّمل: ٩١]، وقولِه جلَّ ذكره: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القَصَص: ٥٧]، وكما قال رسول الله ﷺ يومَ فتحِ مكة: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يَحِلّ لي إلا ساعةً من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضد شوكه، ولا يُنفَّر صيدُه، ولا يُلْتقط إلا من عَرّفها، ولا يُختلى خلاها، فقال العباس: يا رسول الله! إلا الإذخر فإنه لقينِهم ولبيوتهم، فقال: إلا الإذخر**» متفق عليه. ـ القَين: الحَدَّاد لأنه يحتاج إليه في عمل النار، و بيوتهم تحتاج إليه في التسقيف ـ قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا عُلم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حرمها، لأن إبراهيم بلّغ عن الله حُكْمَه فيها، وتحريمه إياها وأنها لم تزل بلداً حراماً عند الله قبل بناء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لها».

ومن المنن التي امتن الله بها على أهل مكة،أنه أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فَقَبْل الإسلام كان أمراً متعارفاً لأهل الجزيرة، وعندما جاء الإسلام أكد ذلك قال سبحانه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧].

ومكة المكرمةُ محفوظةٌ بحفظ الله لها من أي عدو يريد بها سوءً كما حصل لأصحاب الفيل، وتوعد الله من أراد بها شراً بقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحَجّ: ٢٥]، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو أن رجلاً أراد بإلحاد فيه بظلم وهو بِعَدَنِ أَبْيَن، لأذاقه الله من العذاب الأليم».

ودعا إبراهيم ﷺ لأهلها بالأمن والرزق بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البَقَرَة: ١٢٦]، فأجاب الله دعاءه، وأصبح يجبى إليها ثمرات كل شيء، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب، وهذا مصداقٌ لقول المَلَك لهاجَر أمِّ إسماعيل ﷺ كما في صحيح البخاري: «**لا تخافوا الضيعة** ـ أي الهلاك ـ **فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله...**» الحديث، وفي حديث أبي جهم «**لا تخافي أن ينفد الماء**»، وفي رواية علي بن الوازع، عن أيوب عند الفاكهي «**لا تخافي على أهل هذا الوادي ظمأ، فإنها عين يشرب بها ضيفان الله**» زاد في حديث أبي جهم «**فقالت: بشرك الله بخير**».

ومكة خير أرض الله إلى الله، كما في حديث عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري: قال: «رأيت رسول الله ﷺ وهو على راحلته بالحَزْوَرَة ـ مكان في مكة مرتفع يسيراً ـ يقول: **والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت**» رواه النسائي.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لمكة: «**ما أطيبك من بلد، وأحبَّك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**» رواه الترمذي.

وهي بلد لا يطؤها الدجال، قال النبي ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرج الله كلَّ كافر ومنافق**» متفق عليه.

ومكةُ دار إسلام وستبقى كذلك، قال النبي ﷺ في عام الفتح: «**لا هجرةَ، ولكن جهادٌ ونية**» متفق عليه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «في الحديث بشارة من النبي ﷺ بأن مكة تستمر دار إسلام».

وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن جماعة من المفسرين، أسماءً كثيرةً لمكة تدل على ما فيها من معاني، فهي مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأم رحم، وأم القرى، وصلاح، والعرش، والقادس لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة، والناسة بالنون، وبالباء أيضاً، والحاطمة، والنسّاسة، والرأس، وكوثى، والبلدة، والبنية، والكعبة.

وقد أجابت أفئدةٌ من الناس نداءَ الخليل، منهم موسى، ويونس عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كما في صحيح مسلم، ويقصدها الناس مشاةً وركباناً من كل فج عميق ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحَجّ: ٢٨]، ويقصدها الزوار والمعتمرون على مدار أيام السنة لما فيها من ثواب كبير.

وفقنا الله لطاعته

أقول قولي...

الخطبة الثانية

مكة بلد الخيرات والبركات، وهذا ببركة دعا خليل الرحمن لها عليه السلام، قال النبي ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحَرَّمتُ المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة» رواه البخاري.

ومن بركاتها: أنه لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، قال النبي ﷺ: «مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» متفق عليه.

وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة قال النبي ﷺ: «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» رواه ابن ماجه.

والحجر الأسود نزل من الجنة، قال النبي ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن، فسودته خطايا بني ادم» رواه الترمذي، ويستحب للطائف إن تيسر له أن يمسح الركن اليماني، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة» رواه أبو داود.

وعند الكعبة مقام إبراهيم عليه السلام، لما طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله، عز وجل: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]، وبها ماء مبارك هو ماء زمزم، قال فيه النبي ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طعم» رواه مسلم، وقال النبي ﷺ «طعام طعم، وشفاء سقم» رواه البزار.

ومن أكرمه الله بالمكث فيها وأراد مزيد تطوع فله الطواف بالبيت العتيق، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها».

ومواطن الدعاء فيها كثيرة، كالدعاء عند الملتزم، وعلى الصفا والمروة، وخير الدعاء يوم عرفة، وعند رمي الجمار، وغيرها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو لم يكن البلد الأمين خيرَ بلاده، وأحبَّها إليه، ومختارَه من البلاد، لما جعل عرصاتِها مناسك لعباده، فَرَض عليهم قصدَها وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه، فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التِّين: ٣]، و﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البَلَد: ١]، وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها غيرُها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله، واستلامه، وتُحط الخطايا والأوزار فيه، غيرَ الحجر الأسود، والركن اليماني»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يقبَّل ما على وجه الأرض إلا الحجر الأسود».

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحسبك بمكة أن فيها بيتَ الله الذي رضي لعباده على الحط لأوزارهم، وغفرانِ ذنوبهم أن يقصدوه مرة واحدة في أعمارهم، ولم يقبل من أحد صلاةً إلا باستقبال جهته بصلاته، إذا كان عالماً بالجهة، قادراً على التوجه إليها، فهي قبلة أهل دينه أحياء وأمواتاً، والآثار عن السلف في فضائل مكة كثيرة جداً».

والآيات الكريمات، والأحاديث الشريفة يطول المقام في ذكرها، وقد بوب الإمام البخاري باباً في فضائلها، وكذا أصحاب السنن رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ

وفقنا الله لأداء العمل الصالح المتقبل...

عباد الله ...

فضل المدينة النبوية

المدينة النبوية دار هجرةِ خيرِ البرية محمدٍ ﷺ، وقد أمره الله ﷻ أن يدعوه بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] يعني: المدينة، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] يعني: مكة، وقد رأى في منامه ﷺ ما ذكره بقوله: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب» متفق عليه، وهي دار هجرة الصحابة ﭬ فالتقى فيها الذين تبوؤا الدارَ والإيمان - الأنصارُ - بإخوانهم المهاجرين، ومنها انطلقوا فاتحين للقلوب والبلاد، في المدينة هبط الوحي فيها، ومشى على ثَراها خير خلق الله، عاش فيها، ومات، ودفن بها، والإيمان يأرز إليها، ولفضلها تعاقب العلماء والمصنِّفون في ذكر فضائلها، قال ابن وهب: «سمعت مالكاً يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: إن المدينة تبوّأت بالإيمان والهجرة، وإنَّ غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآية».

فيها من الفضائل والخلال ما يفوق بلاد الله خلا مكة شرفها الله، ولفضلها جعلها الله حرماً، قال النبي ﷺ: «المدينة حرم من كذا إلى كذا؛ لا يُقطع شجرها، ولا يُحْدث فيها حدث، من أحدثَ فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف»، متفق عليه، ولهما: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور».

لها محبة في قلب النبي ﷺ، قال أنس ﭬ: كان النبي ﷺ «إذا

قدم من سفر فنظر إلى جُدرات المدينة أوضع راحلته ـ أي: أسرعها ـ، وإن كان على دابة حركها من حبها» رواه البخاري.

بل دعا الله بقوله «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، وصحِّحها، وبارك لنا في صاعها، ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة» متفق عليه، ودعا رسول الله ﷺ لها بالبركة فقال: «إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها، وحرّمتُ المدينةُ كما حرّم إبراهيمُ مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة» متفق عليه.

ودعا لها أيضاً ببركةٍ مضاعفة فقال: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة» متفق عليه، وقال النبي ﷺ: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدنا، وصاعنا، اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم اجعل مع البركة بركة» رواه أحمد، والبركة هي: كثرة الخير، قال النووي رحمه الله: «الظاهر أن البركة حصلت في نفس المكيل، بحيث يكفي المدُّ فيها من لا يكفيه في غيرها».

والمدينة النبوية بلد لا يطؤه الدجال، قال النبي ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» متفق عليه ـ الأنقاب: هي المداخل المؤدية إليها، والطاعون: الوباء المميت ـ، وهي تأكل القرى، وتنفي شرارَ الناس، كما في الصحيحين: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد» وقوله: «أُمرت بقرية» أي: أمرني ربي بالهجرة إليها، أو سكناها، ومن صفاتها: «تأكل القرى» أي: تغلبهم. وكنَّى بالأكل عن الغلبة؛ لأن الآكل غالب على المأكول، أو أن أكلها ومِيْرتها من القرى المفتتحة، واليها تساق غنائمها، قال ابن المنيِّر: «يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غلبةَ فضلها على فضل غيرها،

ومعناه: أن الفضائل تضمحل في جنب عظيمِ فضلها، حتى تكاد تكون عدماً».

وهي «تنفي الناس، كما ينفي الكير خبث الحديد» أي: أن المدينة تنقِّي الناسَ فيبقي خيارُهم، وتطرد شرارهم.

ومن أراد بالمدينة أو بأهلها سوءً فقد قال النبي ﷺ: «لا يكيدُ أهلَ المدينة أحدٌ إلا انماع، كما ينماع الملحُ في الماء» رواه البخاري، وفي رواية مسلم: «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله» والمعنى: من يدبِّر لهم ما فيه ضرر بغير حق.

وجاء الترغيب في سكناها حتى بعد فتح الأمصار، قال ﷺ: «يُفتح اليمن، فيأتي قوم يبسُّون، فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفتح الشام، فيأتي قوم يبسّون، فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفتح العراق، فيأتي قوم يبسّون، فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» متفق عليه.

وكانت تُسمى بيثربَ، فسماها النبي ﷺ طابةَ، مشتقة من الطيب، وقيل: من طِيب العيش بها.

وللمدينة النبوية أسماءُ منها: المدينة، وطابة، وطيبة، والمطيِّبة، والمسكينة، والدار، وجابرة، ومجبورة، ومنيرة، ويثرب.

ونزل النبي ﷺ قبيل دخوله المدينة قباءً في بني عمرو بن عوف ـ من الأوس ـ وفيها أَسس مسجدَ قباءٍ الذي ذكره الله بقوله ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾[التوبة: ١٠٩]، وكان رسول الله ﷺ يأتي

مسجد قباءٍ راكباً وماشياً فيصلى فيه ركعتين، متفق عليه، وفي الصحيحين: «أن ابن عمر كان يأتي قباء كل سبت، وكان يقول رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت».

ومسجد قباء ليس من شد الرحال، بل إنما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه، ثم يأتيه فيقصده، كما يقصد الرجل مسجد مصره دون المساجد التي يسافر إليها.

وفي المدينة النبوية جبلُ أُحدٍ، قال النبي ﷺ: «**هذه طابة، وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه**» متفق عليه، وصَعِد النبي ﷺ أحداً وأبو بكر وعمر وعثمانُ فرجف بهم، فقال: «**اثبت أُحد، فإنما عليك نبي وصِدِّيق وشهيدان**» رواه البخاري.

وعلى من أدرك فضلَ الإقامةِ والسكنى في مدينة رسول الله أن يصبر على ما يحصل له فيها من ضيقِ عيشٍ، أو بلاءٍ، أو لأواءٍ، لقوله ﷺ: «**لا يصبِر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي، إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً**» رواه مسلم.

وفقنا الله لطاعته

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

من أكرمه الله بزيارة مسجد رسول الهدى ﷺ وأراد زيارة قَبرِ الرسول ﷺ وقَبْرَيْ صاحِبيهِ رضي الله عنهما فإنه يستقبل القبر، فيسلم على النَّبِيِّ ﷺ بقوله: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاتُه، ثم يُسلم على صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلَ ذلك.

ويحرص على أداء الصلوات في المسجد النبوي، فهي مضاعفة، قال عليه الصلاة السلام: «صلاةٌ في مسجدي هذا، خير من ألفِ صلاةٍ فيما سِواه، إلَّا المسجد الحرام» متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» متفق عليه، قال ابن حجر رحمه الله في قوله: «روضة من رياض الجنة» أي: كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر، لا سيما في عهده، فيكون تشبيهاً بغير أداة»،

وليستشعر المسلم أن مدينةَ رسولِ الله ﷺ انتشر منها العلم على يدي أصحاب رسول الله ﷺ، فحري أَن يقدرها حق قدرها، ويعْمُرَ أيامه فيها بالقربات.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

فضل المسجد الأقصى

فُضّل المسجد الأقصى بميزات عديدة، فهو قبلة المسلمين الأولى، ومسرى رسولِ رب العالمين، وقد صلى رسول الله ﷺ والمسلمون إليها ستة عشر أو سبعة عشر شهراً قبل أن تُحوَّل القبلة إلى الكعبة، قال سبحانه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، وإليه أُسري برسولنا ﷺ قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسرَاء: ١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناقب المسجد الأقصى: «إنه معدن الأنبياء من لدن إبراهيمَ الخليلِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولهذا جُمعوا له هناك كلُّهم، فَأَمَّهم رسول الله ﷺ في مَحَلَّتهم، ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدَّم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، قال عليه الصلاة والسلام **«فحانت الصلاة فأممتهم»** رواه مسلم.

وهو ثاني المساجدِ في الأرض، قال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«قال: قلت يا رسول الله! أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال المسجد الحرام، قال: قلت ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بَعْدُ فَصَلِّهِ فإن الفضل فيه»** متفق عليه.

وأول من بنى المسجدَ الأقصى حفيدُ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ـ يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيم ـ وسليمانُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جدده بعد ذلك، وإذا صح هذا فهو قريب مما أفاده الحديث من المدة بين المسجدين، كما جزم به الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، قال النبي ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى**» متفق عليه.

والشام أرض المحشر والمنشر، قالت ميمونة بنتُ سعدٍ مولاةُ النبي ﷺ: «**يا نبي الله! أفتنا في بيت المقدس؟ فقال أرض المحشر والمنشر**» رواه ابن ماجه، قال المَنَاوي رحمه الله: «أي البقعة التي يُجمع الناسُ فيها إلى الحساب، وينشرون من قبورهم، ثم يساقون إليها، وخصت به لأن أكثر الأنبياء بعثوا منها، فانتشرت في العالم شرائعُهم، فَنَاسَب كونها أرضَ المحشر والمنشر»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «دلت الدلائل المذكورة على أن مُلْكَ النبوة بالشام، والحشرَ إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يُحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام».

والمسجد الأقصى وما حوله مبارك، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[الإسراء: ١] أي: في الزروع والثمار وغيرها.

ودعا النبي ﷺ لعموم أرض الشام فقال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**» رواه البخاري.

عمر الله قلوبنا بالإيمان

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

أجمع العلماء على استحبابِ زيارةِ المسجد الأقصى، والصلاةِ فيه، وعلى فضله، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثة: سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا يَنْهَزُهُ ـ أي: لا يحركه ويدفعه ـ إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيومَ ولدته أمه» رواه أحمد.

وليعلم أن الفضائلَ والأحداثَ التي في قصة الإسراء والمعراج للمسجد الأقصى وتخصيصَه بالإسراء إليه، ثم العروجِ إلى السماء وهبوطِ الأنبياء عليهم السلام وعودتِه منه إلى مكة، تُبين فضلَ هذا المكان، قال ابن حجر رحمه الله: «قيل الحكمة في ذلك: أن يَجمع في تلك الليلة بين رؤية القبلتين، أو لأن بيت المقدس كان هجرة غَالبِ الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة، ليجمع بين أشتات الفضائل، أو لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج منه أليق بذلك، أو للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حساً ومعنى، أو ليجتمع بالأنبياء».

ووجه تسميته بالأقصى: لبعد المسافة بينه وبين الكعبة، أو لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة.

والمسجد الأقصى ثالث المساجد المقدسة وليس ثالثَ الحرمين

فليس هناك أماكنُ أخرى يقال لها: حرم إلا مكة والمدينة، فإنهما حرمان وهما حرمان تجري عليهما الأحكام الشرعية، فلا يقطع منها الشجر، ولا يصاد الصيد، وغير ذلك مما يترتب عليه: أحكام الحرم.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

العبـادات

فضائل يوم الجمعة

خَص الله هذه الأمةَ بخصائصَ وميزاتٍ في أيامها ولياليها، كرماً منه وفضلاً، فقد ميّز يومَ الجمعةِ بفضائلَ عن بقية أيام الأسبوع، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخلَ الجنة، وفيه أُخْرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يَسألُ الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه.

هو خيرُ أيام الأسبوع، قال النبي ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**» رواه أبو داود، أضل الله يوم الجمعة عن الأمم السابقة، فقد اختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق، واختار النصارى يوم الأحد، الذي ابتدأ في الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة، الذي أكمل الله فيه الخليقة، قال النبي ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد**» رواه البخاري، وفي لفظ مسلم «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا**».

ميّز الله هذا اليوم بصلاة الجمعة، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: ٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي اقصِدوا واعْمَدُوا واهتموا في مسيركم إليها». والسعي لها يكون بسكينة وتفرغ عن مشاغل الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجُمُعَة: ٩]، وجزاء هذا العمل قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجُمُعَة: ٩] أي بترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله والى الصلاة

خير لكم في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون، وبعد أداء الجمعة يكون الانتشار في الأرض، والابتغاء من فضل الله، مع المداومة على ذكر الله دوماً كما أمر الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجُمُعَة: ١٠].

في يوم الجمعة تكفيرٌ للسيئات، قال النبي ﷺ: «الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» رواه الإمام احمد.

وعلى من يحضر صلاة الجمعة أن يهيئ نفسه تهيئة ملائمة لهذا اليوم المبارك، فقد أرشد النبي ﷺ إلى جملةٍ من الأعمالِ المشروعة، منها: الغُسْل، قال النبي ﷺ: «غسل الجمعة واجب على كل مسلم» رواه أبو داود. وكذلك التطيب ولبس أحسن الثياب، قال النبي ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدَّهن من دهنه، أو يمسَّ من طيب بيته، ثم يخرج، فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» رواه البخاري.

في هذا اليوم المبارك فضائل لمن بكّر في أدائها، قال النبي ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، وإذا راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، وإذا راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، وإذا راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، وإذا راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» متفق عليه.

وفي هذا اليوم تحضر الملائكة لبيوت الله، ويكتبون الأول فالأول للقادم إلى المسجد قال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة على كل باب من

أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، . . . فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجلسوا للخطبة» متفق عليه.

كما يجب على الداخل للمسجد أن يصليَ تحيةَ المسجد، ثم يجلسَ فيما انتهى إليه الصف دون أذية لإخوانه، وقد دخل رجلٌ المسجدَ ورسولُ الله ﷺ يخطب، فجعل يتخطى رقاب الناس، فقال النبي ﷺ: «**اجلس فقد آذيت وآنيت**» رواه أبو داود وابن ماجه أي: جمعت بين أذية إخوانك، وتأخرك عن الخطبة.

وفقنا الله لاستغلال يومنا بالطاعات، وتقبل منا ومنكم الصالحات.

أقول.....

الخطبة الثانية

يوم الجمعة يوم مبارك، فيه فضائلُ، ونفحات، من صلاةٍ، وذكر، ودعاء، وقراءة للقران الكريم، وعلى المسلم أن يجتهد في الدعاء في ساعات يوم الجمعة ـ وأرجاها آخرُ ساعة من يومها ـ، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ عند ذكر مواطن إجابة الدعاء ـ: «وإذا صحب الدعاءَ حضورُ القلب وجمعيتَه بكلِّيته على المطلوب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة ـ ومنها ـ آخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعاً في القلب، وانكساراً بين يدي الرب، وذلاً له، وتضرعاً، ورقةً، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله، والثناء عليه، ثم ثنَّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، وتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، وقَدَّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاءَ لا يكاد يرد أبداً».

وفقنا الله للتعرض لنفحات هذا اليوم المبارك، وجعلنا ممن يعمره بالطاعات.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

الإخلاص

مدار قبول الأعمال على شرطين، الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، فالإخلاص هو: تخليص القلب من كل شَوْبٍ يكدر صفاءه عن عبادة خالقه، قال سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وقد أمر الله نبيه ﷺ بأداء ذلك في جميع أعماله، فقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢]، وقد أمر الله أن يكون إخلاص العمل له وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ١١].

وقد وردت نصوصٌ قرآنيةٌ تدل على لزوم تحقيق الإخلاص قولاً وعملاً واعتقاداً، فقال في حق المؤمنين: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال في حق المنافقين إذا تابوا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النِّساء: ١٤٦].

وقد بين أهميةَ الإخلاص شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «إنه هو الذي لا يقبل الله تعالى سواه، وهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قُطب القرآن الذي تدور عليه رحاه».

ولما كانت الأعمال بالنيات، وهي خافية عن عيون الناس، جعل الله النظر إلى قبول العمل في القلب لا القالب، فقال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» رواه مسلم.

وكلمة الإخلاص التي عليها مدار العمل ثوابها عظيم، ومنزلتها عند الله عالية، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقاً من قلبه الا حُرم على النار، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنا أحدثك ما هي، هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمداً ﷺ وأصحابَه، وهى كلمة التقوى التي أمر بها رسولُ الله ﷺ عمَّه أبا طالب عند الموت، شهادةُ أن لا إله الا الله» رواه الإمام احمد.

وكان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون» رواه أبو داود.

والمُخْلص في حرز من الشيطان، لا يستطيع الشيطان إغواءه، فقد أقسم إبليس بعزة ربه أنه يُغوي عباده أجمعين، واستثنى أهلَ الإخلاص منهم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [صٓ: ٨٢-٨٣].

وإذا أشرك العبد في العمل، خاب، و خسر، و ما جنى إلا التعب، قال النبي ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيري، تركته وشركَه» رواه مسلم.

وجاء رجل للنبي ﷺ سائلاً فقال: «أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ: لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهُه» رواه النسائي.

وأما المخلص فهو ينال خير الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ: «**تكفَّل الله لمن جاهد في سبيله ـ لا يخرجه من بيته إلا جهادٌ في سبيله، وتصديقُ كلمته ـ بأن يدخلَه الجنة، أو يرجعَه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة**» متفق عليه.

والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل، و لذا قال النبي ﷺ: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**» رواه ابو داود، وإذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرةُ الوساوسِ، والرياءُ، والسمعةُ، ونَعِمَ العبدُ بحلاوة العبادة، وأداءِ القُربة التي يعملها.

فاللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

يجب على المسلم أن يجاهد نفسه في أقواله وأفعاله، لأن الآمر لها مستحقٌ لكامل العظمة والإجلال، قال النبي ﷺ: «ما قال عبد لا إله إلا الله قطُ مخلصاً، إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضيَ إلى العرش ما اجتنب الكبائر» رواه الترمذي، فإنه بعمله المخلص لا يطلب عليه شاهداً غير الله، ولا مجازياً سواه.

سأل أبو هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ: «من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه» رواه البخاري.

والإخلاص عمل خفي، قال الجنيد رحمه الله: «الإخلاص سِرٌّ بين الله وبين العبد لا يعلمه ملَك فَيَكتبه، ولا شيطان فَيُفسده، ولا هوى فَيُمْليه»، وقال ابن القيم رحمه الله: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه».

لذا يجب على المسلم أن يحفظ عمله من الخوارم التي تحبط العمل، أو تنقص الأجر، فمن أداها بإخلاصٍ وحسنِ أداء فإنها أقرب إلى القبول، ومن أدى العبادة لغير الله خاب العمل، وما جَنى إلا النصب.

أصلح الله لنا ولكم النيات والذريات.

ثم اعلموا ان الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

أهمية الدعاء

الدعاء سلاح المؤمن، يتقوى به من ضعف، ويغتني به من فقر، ويُشفى به من مرض، وهو عبادة لا تصرف إلا لله وحده، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» رواه أبو داود، ومن أهمية الدعاء أن الرجل إذا أسلم، علّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعوَ بهذه الكلمات: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**» رواه مسلم، وورد في أهمية الدعاء قولُ النبي ﷺ: «**لا يرد القدر إلا الدعاء**» رواه ابن ماجه، فيدفع الله بالدعاء ما قد قضاه على العبد، قال ابن القيم رحمه الله: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل»، فكم من إنسانٍ افتقر غاية الافتقار حتى كاد يهلك، أو ابتُلي فطال بلاؤه فأجاب الله دعاءه، وكم من إنسان مرض حتى أيس من الحياة فدعا ربه فشفاه الله، قال تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فذكر حاله طمعاً أن يكشف الله عنه ضره، قال الله: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، وقد جاءت السنة المطهرة مبينةً أسباب إجابة الدعاء منها:

أولاً: الإلحاح في الدعاء، لأنه يدل على صدق الداعي، وشدةِ رغبته في تحقيق دعائه، وفي غزوة بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**فما زال النبي ﷺ يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبَل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه**» رواه مسلم.

ثانيـاً: العزم في الدعاء، قال النبي ﷺ: «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللـهـم ارحمني إن شئت، ليعزم المسالة، وليُعَظِّم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شي أعطاه**» رواه مسلم.

ثالثاً: اليقين بإجابة الدعاء، قال النبي ﷺ: «**ادعو الله وانتم موقنون بالإجابة**» رواه الترمذي، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: «أنا لا أحمل هَمَّ الإجابة، إنما أحمل هَمَّ الدعاء، فإذا أُلهمتُ الدعاءَ كانت الإجابة معه».

رابعـاً: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء، قال النبي ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي، فيدع الدعاء**» متفق عليه.

خامساً: اجتهاد المصلي في الدعاء حال السجود، وقبل السلام، قال النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**» رواه مسلم، وعنده أيضاً: «**وأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ إن يُستجاب لكم**»، وأما قبل السلام فقيل لرسول الله ﷺ: «**أي الدعاء اسمع؟ قال: جوفَ الليل الآخر، ودبرَ الصلوات المكتوبات**» رواه الترمذي.

سادسـاً: عدم الاعتداء في الدعاء، قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، فلا يدعو برفع صوته، أو يتنطع في الألفاظ.

سابعـاً: عدم الدعاء بإثم، قال النبي ﷺ: «**ما من مسلم يدعو دعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث...**» رواه مسلم.

ثامنـاً: بِرُّ الوالدين، قال النبي ﷺ في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**يأتي عليكم أُويس بن عامر مع أَمدادِ أهل اليمن من مُراد، ثم من قَرَن، كان به برص فبَرأ منه إلا موضعَ درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو**

أقسم على الله لأبَرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» رواه مسلم.

تاسعاً : التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة في الدعاء: كما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة **«فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم»** رواه مسلم، فاستجاب الله لهم ونجاهم من كربتهم.

ومن أسباب إجابة الدعاء أيضاً: دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم، ودعوة الصائم، ودعوة الوالد، و تحري الأوقاتَ الفاضلة ـ كالثلث الأخير من الليل، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وآخر ساعة بعد العصر من يوم الجمعة ـ والحرصُ على الدعاء في الأماكن الفاضلة، قال شيخ الإسلام ﷺ: «كعرفةَ، ومزدلفةَ، ومنى، والملتزَم، والدعاءِ بالمساجد مطلقاً، وكلما فَضُل المسجد ـ كالمساجد الثلاثة ـ كانت الصلاة والدعاء أفضل».

وكذلك: الانكسار بين يدي الله، فالقلب إذا صادف خشوعاً وانكساراً بين يدي الرب، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنَّى بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، وتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وقَدَّم بين يدي دعائه صدقة، ودعا باسم الله الأعظم وهو كما ورد في الحديث: **«اللهم إني أسالك بأنك أنت الله لا اله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد»** رواه الحاكم وأصحاب السنن، قال **ابن القيم** رحمه الله: «فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الدعاء يُجاب، والقول يُسمع؛ لكن على المسلم أن يتحلى بالأسباب ويبتعد عن الموانع، ومن هذه الموانع:

أولها: ضعف القلب، وعدم إقباله على الله.

ثانيها: أكل الحرام - من أكل الربا، وأكل مال اليتيم، أو أكل أموال الناس بالباطل - فإن النبي ﷺ: «**ذكر الرجل يُطيل السفر، أشعث أغبر، يَمُدُّ يديه إلى السماء، يارب يارب، ومَطْعَمُه حرام، ومشربه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يُسْتجَاب له**» رواه مسلم.

ثالثها: قد يكون ما دعا به دعاءً لا يحبه الله، لما فيه من العدوان.

وإذا تحلى المسلم بآداب الدعاء، وابتعد عن الموانع، ولم يُستجب له، فإن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو - ليس بإثم، ولا بقطيعة رحم - إلا أعطاه إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، قلنا: إذاً نكثر، قال: الله أكثر**» رواه البخاري في الأدب المفرد.

والله سبحانه وتعالى قد لا يجيب العبد من أول دعوة، أو ثانيها، أو ثالثها، حتى يعرفَ العبدُ شدةَ افتقاره إلى الله، فيزدادَ دعاء، والله أحكم الحاكمين، حكمته بالغة، لا نستطيع أن نصل إلى معرفتها، ولكن علينا أن نفعل ما أُمرنا به من كثرة الدعاء.

وأفضل الدعاء أجمعه، وكان النبي ﷺ يدعو بدعوات منها:

قال أنس رضي الله عنه كان أكثرُ دعوة يدعو بها رسول الله ﷺ: «**اللهم آتنا**

في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وكان أنس رضي الله عنه إذا أراد أن يدعوَ بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه» رواه مسلم، وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك» رواه الحاكم، وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، إنك أنت المقدم والمؤخر، لا إله إلا أنت». متفق عليه.

وكان النبي ﷺ يدعو: «اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف والغنى» رواه مسلم، وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّلِ عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك»، رواه مسلم، وقالت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر الغنى والفقر» رواه أبو داود، والترمذي.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان من دعاء النبي ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، وشر ما لم أعمل» رواه مسلم، وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» رواه مسلم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون» رواه مسلم.

ولأهمية الدعاء وصّى النبي ﷺ صحابته به، قال أبو بكر الصديقُ

رضي الله عنه: «قلت يا رسول الله: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» متفق عليه، وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «يا رسول الله! علمني شيئا أسأله الله عز وجل قال: سل الله العافية، فمكثتُ أياماً، ثم جئت، فقلت: يا رسول الله !علمني شيئا أسأله الله، فقال لي: يا عباسُ ـ يا عمَّ رسول الله ـ سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة» رواه الترمذي، وقال علي رضي الله عنه: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل: اللهم اهدني، وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم» رواه مسلم، وأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال: «يا رسول الله ! كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني ـ وجمع أصابعه الأربع إلا الإبهام، فإن هؤلاء يجمعن لك دينك ودنياك» رواه مسلم.

وعن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا هؤلاء الكلمات، كما تُعلَّم الكِتَابة، اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر» رواه البخاري.

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيَه.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه..

❖ ❖ ❖

التوبـــــة

من أسماء الله التوّاب، قال سبحانه عن نفسه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٠]، والتوّاب: صيغة مبالغة، تدل على كثرة قبوله التوبة، وقد وردت صفة التوبة في آيات كثيرة من كتاب الله، قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النِّسَاء: ٦٤].

وسميت سورةٌ في القرآن الكريم بالتوبة، فيها ذكر حال الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ثم توبةِ الله عليهم.

والتوبة من عبادات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٣٧]، وهي من أسماء النبي ﷺ، قال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كان النبي ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**» رواه مسلم.

والتوابون يُحبهم الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، وهي من رحمة الله بعباده، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [النِّسَاء: ٢٦]، وهي سبب لنيل الخيرات، فقد وصى الأنبياء أقوامهم بها، قال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هُود: ٥٢]، وقال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هُود: ٦١]، وقال

شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هُود: ٩٠]، وقال الله لهذه الأمة: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هُود: ٣].

والله سبحانه بلطفه بعباده يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغيبها، والتوبة من أحب الطاعات إليه، و يكفي في محبتها شدة فرح الله بها «لله أفرح بتوبة العبد مِن رجل نزل منزلًا وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامُه وشرابُه، فوضع رأسه، فنام نومه، فاستيقظ، وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع، فنام نومه، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده» رواه البخاري.

ومهما بلغ العبد من الذنوب، فإن التوبة تُقْبل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

وقال النبي ﷺ: «كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ، فغفر له» رواه البخاري.

والله سبحانه من رحمته بعباده أنه يقبل التوبة في أي ساعة من ليل أو نهار، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشّورىٰ: ٢٥]، وخص الله في أشرف وقت من الليل أن يعرض

لعباده نفحاته، قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له**» متفق عليه.

غفر الله لنا ذنوبنا، وتجاوز عن سيئاتنا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ورد في حديث النبي ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**» رواه الترمذي، والرجوع إلى طريق الصلاح والاستقامة هو الواجب على كل مسلم مهما بلغ من الذنوب.

والنبي ﷺ قال: «**لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**» رواه مسلم، قال ابن القيم رحمه الله: «التوبة من الذنب، كشرب الدواء للعليل، وَرُبّ عِلَّة كانت سبب الصحة».

وتكفير السيئات من الصغائر يكون باللسان، قال النبي ﷺ: «**من قال: استغفر الله العظيم، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غفر له، وإن كان فرَّ من الزحف**» رواه أبو داود.

وتكون بفعل الطاعات، كالمحافظة على أداء الصلوات، والجمعة، وصوم رمضان، قال النبي ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفراتُ ما بينهن، إذا اجتَنَبَ الكبائر**» رواه مسلم.

وكذلك الحج، والهجرة، والدخول في الإسلام، قال النبي ﷺ: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**»، رواه مسلم. وتكون ببذل الصدقة والإحسان، قال النبي ﷺ: «**الصدقةُ تطفئ الخطيئة، كما يُطْفِئُ الماء النار**» رواه الترمذي.

أما الكبائر فلا بد لها من توبة، وإذا كانت متعلقة بحقوقِ آخرين فإنه يرد المظالم إلى أهلها.

قال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحُجرَات: ١١]: «قَسَم العباد إلى تائب وظالم، وما ثَمَّ قسم ثالث البته، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب، ولا أظلم منه لجهله بربه، وبحقه، وبعيب نفسه، وآفات أعماله، وفي الصحيح عنه أنه قال: «**يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فوالله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم، رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة**».

والتوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله لا تتعلق بحق آدمي فشروطها ثلاثة: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً.

والبعد عن مواطن الذنوب سببٌ رئيسٌ من أسباب ترك الذنوب، كما أوصى العالمُ الرجلَ الذي قَتَل مائة نفس أن يترك البلد الذي هو فيها لأنها أرض سوء.

وكلما أقبل العبد إلى مولاه بفعل الطاعات، فهو أقرب لنيل المطلوب، والنجاة من المرهوب، وإذا استهواه الشيطان فليتب وليرجع إلى ربه دوماً.

اللهم تب علينا جميعاً، واعصمنا من الشيطان وهمزاته.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

من مواطن حمد الله

تفرد الله بالأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورىٰ: ١١]، ومن هذه الأسماء (الحميد)، والصفة منه الحمد.

فالله سبحانه هو الحميد، بحمده لنفسه أزلاً، وبحمد عباده له أبداً، فهو سبحانه محمود في أُلوهيته، ومحمود في ربوبيته، ومحمود في ملكه، وأنه إله محمود، وربٌّ محمود، ورحمن محمود، ومَلِكٌ محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال والجلال.

وسُمي نبينا محمد ﷺ محمداً، لكثرة خصاله المحمودة، وهو صاحب المقامِ المحمود ـ وهو الذي يحمده فيه جميعُ الخلق لتعجيل الحساب، وإراحة الخلق من طول الوقوف ـ.

والحمد هو إخبارٌ عن محاسن المحمود، مع حبه وإجلاله وتعظيمه، والحمد أنواع: منها حمدٌ قوليٌّ وهو حمد اللسان، وحمد فعليٌّ، وهو الإتيان بالأعمال البدنية ابتغاء وجه الله.

وقد افتتح الله سبحانه حمده بسور عدة من كتابه الكريم كفاتحة الكتاب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢]، ويقصد بها الثناء على الله، وأنه مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، ومستحقٌ أن يحمدوه، فَحَمْدُ الله لا ينفك عن ألسن عباد الله المؤمنين في حياتهم الدنيوية وتقلباتهم فيه، وأنبياء الله عليهم السلام يحمدون الله في جميع أحوالهم، فإبراهيم

عَلَيْهِ السَّلَامُ حمد الله سبحانه حين وهب له ذرية فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وحمد اللهَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أنجاه الله ومن معه من المؤمنين، وأغرق أهل الأرض الكافرين، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]. وحمد اللهَ داودُ وسليمانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بقولهما: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النَّمل: ١٥].

ونبينا محمد ﷺ يحمد الله في ليله ونهاره، وحِلِّه وترحاله، فيحمده عندما يأوي إلى فراشه فيقول: «**الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني**» رواه أبو داود، ويحمد الله عند استيقاظه بقوله: «**الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني**» رواه مسلم، ويحمد الله عند أكله وشربه، وركوبه، وفي أفراحه وأتراحه، فيقول إذا رأى ما يحب: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**» رواه ابن ماجه، وإذا رأى ما يكره يقول: «**الحمد لله على كل حال**» رواه ابن ماجه، وقد جاء في الكتاب والسنة حمدُ الله على كل حال، وذلك يتضمن الرضا بقضائه.

وأعظم ما يحمد العبدُ ربَّه عليه نعمةُ الإسلام فلا تعدلها نعمة، حيث النعمة التي أكمل الله لنا الدين، وأتم النعمة، ورضيه لنا ديناً .

ولأهمية الحمد كان النبي ﷺ يبدأ بحمد الله في خطبه، ويكرر حمد الله في صلاته في جوف الليل، فيقول: «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض**» متفق عليه، وعند النسائي من حديث الأسود بن سَرِيع: «**قال: قلت: يا رسول الله ! ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى، فقال النبي ﷺ: أما إن ربك يحب الحمد**».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في قول النبي ﷺ: «**أفضل الذكر لا إله إلا**

الله وأفضل الدعاء: الحمد لله»: «سُمِّى الحمدُ لله دعاءً وهو ثناء محض؛ لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب للمحبوب، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب».

فاللهم إنا نحمدك كثيراً، طيباً مباركاً فيه، على آلائك الجسيمة، فتقبل اللهم حمدنا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

اعلموا أن حمد الله متكرر على ألسن عباده المؤمنين، وقد رغَّب النبي ﷺ بحمد الله والثناء عليه آناء الليل وأطراف النهار، فقال: «أحب الكلام إلى الله أربع: سُبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهنَّ بدأت» رواه مسلم، «ومن قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة، حُطت خطاياهُ وإن كانت مثل زَبَد البحر» متفق عليه.

وقال النبي ﷺ : «عجبت من قضاء الله للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابتهُ مُصيبة حمد ربه وصبر، المؤمن يؤجر في كل شيءٍ» رواه الإمام احمد، «وإذا رأى العبد رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها، وليحدث بها» رواه البخاري.

وحَمْدُ الله يكون في تسيير العمل ودفع الألم، فقد أرشد النبي ﷺ علياً وفاطمةَ حين سألاه عن خادم بقوله: «ألا أعلمكُما خيراً مما سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما: تُكبرا أربعاً وثلاثين، وتُسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم» رواه البخاري.

«وإن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم، وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يكثر في آخر أمره ـ أي: في آخر حياته ـ سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» رواه أحمد.

ونحن نحمدك ربنا ونستغفرك، فاغفر لنا، إنك أنت الغفور الرحيم.....

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

الأسباب الجالبة لرحمة الله

أسماء الله ﷻ حسنى قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعرَاف: ١٨٠]، أي: بالغة في نهاية الحسن والجمال والجلال والكمال.

وصفاته سبحانه عُلا، فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: ١١]، فله من الأسماء أحسنُها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحكمها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل.

ومن أسماء الله الحسنى وصفاته العلى: الرحمن، أي: ذو الرحمة الواسعة، قال الخطابي رحمه الله: «فهو ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم».

والله سبحانه وسع كل شي برحمته، وعمَّ كل حي بنعمته، قال تعالى ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القَصَص: ٧٣]، واستوى الله على أعظم المخلوقات وهو العرش، بأوسع الصفات، فقال تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فالله ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، وهو ﷻ ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] وهو سبحانه ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: ١٢] أي: قضى وأوجب على نفسه تفضلاً رحمةَ خلقه، قال ابن سَعْديٍّ رحمه الله: «وهو سبحانه قد بسط عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتاباً أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحبُّ إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبوابَ الرحمة إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم».

ورحمة الله وسعت كل شي، قال تعالى ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «الآية عظيمة الشمول والعموم». قال الحسن وقتادة رحمهما الله: «وسعت في الدنيا البر والفاجر، وفي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة»، وسعة رحمة الله لعباده كبيرة، قال النبي ﷺ «لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» رواه مسلم.

وخاطب الله كفارَ أهلِ مكة فقال تعالى ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، فلو شاء سبحانه لأهلككم ولكن أبقاكم رحمة من عنده، وكذا قوله ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

ورحمة الله سبقت غضبَه، وإنعامُه غلب انتقامَه، قال النبي ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي تغلب غضبي» رواه مسلم، قال القاضي عياضٌ رَحِمَهُ اللهُ: «المراد بالغلبة: الكثرة والشمول، كما يقال: غلب فلان حب المال أو الكرمِ أو الشجاعةِ إذا كان أكثر خصاله».

والله سبحانه أرحم الراحمين، ولله مائةُ رحمة، قال النبي ﷺ: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائةَ رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة» رواه البخاري، وعند مسلم «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأَخَّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

وفي وصف سعة الرحمات، قال النبي ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض» رواه مسلم.

أما سعة رحمة الله فقال حملة العرش في وصفها ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وقَدِم على النبي ﷺ سبيٌ فإذا امرأة من السبي تحلبُ ثديها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي ﷺ لمن معه: «**أترون هذه طارحةً ولدَها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها**» متفق عليه.

ورحمة الله بعباده كثيرة لا تحصى، فإرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة لعباده، قال عن موسى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، وقال عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١]، وقال سبحانه عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبي ﷺ: «**إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة**» رواه مسلم.

والقرآن الكريم رحمة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وذلك لما يجدون فيه من العلمِ الكثير، والخيرِ الغزير، وتزكيةِ القلوب والأرواح، وتطهيرِ العقائد، وتكميلِ الأخلاق، والفتوحاتِ الإلهية، والأسرارِ الربانية.

والمطر رحمةٌ للعباد، قال سبحانه ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الرُّوم: ٥٠]، أي: آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من أنواع النبات والأشجار والثمار، والفاء في قوله ﴿فَٱنظُرْ﴾ للدلالة على سرعة ترتبها عليه.

وسمى الله الجنة رحمة، قال تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى

﴿رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: في الجنة، وعبر بالرحمة عن الجنة لأنه لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله وفضله، وقال النبي ﷺ: «**يُدخل الله أهلَ الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه**» رواه مسلم.

والجنة لا يدخلها أحد بعمله «**قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة**» متفق عليه.

وفقنا الله لطاعته

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

أهم الأسباب الجالبة لرحمة الله :

القرآن الكريم تلاوة وعملاً، قال تعالى ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال ﷻ ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧]، وقال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، فالقرآن الكريم أعظم هادٍ للخير، وأشد حافظ من الوقوع في الزلل، فيحصل باتباعه السعادة والرحمة والخير الكثير.

ومن الأسباب : الإحسان وهو : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فانه يراك، وجزاء المحسن قرب رحمة الله منه، قال سبحانه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، فأهل الإحسان أحسنوا في عبادتهم لله، وأحسنوا إلى عباد الله فأحسن الله إليهم برحمته، فمن تقرب إليه بالإحسان تقرب الله إليه برحمته، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته.

وتقوى الله وإيتاء الزكاة والإيمان بالله سبب للرحمة، قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والهجرة والجهاد في سبيل الله من أسباب رحمة الله، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢١٨]، فأصحاب تلك الأوصاف الحميدة من الإيمان ومفارقةِ الأوطان وجهاد العدو هم الجديرون أن ينالوا رحمة الله، والله عظيم المغفرة، واسع الرحمة.

وانتظار الصلاة سبب للرحمة، قال النبي ﷺ «**إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يُحدث، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**» متفق عليه، ومجالس الذكر والعلماء سبب للرحمة، قال النبي ﷺ: «**لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**». رواه مسلم.

وملازمة الاستغفار تجلب الرحمة، قال تعالى ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النَّمل: ٤٦].

والدعاء بالرحمة سبب نوالها، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [آل عِمرَان: ٨] وهذا الدعاء بطلب الرحمة أحوجُ ما يكون الناس إليه في يوم القيامة، فهي سبب للفوز الأبدي، وقد كان من دعائه ﷺ «**اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب الا انت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**» رواه البخاري. ولأهميتها كانت مشروعة في الصلاة على الميت «**اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله...**» رواه مسلم.

ورحمة **العبد** للخلائق والعطف على عباد الله من أسباب رحمة الله، قال النبي ﷺ «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**» متفق عليه، وقال ﷺ «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» رواه أبو داود، وقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويُقْعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم

يضمهما، ثم يقول: **«اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»** رواه البخاري، وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تُقبِّلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبي ﷺ: **«أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»** متفق عليه.

والصلاة والدعاء في جوف الليل الآخر سبب لنيل الرحمة، فالله سبحانه ينزل حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: **«من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له»** متفق عليه.

فالتجىء إلى الله ﷻ بأنواع القربات، وأقبل عليه، وسله الرحمة والغفران، فهو سبحانه واسع المغفرة ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ومهما فعل العبد من ذنبٍ فإن الذنب مع التوبة مغفور، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، ولا تقنط من رحمة الله، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحِجر: ٥٦]، وحملة العرش يستغفرون للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩].

ثم اعلموا أنه لا ييئس من رحمة الله إلا الكافرون، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العَنكبوت: ٢٣] فهم في الآخرة آيسون من رحمة الله، قال ابن كثير

رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا نصيب لهم فيها»، ﴿وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [العَنكبوت: ٢٣] أي: موجع في الدنيا والآخرة.

فاعمل واجتهد في طلب الصالحات لنيل رحمة الله، ولا تجعل رحمة الله وعظيم إحسانه سبيلاً للعجز عن العمل.

عباد الله . . .

❖ ❖ ❖

الاستقـــامـــة

أمر الله ﷻ عباده بالاستقامة على دينه، وامتثال أمره في آيات عديدة من كتابه الكريم، قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هُود: ١١٢].

والاستقامة على دينه من المنن التي امتن الله بها على أنبيائه عليهم السلام، فقال عن موسى وهارون ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الصَّافات: ١١٨]، وقال في وصف إبراهيم عليه السلام ﴿شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [النّحل: ١٢١]، وقال عن أنبيائه عليهم السلام إسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطٍ: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [الأنـعـام: ٨٧] قال ابن حجر رحمه الله في معنى الاستقامة: «هي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً».

وأوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالاستقامة لمَّا أراد سفراً، قال للنبي ﷺ أوصني قال: «**اعبد الله لا تشرك به شيئاً، قال: يا رسول الله زدني، قال: إذا أسأت فأحسن، قال: يا رسول الله زد، قال: استقم وأحسن خُلُقك**» رواه الحاكم، ووصى النبي ﷺ سفيانَ بنَ عبد الله رضي الله عنه «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**» رواه النسائي، وهي نعمة من نعم الله على عبده.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معنى الاستقامة: «أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تراوغ روغان الثعالب»، وقال علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهم في الاستقامة: «إنها أداء الفرائض»، وقال الحسن: «استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته».

قال ابن تيمية رحمه الله: «الكرامة هي لزوم الاستقامة، وهي طاعة الله، وإنما هي مما يبتلى الله به عبده، فإن أطاعه بها رفعه، وإن عصاه بها خفضه، وإن كانت من آثار طاعة أخرى، كما قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجنّ: ١٦-١٧]» وقال ابن القيم رحمه الله: «لزوم الاستقامة ودوام العبودية أفضلُ كَشْفٍ يعطاه العبد، وهذه أفضل كرامة يكرم بها الولي».

ومدار الاستقامة صلاح القلب واللسان، فإن ابن آدم إذا أصبح فإن أعضاءه تُكفِّر اللسان ـ أي تذل وتخضع لأمره ـ تقول: اتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا، ولذا قال النبي ﷺ: «**لا يستقيمُ إيمانُ عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانه**» رواه أحمد.

وأعظم هادٍ إلى الصراط المستقيم ومحركٍ للقلب واللسان هو كتاب الله، قراءة وتدبراً، قالت الجن في وصفه: ﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التّكوير: ٢٧-٢٨].

كما أن الاعتصامَ بكتابه ولزومَ هديه هو المنجِّي في الدنيا والآخرة من الهلاك، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٠١].

وقد خطَّ رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: «**هذا سبيلُ الله، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سُبُل، وعلى كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا هذه الآية**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعَام: ١٥٣]». رواه النسائي.

نسأل الله أن يجعلنا ممن هدي الى صراط مستقيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

اعلموا أن الفلاح في الدنيا والآخرة، هو لزوم صراط الله المستقيم والدعاء بذلك، ولذا ذكرها الله في فاتحة كتابه بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦]، حيث النعيم المقيم لأهلها، قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصّلَت: ٣٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتبه، هُدِيَ هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دارِ ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط، يكون سيره على ذاك الصراط، ولينظر العبدُ الشبهاتِ والشهواتِ التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط، فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط، تخطفه، وتعيقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت، فكذلك هي هناك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: ٤٦]».

نسأل الله لنا ولكم الاستقامة ظاهراً وباطناً، وأن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه..

❖ ❖ ❖

الاستخـــارة

جاء الإسلام بشريعته السمحة، هدايةً للحائرين، وإرشاداً للضالين، فكان هذا الدينُ العظيمُ صِلةً بين العبد وربه في عباداته كلِّها ؛ وأعظم ما يتَوصَلُ به العبد إلى مولاه في شدته ورخائه أداءُ الصلوات المفروضة، وعمومُ النوافل، «فقد كان النبي ﷺ إذا حزبه، أو كربه أمر، فزع إلى الصلاة» رواه أبو داود.

والعقل البشري بطبيعته ناقصُ المعرفة في إدراك الحاجات الدنيوية حاضراً ومستقبلاً، ولا يعلم بواطن الأمور، وما يُصْلِح أحوالَ الناس إلا علامُ الغيوب ﷻ، ولذا شُرعت صلاة الاستخارة التي تُجلّي عن القلب ما أهمه، وتزيل عنه ما أغمّه، فيكون فيها محبةُ أداء العمل، بعد أن كان يظن أن أداءه شرٌّ محض، أو يكره أداء العمل بعد أن كان يظن أن أداءه خيرٌ محضٌ، فيقوم بطلب خير الأمرين في تحقيق أحدهما في صلاة يعقبها دعاء، كم من عبد أراد أمراً من الأمور، وتعلق قلبه بهذا الأمر وسعى فيه سعيه، وأجهد فيه نفسه، وما ترك شيئاً يحققه له إلا عَمِله، ولكن الله حجبه عنه حتى أيس منه وحزن عليه، ثم تبين بعد أمد، أن الشر كان فيما أراد، والله قد أنعم عليه لمَّا صرفه عنه.

وقد كان النبي ﷺ يعلّم الصحابة ﭫ الاستخارة في الأمور كلِّها، كما يعلمهم السورة من القرآن، فيقوم المسلم باستخارة مولاه، ـ المتصفِ سبحانه بالعلم، والحكمة، والخبرة، والرأفة، والرحمةِ، وغيرها ـ.

في استفتاح العبد استخارته بركعتين من غير الفريضة، فيها أدب

لمولاه في قضاء أمره، وقد قضت الحكمة أن من الأدب أن تقرعَ بابَ من تريد حاجتك عنده، وقَرْعُ باب المولى سبحانه إنما هو بأداء الصلاة، ولا شيءَ أنجعُ ولا أنجحُ من الصلاة، لما فيها من تعظيم الله، والثناءِ عليه، والافتقارِ إليه مآلاً وحالاً.

ثم يَذْكُر الدعاءَ الواردَ دبر الصلاة، إما قبل السلام أو بعده، ويدعو بالدعاء الوارد: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو في عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به ـ ويسمي حاجته** ـ رواه البخاري.

ولك أن تَعِيَ هذه الكلمات فهي جَزْلةٌ في ألفاظها، عظيمةٌ في معناها، جامعةٌ لخيري الدنيا والآخرة، فيها أدب وثناء وإظهارٌ لعلم الله في الكون، وما ينفع للعبد وما يضره، وفيها طلبُ العون على تحقق الأمر، وإظهار ضعف العبد مهما بلغ من رفعةٍ لدرجاته العلمية، أو أحاط به أهل الرأي والمشورة.

ثم إن هذه الاستخارةَ ليست في تحقيق الأمر وحده في الدنيا، وإنما هي دنيا وأجر في الآخرة، وفيها دعاء للعبد إن صرفه الله عن هذا الأمر أن يُقدِّر له أمراً خيراً منه، وليس هذا فحسب، وإنما يرضى به أيضاً.

فيستخير على كل أمر كان، صغيراً أم كبيراً ـ كعملٍ، وتجارة، وزواج، ونحوها، من أمور الدنيا ـ، والاستخارة تكون في الأمور

المباحة، وتكون في المستحبات إذا تعارضا في البدء بأحدهما. أما الواجبات وأصل المستحبات والمحرمات والمكروهات كل ذلك لا يستخار فيه.

وفقنا الله لفعل الطاعات، وجنبنا الفواحش والمنكرات..

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

الاستخارة فيها تعظيمٌ لله، وثناءٌ عليه، وامتثالٌ للسنة المطهرة، وتحصيلٌ لبركتها، وفيها تعلقُ القلب بربه ﷻ، وتفويضُ أمرِ العبد إليه، والرضى بما قسم له في دنياه، بل فيها راحةٌ، واطمئنانُ النفس لما يقدّره الله للعبد.

وفيها دليل على ثقة الإنسان بربه، ووسيلةٌ للقرب منه، وهي تزيد العبد أجراً بأداء الصلاة وفعل الدعاء.

والمستخير لا يَخِيبُ مسعاه أبداً، لأنه استخار علّامَ الغيوب، فيُمنح الخَيرة، ويَبْعُدُ عن الندم، وهي تختصر الوقت، والجهد، والمال، وما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

وهي مخرجٌ من الحيرة والشك، ومدعاةٌ للطمأنينة، وراحةُ البال، بل قد يتجرع الإنسان غُصَص عملٍ لم يستخر فيه مولاه سنين طويلة، والعبد إذا أدى الاستخارة فالقلب يطمئن لفعل الأمر أو تركه، أو أن يوفق لمستشير ناصح فيدلَّه على الخير، أو يحذرَه من الشر، فإما أن ييسر الله أمره، أو أن توضع له معوقات عن تحقيق أمره.

ويستخير العبد ربه في الأمر مرة، وإن زاد فهو أفضل، لأن الاستخارة دعاء، وكلما أكثر من الدعاء كان أرجى للإجابة، وبعدها يعزم على الأمر بتوكله على مولاه ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، ولا تتردد بعدها في أداء ما استقر الأمر إليه، فإن فساد الرأي التردد.

وإذا كنـت ذا رأي فـكـن ذا عـزيـمـة   فـإن فـســـاد الــرأي أن تــتـــرددا

وفقنا الله وإياكم للرأي السديد، والعمل المجيد.

صلوا....

❖ ❖ ❖

فضل الاستغفار

المرء في ليله ونهاره مُعَرَّض لاقتراف الذنوب والمعاصي، فالشيطان يسعى سعياً حثيثاً لغواية الإنسان، **قال النبي ﷺ**: «**قال إبليس: وعزتك يا رب! لا أبرح أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم، فقال: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**» رواه احمد.

والاستغفار ماح للذنوب والمعاصي، قال الله ﷻ ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١١٠].

والاستغفار من صفات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لما أحس آدم وحواء بالذنب: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٢٣]، وإبراهيم عليه السلام يستغفر لكل مؤمن سابق ولاحق ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقال موسى عليه السلام ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعـرَاف: ١٥٥]، وقال نوح عليه السلام ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هُود: ٤٧]، وقال الله عن داوود عليه السلام ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صٓ: ٢٤]، وقال سليمان عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [صٓ: ٣٥]، وقال الله لصفوة خلقه ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محَمَّد: ١٩]، وكان النبي ﷺ يقول في المجلس الواحد: «**رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم، مائة مرة**» رواه أبو داود، وعند البخاري «**سبعين مرة**».

ولأهمية الاستغفار كان النبي ﷺ يقول في مقدمة خطبته: «الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا» ابن ماجه، والاستغفار مشروع في كل وقت وحين، وهناك أوقات وأحوال مخصوصة فيها مزيد فضل وثواب، فيشرع بعد الفراغ من العبادات ـ كبعد الصلوات الخمس ـ، وفي وقت السَّحر لأنه وقت الغفلة عن العبادة وغلبة النوم، كما في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال سبحانه ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، ويشرع في الثلث الأخير من الليل، قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» متفق عليه.

وبعد الإفاضة من عرفة والفراغ من الوقوف بها ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وفي ختام المجلس يشرع أيضاً: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، أستغفرك، وأتوب إليك» رواه أبو داود، وعند دنو الأجل يكثر العبد من الاستغفار، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، قالت قلت: يا رسول الله! ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلى آخر السورة». رواه أحمد.

وورد الاستغفار في الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن، أي

يحقق قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ﴾ [النّصر: ٣]» متفق عليه.

وفي الجلوس بين السجدتين يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي.

والاستغفار في القنوت، والاستغفار بعد التشهد الأخير قبل السلام قال النبي ﷺ: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» متفق عليه. أو: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت» متفق عليه.

ويستحب الاستغفار عقب الصلاة ثلاثاً.

وأفضل صيغ الاستغفار: سيد الاستغفار وهو جامع لمعاني التوبة كلِّها، وهو أن تقول: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فمن قالها موقناً بها حين يمسي ومات من ليلته، دخل الجنة» رواه البخاري.

ومن صيغ الاستغفار عموماً في الصلاة أو خارجها «اللهم اغفر لي» متفق عليه، و«أستغفر الله الذي لا اله الا هو وأتوب إليه، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» رواه أبوداود والترمذي.

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت اعلم به مني» متفق عليه.

فاللهم اغفر لنا ما أسررنا، وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا..

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

للاستغفار أثر على الفرد والأمة، روى ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ قال: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**» رواه أبو داود، وهو دافع للهم والغم والضيق، لأن المعاصيَ توجب الهم والحزن، قال ابن القيم ﵀: «وأما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق، فَلِمَا اشترك في العلم به أهلُ الملل وعقلاءُ كلِّ أمة أن المعاصيَ والفسادَ توجب الهم، والغم، والخوف، والحزن، وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسهم، ارتكبوها دفعاً لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم».

والاستغفار بإذن الله يفتح على المسلم ما أشكل من العلوم، قال ابن تيمية ﵀: «إنه ليقف على خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي، فأستغفر الله ألف مرة، أو أكثر، أو أقل، حتى ينشرح الصدر، وينجليَ إشكالُ ما أشكل».

وأثرها على الأمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال نوح ﵇: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، وخرج عمرُ الفاروق ﵁ يستسقي فما زاد على الاستغفار.

وهو جالبٌ للرحمة، قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، وأربعٌ تجلب الرزق: قيام الليل، وكثرة الاستغفار

بالأسحار، وتعاهد الصدقة، والذكر أول النهار وآخرُه. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «كان لنا أمانان، ذَهبَ أحدهما وهو كون النبي ﷺ فينا، وبقي الاستغفار معنا، فإذا ذهب هلكنا».

والاستغفار لابد أن يكون باللسان وعمل الجوارح، فمحو الذنب وستر العيب مع الاستمرار في السيئة لا يجدي قال الفضيل رحمه الله «استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين».

فعلى المسلم ان يكون طالباً لمغفرة مولاه مهما كبر الذنب أو صَغُر، قال النبي ﷺ: «**ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية** ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوٓاْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] إلى آخر الآية». رواه أصحاب السنن.

فأكثر من الاستغفار، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

والذنوب يزول موجبها بأشياء: أحدها بالتوبة، وثانيها بكثرة الاستغفار، وثالثها بالأعمال الصالحة المكفرة.

غفر الله ذنوبنا، وستر عيوبنا..

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

أعمال صالحة أجرها مضاعف

من أسماء الله الحسنى (الكريم)، وصفته الكرم، فهو اسم جامع لكل ما يحمد، والخير والعطاء الذي لا ينفد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الكريم هو: البهيُّ، الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنُه وأفضلُه. والله سبحانه وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامَه، ووصف به عرشَه، ووصف به ما كثُر خيرُه وحسن منظرُه ـ من النبات وغيره ـ».

فلا أحد أكثرُ خيرًا من الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا أكرمَ من إكرامه، ولا أجودَ من جُوده، ولا أنعم من إنعامه؛ لعموم قدرته وسعة عطائه، قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحِجر: ٢١]، ومن كرمه سبحانه وتعالى أنه أسبغ على عباده النعم، ومنحهم الهبات، قال رسول الله ﷺ «**يمين الله ملأى** ـ أي: غاية الغنى والرزق الذي لا ينتهي ـ **لا يغيضها** ـ أي: لا ينقصها ـ **سحاء الليل والنهار** ـ دائمة الصب ـ **أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه**» متفق عليه، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إن الله سبحانه غني، حميد، كريم، واجد، رحيم، فهو سبحانه محسن إلى عبده مع غناه عنه؛ يريد به الخير ويكشف عنه الضر؛ لا لجلب منفعة إليه من العبد؛ ولا لدفع مضرة؛ بل رحمةً وإحساناً».

ومن كرم الله سبحانه أنه إذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، فالخير كله بيديه، والخير كله منه، والنعمُ كلُّها هو موليها،

والكمال والمجد كله له، فهو الأكرم حقًا الذي لا يوازيه كرم، ولا يعادله في كرمه نظير.

وما في العالم مما في الأرض هو من كرم الله ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ٢٩]، وأسبغ على عباده النعم ظاهرة وباطنة، قال سبحانه ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ولا يعدها العادون ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ومن كرمه أنه يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويبدل السيئات حسنات، قال سبحانه فيمن عصا أمره، واتبع الشيطان وهواه ثم تاب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وأتى عمرو بن العاص رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال: «**ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**» رواه مسلم.

ومن كرم الله سبحانه أنه يجازي على العمل القليل بالأجر الكثير: قال عز وجل ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]، وقال سبحانه ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وفي الحديث القدسي «**يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب**

مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة» رواه مسلم.

وهناك أعمال صالحة أجرها لا يُعْلم، فالحسنات لفاعلها بغير عَدّ ولا حَدّ.

أولاها: الصبر، صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على أقدار الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزُّمَر: ١٠]، ومن صبر فقد لازم التقوى، قال سبحانه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البَقَرَة: ١٧٧]، وثواب الصبر بَيّنه الكريم سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[الرّعد: ٢٢-٢٣].

والمؤمن لا تُزَعْزِع قلبَه المصائبُ فهو فيها صابر، وللنعماء شاكر، قال رسول الله ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله خير؛ وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»** رواه مسلم.

والشدة والكرب والبلاء تمحيص وتهذيب للمؤمن، قال رسول الله ﷺ **«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»** رواه الترمذي.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

العمل الثاني الصالح المضاعف أجره بلا حد: الصوم، وهو ترك المشرب والمأكل والجماع، وقد ورد في فضله ما في الحديث القدسي: «يقول الله ﷻ: الصوم لي وأنا أجزي به يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي» متفق عليه وفي رواية: «قال الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به» رواه ابن خزيمة «ومن صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا» متفق عليه، قال ابن القيم رحمه الله: «وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس، وتلذذاتها، إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سرٌ بين العبد وربه، لا يطّلِع عليه سواه».

ومن كرم الله للصائمين، أن في الجنة باباً لا يدخله إلا هُم، فضلاً منه سبحانه قال النبي ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل من الصائمون يومَ القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرُهم، يقال أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد» رواه مسلم والريان: صيغة مبالغة من الرِّيِّ، وهو نقيض العطش، والصوم لا يطلع عليه أحد من البشر، ولا يعلم به أحد، قال ابن عبد البر: «والصوم لا يظهر من ابن آدم في قول ولا عمل، وإنما هو نية ينطوي عليها صاحبها ولا يعلمها إلا الله، وليست مما تظهر فتكتبها الحفظة، كما تكتب الذكر والصلاة والصدقة وسائر الأعمال».

العمل الثالث : الصدقة والبذل والعطاء، أجرها مضاعف، ومال المنفِق مباركٌ ومخلوفٌ عليه، قال سبحانه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١]، وقال ﷻ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥]، قال ابن كثير : «فالكثير من الله لا يحصى، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٥]، أي : أنفقوا ولا تبالوا».

والصدقة سميت بذلك لدلالتها على صدق باذلها، وهي سبب في بركة المال وتزيده، قال سبحانه ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ﴾ [سَبَإ: ٣٩]، وفي الحديث: «**ما نقصت صدقة من مال**» رواه مسلم، والصدقة فيها تفريج هم، وتنفيس كرب، وعطف، ورحمة، والصدقة قال عنها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «عَجَبٌ من العُجاب».

ورغّب النبي ﷺ في الصدقة فقال : «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فُلُوَّه ـ وهو الغرس الصغير ـ حتى تكون مثل الجبل**» متفق عليه

وجاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ : «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**». رواه مسلم، عليها خطامها، أي : زمامها ـ فلا يوضع فيها الخطام إلا إذا قويت واشتدت وصارت صالحة لحمل الأثقال وغيرها ـ.

هذه أعمال صالحة ـ وغيرها كثير ـ تُبيّن كرَم الله لمن أطاعه من عباده، وأدى ما يكون به فوزه بالجنة والنجاة من النار.

فعلى المسلم أن يَجِدَّ ويجتهد ويشمَّر في العمل، وأن يبتعد عن كل ما يكون فيه الزلل، حتى يتعرض لنفحات كرم الكريم سبحانه.

وفقنا الله لأداء الصالحات، وصرف عنا الفواحش والمنكرات.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه.

أسباب الاستمرار على العمل الصالح

خلق الله ﷻ الثقلين من أجل عبادته وتوحيده، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦]، لذا فإنه واجب على المسلم امتثالَ أوامر الله، وأوامرِ رسوله ﷺ، وأداءَ العبادة على وجهها المأمورِ به دون ابتداع إلى حين وفاته، قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحِجر: ٩٩].

فالمسلم يتقرب إلى مولاه بالطاعات في أيام عمره، والشيطان يسعى جاهداً ليدخل على قلب المسلم فتوراً، وتكاسلاً عن أداء ما أمر به.

لكن ثمة عوامل تعين المسلمَ على استمرار أداء العبادات في أيام حياته من أهمها:

التزود من العلم الشرعي: فلا عملَ مستمرٌ بلا علم، لأنه أساسٌ لمعرفة أداء العمل على ضوء ما أُمر به، وبمعرفة ثواب العبادة، من رفعة درجات صاحبها، ولما يرى من الآثار الحميدة على تحصيل العلم واكتسابه، وقد ذكر الله درجة العالم في قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجَادلة: ١١]، وبوّب الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بابٌ العلم قبل القول والعمل، وأورد قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محَمَّد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

ثاني هذه العوامل: الإخلاص في أداء العبادة، بل إخلاصه فيها سبب لقبول العمل، قال الفضل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، ولا يقبله إذا كان خالصاً له إلا على السنة».

والله سبحانه أمر بالإخلاص في العبادات كلِّها، فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: ٥]، وأمر الله نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٦].

وثالث هذه العوامل: التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، فهو القدوة المثلى التي جعلها الله لنا بقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ورابع هذه العوامل: عدم تكليف النفس فوق طاقتها، قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقَرَة: ٢٨٦]، ولذا أرشد النبي ﷺ عثمانَ بنَ مظعون رضي الله عنه فقال: «**يا عثمان ! أرغبت عن سنتي؟ قال: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب، قال: فإني أنام، وأصلي، وأصوم، وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصَلِّ ونم**» رواه أبو داود.

ودخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: «**لا، حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد**» رواه البخاري. وقالت عائشة رضي الله عنها: «**كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل رسول الله ﷺ فقال: من هذه؟ قلت: فلانة لا تنام بالليل فذُكِر من صلاتها، فقال: مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا**» رواه البخاري، قال ابن حجر رحمه الله في معنى: «**عليكم ما تطيقون**» أي: «اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون من المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق»، وقال ابن بطّال رحمه الله: « إنما يكره التشديد في العبادة خشيةَ الفتور وخوف

الملل، ألا ترى قوله: «**خير العمل ما دام عليه صاحبه وإن قل**» وقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]» ولنا في رسولنا ﷺ أسوة فقد «**كان عمله ديمة**» متفق عليه. أي: يداوم عليه ولا يقطعه.

ومن أسباب استمرار العمل الصالح: تنشئة الأبناء تنشئة صالحة، فهي سبب بإذن الله لاستمرار العمل الصالح، وقد طرق النبي ﷺ فاطمة وعلياً ليلاً، وكان في تفقده ﷺ إرشاداً لهما، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لولا ما علم النبي ﷺ من عظم الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابنَ عمه في وقت جعله الله لخَلْقه سكوناً، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعوة والسكون، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]»، قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه فضيلة صلاة الليل، وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك».

ومن العوامل أيضاً: الرفقة الصالحة، وقد شبههم النبي ﷺ بحامل المسك، فهم خير زاد للمسلم في أداء العبادة، وتسهيل أمرها، والحث على أدائها، وتذليل صعابها.

ومن العوامل أيضاً: البيئة الصالحة فهي سبب لاستمرار الطاعات والتنوع في القربات، والرجل الذي قَتل مائة نَفس، أوصاه العالِم كما في صحيح مسلم بأن ينطلق إلى أرضِ كذا وكذا، فإن فيها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ولذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ عباده بالهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، حفاظاً على الدين، وصوناً للأخلاق.

وفقنا الله لطاعته حسن عبادته..

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

من العوامل المعينة لاستمرار العمل الصالح: دعاء الله بذلك، فإن إبراهيم عليه السلام دعا لذريته بقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، والدعاء سبب رئيس في استمرار العبد للطاعات، كما أن العزيمة الصادقة، وقِصَرَ الأمل، ومعرفةَ سير العلماء والزهادِ والعبَّاد في علمهم وعملهم وورعهم ما هي إلا أسباب معينة بإذن الله إلى البذل والعطاء.

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أمثلةً في استمرارِ العمل وعدمِ انقطاعه، قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل، قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا» رواه مسلم.

هكذا الصحابة ومَنْ بعدهم في استمرار العمل الصالح وعدمِ انقطاعه، فعندما سمعت أم حبيبة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة، بُني له بهن بيتٌ في الجنة، قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة. وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس» رواه مسلم.

ثم اعلموا أن من داوم على العمل الصالح، ثم انقطع عنه بسبب مرض أو سفر ونحوهما، فإن الله يكتب له أجر ذلك العمل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر، كُتب له مثلُ ما كان يعمل مقيماً صحيحاً» رواه البخاري.

نسأل الله أن يعمر أيامنا بالطاعات.

سير الأنبياء

نـــوح عليه السلام

ذكر الله قصة نَبِّيه نوح عليه السلام وما كان من قومه، في عدة سور من كتابه الكريم، وأنزل سورة كاملة في القرآن باسمه عليه السلام، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، كما ثبت في الصحيحين من حديث الشفاعة، وهو مِن أولي العزم من الرسل، أرسله الله لما آل الحال بأهل الزمان إلى عبادة الأوثان.

ولنا في ذِكْرِه عليه السلام، و ذِكرِ دعوته مع قومه وقفات:ـ

أولاها: أن الشيطان قد يزين للإنسان باباً من أبواب الخير، حتى يؤول به المآل إلى خلافه، وهذا ما كان من قوم نوح عليه السلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن وداً، وسواعاً، ويغوثَ، ويعوقَ، أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت» رواه البخاري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فهذا أول شرك كان في بني آدم، وكان في قوم نوح، فإنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نُوح: ٢٣]».

وهكذا كل عمل لم يأمر بهما الوحيان ـ الكتابُ، والسنةُ ـ فلا عمل بها حتى و لو استحسنها الناس.

ثانيهما: أن مدة دعوته لقومه طويلة، وتَنَوَّع في زمنها بالليل والنهار، والسرِّ والجهار، مما يدل على صبره وحرصه عليهم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «صَبْرُ نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على ما نالهم في الله باختيارهم وفعلِهم ومقاومتِهم قومَهم، أكملُ من صبرِ أيوبَ على ما ناله في الله من ابتلائه وامتحانه بما ليس مسبَّباً عن فعله، وكذلك كان صَبْرُ إسماعيلَ الذبيحِ وصبرُ أبيه إبراهيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ على تنفيذ أمر الله أكملُ من صبرِ يعقوبَ على فقد يوسف».

وقد أخبر الله عن طول دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ [العَنكبوت: ١٤]، وتنوع في زمنها ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نُوح: ٥] فلم يكترث من صدود قومه عنه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نُوح: ٦-٧] ومع ذلك صبر على الدعوة، ولم يَمَلّ، ولم يكلّ.

ثالثاً: أن دعوته مع طولها وتنوع وسائلها لم يؤمن بها إلا قليل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هُود: ٤٠]، بل زوجته لم توافقْه في الإيمان، و لم تصدقْه في الرسالة، مع قربها له في المَعْشر والمأكل، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التَّحريم: ١٠]، وكانت خيانة زوجته له في الدين كما قال ذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بل حتى ولده الذي من صلبه لم يؤمن بدعوته حين قال له لما أتى العذاب: ﴿يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [هُود: ٤٢].

وهذا درس للدعاة أن يدعوا ويبلغوا ولا ينظروا إلى كثرة أو قلة

الأتباع، قال النبي ﷺ في اتباع الأنبياء عليهم السلام: «**عرضت علي الامم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي وليس معه أحد**» متفق عليه.

ومن هذه الوقفات: تَلطُّف نبيِّ الله في تبليغ الرسالة مع قومه كما قال لهم: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هُود: ٢٨]، و كان ديدنهم أن يقابلوا هذا الأدبَ بقولهم: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هُود: ٣٢].

وكذا رُسلُ الله عليهم السلام كان عندهم لطفٌ في العبارة، وصدقٌ في المعاملة، كما قال الله لموسى حين أمره بدعوة فرعون قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وقال لنبينا محمد ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النَّحل: ١٢٥]. فما أجمل الكلمةَ الطيبةَ التي تنفذ إلى القلوب كنفاذ السهم في الرمية.

ومن الوقفات: أن الحق لا يحتاج إلى ردٍ للعقل ولا للفكر، و قد وصفوا من آمن مع نوح عليه السلام بأنهم ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [هُود: ٢٧] أي: بمجرد أن دعوتهم استجابوا لك، من غير نظرٍ ولا درايةٍ ولا رويّة، و يغيب عن قوم نوح أن الحق أبلج، فلا يحتاج إلى ردٍ إلى عقل، و لا لإعمال الفكر! ولذا امتدح الله أبا بكر رضي الله عنه بقوله: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

لما يأس نوح عليه السلام من صلاحهم وفلاحهم، ورأى أنهم لا خير فيهم، وأنهم لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً، وتوصلوا إلى أذيته وتكذيبه من جملةِ فِعال ومقال، دعا عليهم دعوة غضب، فاستجاب الله لدعوته، وأجاب طلبه بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [الصَّافات: ٧٥]، وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القَمَر: ١٠]، و﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ۝ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١١٧-١١٨]، فأمره بصنع سفينةٍ تَحْمِلُ من كلٍّ زوجين، وبعدها جاء أمر الله فأنزل على أهل الأرض ماءً منهمراً من السماء، وأمر الأرضَ فنبعت من فجاجها، وسائرِ أرجائها، وجعلهم الله آية للمعتبرين، قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفُرقان: ٣٧]، وقال سبحانه أيضاً عنهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعرَاف: ٦٤]، وهكذا نهاية الطغيان واحدة، فقد قال عن عاد ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعرَاف: ٧٢]، وقال عن قوم صالح ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعرَاف: ٧٨]، وقال عن قوم لوط: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحِجر: ٦٦]، وكذلك قوم صالح وقوم شعيب: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعرَاف: ٧٨].

ومن الدروس أيضاً: أن ذكر الله لا ينفك عن أَلْسُنِ عبادِه الصالحين في ابتداء عمل الخير، فقد أمر الله نوحاً عليه السلام بذكره و شكره بقوله ﴿فَإِذَا

﴿ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨-٢٩]، وكذلك قال الله لرسولنا ﷺ حين أمره بالهجرة إلى المدينة فأنزل عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

ولك أن تعرف أن من سجايا قومِ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الكفرَ الغليظَ، والعنادَ البليغَ، وليس هذا في الدنيا فقط، بل حتى في الآخرة، قال رسول الله ﷺ: «يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال: لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمتُه، فتشهدون أنه قد بلغ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] فذلك قوله جل ذكره ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]» رواه البخاري.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه.

❖ ❖ ❖

إبراهيم عليه السلام

إن أزكى سيرة، وأعطرَ حياة، هو ما يكون من سير وأخبار الأنبياء والصالحين، وإذا كانت السيرةُ سيرةَ نبيٍّ اصطفاه الله على أهل زمانه، فالنفوس تتطلع إليها، وتشرئب لها الأعناق، وتعلو المكانة إذا كان صاحبها من أولي العزم من الرسل عليهم السلام، وتسمو المنزلة إذا كان هو أبا الأنبياء وإمامَ الحنفاء عليه السلام.

أثنى الله سبحانه عليه بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النّحل: ١٢٠] أي: إماماً مقتدى به، يُعلِّم الناسَ الخيرَ، قال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البَقَرَة: ١٢٤] وقد كان كل أهل الأرض كفاراً، سوى الخليلِ وزوجتِه وابنِ أخيه لوط عليه السلام.

وصف الله عز وجل خليله بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مَريَم: ٤١]، وذكر الله دعوته لأبيه وقومِه في مواضعَ من كتابه الكريم.

وقد آتاه الله رُشْده في حال صغره، وألهمه الحقَّ والحجةَ على قومه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٥١]، وآتاه الله في الدنيا حسنة، وهي الذرية الطيبة، والثناء الحسن، بسبب إخلاصه لله، واعتزالِه أهل الشرك، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مَريَم: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العَنكبوت: ٢٧]، وقال سبحانه في ذكر الذرية: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العَنكبوت: ٢٧].

وقد بدأ دعوته لأبيه لقربه منه، ولمحبته له، وكان ذلك بألطف عبارة وأحسنِ إشارة، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۞ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۞ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مَريَم: ٤٣-٤٥].

ولعلوِّ منزلتِه كان الأنبياء بعده يذكرونه تمهيداً للدعوة وتشريفاً لهم، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [يُوسُف: ٣٨]، وقال يعقوب عليه السلام لأبنائه عند وفاته: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٣].

ومن صفاته وخصاله أنه عليه السلام متصفٌ بصفة الكرم، حتى لأُناسٍ غرباءَ لا يعرفهم، وهم الملائكة حينما أتوه على هيئة رجال، فقدَّم إليهم عِجْلاً سميناً، وكان حنيذاً ـ أي: مشوياً ـ.

وكان صادقَ القول، لم يكذب في حياته سوى ثلاث كَذَبات، وهي في الله، أولاها: أنه قال لقومه: إني سقيم، وقال: بل فعله كبيرهم ـ عندما كسّر الأصنام ـ، وقال عن زوجته: إنها أخته.

وأُعطي عليه السلام حجةً في الرد على المخالفين، كما حصل له مع مَلِكِ زمانه النَّمرود، الذي مَلَك الأرض، وطغى وبغى، وتجبر وعتى، وآثر الحياة الدنيا: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨]، وحين كَسَّر الأصنام وعاد القومُ وسألوا إبراهيم في جموع الناس: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۞ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبيَاء: ٦٢-٦٣] قال

ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي علمت يا إبراهيم أن هذه لا تنطق، فكيف تأمرنا بسؤالها؟».

كما أُعطي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ توكلاً عجيباً، فعند إلقائه في النار بسبب تكسيره للأصنام، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قال الله ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وأعطي ثباتاً قوياً في القلب، فترك زوجتَه وابنَه الرضيعَ في مكان لا أنيس فيه ولا جليسَ، ولا شجرَ ولا ثمر، فقالت زوجته: آللـهُ أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: فإنه لا يضيعنا.

وفقنا الله للتأسي بأخلاق صفوة خلقه.

أقول قولي...

الخطبة الثانية

لأبينا إبراهيمَ وابنهِ إسماعيلَ عليهما السلام الشرفُ في بناء الكعبة المشرفة قال سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]

ومقام إبراهيم شاهدٌ على ذلك العملِ الجليلِ، بل قال الله فيه: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، كما أن أداءَ الحج أمَرَه الله بالأذان به ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]، والأمنُ والأمانُ في بيت الله الحرام بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فاستجاب الله دعائه فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ودعا كذلك بقوله ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فاستجاب الله دعائه، فبعث فيهم رسولاً هو تمام الانبياء والرسل عليهم السلام وعمت بدعوته أهلَ الأرض كلَّهم.

ودعا خليلُ الرحمن بأن تهوي أفئدةٌ من الناس للبيت الحرام، ودعا لأهل مكة وزائريها وساكنيها بأن يرزقهم من الثمرات، فاستجاب الله دعوته مع قلة المياه، وندرة الأشجار والثمار، فكان حرماً محرّماً، وأمناً محتماً.

ثم اعلموا أن نبينا محمداً عليه السلام لمحبته لأبيه إبراهيم عليه السلام سمى أحد أبنائه باسمه، وحينما قال الرجل لنبينا محمد عليه السلام يا خير البرية قال: «ذاك إبراهيم» رواه مسلم، قال القاضي عياض رحمه الله: «قالها إما تواضعاً، وإما كُرْهاً لإظهار المطاولة على الآباء، ولذا قال ابن كثير رحمه الله عند قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] وفي قوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النّحل: ١٢٣]: «ليس يلزم من كونه عليه السلام أُمر باتباع ملة إبراهيم أن يكون إبراهيمُ أكملَ منه فيها، لأنه عليه السلام قام بها قياماً عظيماً، وأُكملت له إكمالاً تاماً لم يسبقْه أحد إلى هذا الكمال، ولذا كان خاتمَ الأنبياء، وسيدَ ولدِ آدم على الإطلاق، وصاحبَ المقام المحمود، الذي يرهب إليه الخلق حتى إبراهيمُ عليه السلام».

رزقنا الله وإياكم التأسي بأخلاق رسل الله عليهم السلام

صلوا وسلموا....

❖ ❖ ❖

موسى عليه السلام

في حياة موسى عليه السلام دروسٌ وعبر، ذكرها الله في مواضعَ عديدةٍ من كتابه الكريم مطولةً وغيرَ مطولة، ولم تُذكَرْ تفاصيلُ نبي من أنبياء الله في القرآن كموسى عليه السلام، فقد ذكر الله حالَ فرعونَ مع بني إسرائيل قبل مولد موسى عليه السلام، ورضاعتَه، والأحداثَ التي أدت إلى توجهه إلى مدين، ومُكثَه فيها، وتكليمَ الله له في الوادي، ثم مواجهتَه لفرعون، ودعوتَه لعبادة الله وحده، ومقابلتَه للسحرة، وغيرَها من الأحداث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن المعلوم أن قصة موسى وما جرى له مع فرعونَ وغيرِه، أعظمُ وأشرفُ من قصة يوسفَ بكثيرٍ كثير؛ ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تُذكرُ في القرآن، ثنَّاها الله أكثرَ من غيرها، وبسطها وطوَّلها أكثرَ من غيرها».

ولنا في قصة موسى عليه السلام وقفات:

أولاها: أن قضاء الله نافذٌ على كل أحد، وإذا أراد الله أمراً فلا راد له، وذلك من خلال ما أوحى الله لأم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القَصَص: ٧].

فلا خوف على هذا الغلام الرضيعِ من جند فرعون ولا من البحر، ويقدّر الله لآل فرعون التقاطَهم إياه ليكونَ لهم عدواً وحَزَناً ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ [القَصَص: ٨]، ووُضع هذا الرضيعُ بين يدي فرعون، ويأمر بقتله كبقية الأطفال، لكنَّ أمرَ الله قدرٌ مقدورٌ، فقالت

زوجته ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القَصَص: ٩]، وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه، كما قال الله ذلك في منته عليه ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان لا يَراه أحد إلا أحبه».

ويُقدِّر الله لهذا الغلامِ الذي سيكون هلاكُ مُلْكِ فرعون على يديه، يعيش في قصره، ويأكل من طعامه، ويشرب من شرابه، ويلهو في داره ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢١]، بل ويكون إيمان زوجة فرعون على يدي موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التَّحْريم: ١١].

الوقفة الثانية: أن الله أرسل نبيَّه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لرجلٍ كابَر الحق، وادعى الربوبية بلسانه، وجحد ربوبية الله، واستيقنتها نفسُه، قال الله تعالى عن حاله ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يُونس: ٨٣]، لكن الله طمأن نبيه بقوله ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فأمر الله موسى وهارون بالقول اللين، والدعوةِ البليغة، قال سبحانه ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، ولا يزال هذا الحدث يستفيد منه الدعاة على مر العصور.

الوقفة الثالثة: أن رسل الله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لديهم قوة في الحجة، فخليل الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لملِك زمانه النَّمرود ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨]، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين سأله فرعون عن ربه ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩-٥٠] وهذه من تدبير الله للمخلوقات لا يملكها أي مخلوق،

فلم يملك فرعون أي جدال، بل انتقل الى السؤال الثاني ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، فأجاب موسى ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

الوقفة الرابعة: الصبر في الدعوة هو ما تحلى به رسل الله عليهم السلام، فموسى عليه السلام صبر في دعوة قومه مع سخريتهم منه، قال سبحانه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ۝ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٧-٤٨]، وتعددت الآيات والمعجزات على قومه، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، فدعوة الناس إلى الله تحتاج إلى صبر ومصابرة وتحمل المشاق، وثمرتها يانعة بإذن الله، ولذا أمر الله بالصبر على الشدائد، قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

جعلنا الله من أهل الإيمان، وثبتنا عليه حتى نلقاه.

الخطبة الثانية

الوقفة الخامسة : أن أهل الباطل يَصِفون الحق وأهله بأوصاف تَصْرف الناس عن اتباعه، قال فرعون لقومه عن موسى عليه السلام ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، أو بالسخرية كقول فرعون عن موسى ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزّخرُف: ٥٢].

وقد وصف المكذبون رسلَ الله عليهم السلام بأوصافٍ تَصْرف الناس عن قبول الحق، قال سبحانه : ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذّاريات: ٥٢]، ومع كل ذلك يُقبل الناسُ على قبول الحق وينصرفون عن الباطل.

الوقفة السادسة : وسائل الدعوة تتنوع وتختلف، والموفّق من طَرقَ الوسائل المتاحة في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، ونبذ ما سواه، فموسى عليه السلام في لسانه لثغة فدعى الله بقوله : ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨]، فلم يسأل إزالة جميع ما بلسانه من العقد، بل سأل إزالة بعضها الذي يحصل بإزالته فَهْمُ كلامه، وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون فقال : ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القَصَص: ٣٤]، أي : يتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، ومع ذلك دعا وبلّغ الرسالة، وأمته أعظم الأمم بعد أمة محمد ﷺ كما في الحديث: «**عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى ليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى ﷺ وقومه**» متفق عليه.

الوقفة السابعة: ما كان لله فهو باقٍ وما كان لغيره فزائل، فبالرغم من رغبة فرعون في إفحام موسى أمام الناس بفعل السحرة، إذا بالسحرة يقولون ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٧٠] وذلك حينما شاهدوا الحق بأعينهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

الوقفة الثامنة: أهلك الله فرعون بهلاكٍ فيه عبرةٌ وعظة، فبعد أن جمع الناس ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٣] ولَحِق بموسى وأصحابه ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١-٦٢] أي: سيهدين طريق النجاة، ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٣] فأصبح البحر المتلاطم الأمواج لموسى ومن معه ﴿طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] فلا تخشى من إدراك فرعون لك، ولا من البحر الذي أمامك، فسلك موسى وقومه هذه المسالك ولم يُبلّ أحد منهم بالماء، وقرّب الله فرعون وجنده قال تعالى ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٤] فلمّا تكامل موسى ومن معه خارجين؛ وتكاملَ فرعون ومن معه داخلين أطبق الله عليهم البحر، فلم ينجوا منهم أحد، وجعل الله هلاكه عبرة وعظة، قال تعالى ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ [يونس: ٩٢].

الوقفة التاسعة: أن الصراع بين الحق والباطل دائم، ومع اختلاف أساليب أهل الكفر إلا أن نهاية الطغيان واحدة ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢] فهذا فرعونُ أغرقه الله بالماء، وذاك قارون خسف الله به وبداره الأرض، والأمثلة كثيرة، والنهاية كما وعد الله أنها للمتقين ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين.

❖ ❖ ❖

شُعيبٌ عليه السلام

ذكر الله في كتابه الكريم جملةً من قصص أنبيائه عليهم السلام، بلغ عددهم خمسةً وعشرين رسولاً، وهناك جم غفير لم يذكرْهم الله قال سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النِّسَاء: ١٦٤].

والقَصَص القرآني يمتاز عن غيره من القصص أن فيه بلاغة وإتقاناً، فيذكر الله عز وجل القصةَ بأساليبَ وأحداثٍ متنوعة، بطول من غيرِ ملل، أو إيجازٍ غيرِ مُخل، وقَصَصُ القرآنِ الكريم هي أحسنُ القصص، قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يُوسُف: ٣]، وفيه تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هُود: ١٢٠]، ومن القصَصِ القرآني قصةُ نبي الله شعيبٌ عليه السلام.

بعثه الله عز وجل إلى قومه خاصة، ـ وكذا الرسل عليهم السلام عدا نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو إلى الناس عامة ـ، وهم في أطراف الشام من جهة الحجاز، وكان شعيبٌ عليه السلام خطيبَ الأنبياءِ في زمنه وما قبله، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وكذا وظيفة الأنبياء عليهم السلام هو إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد.

وقومُه ـ أهلُ مدين ـ يقومون بأعمال مشينة ـ يقطعون السبيل، ويُخيفون المارة، ويعبدون الأيْكة وهو الشجر الملتف ـ وهم أسوء الناس معاملة ـ يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما ـ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ

﴿جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ﴾ أي: تأخذون العشور من أموال المارة ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ﴾ [الأعراف: ٨٥-٨٦] حيث نهاهم عن قطع الطريق الحسية والمعنوية، ثم ذَكَّرهم نِعم الله عليهم بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦]، ثم وجّههم بقوله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [هُود: ٨٦] أي: أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير الحرام، إلا أن هذه النصائحَ قُوبلت بالسخرية بقولهم: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هُود: ٨٧].

ثم نسب التوفيقَ والسدادَ لله: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨] فإن العمل إذا لم يكن موفقًا ومسددًا فقد جانب الصواب، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدى والسداد**» رواه مسلم.

بعد ذلك ذكّر قومَه حالَ الأمم السابقة ورهَّبَهم بمصيرهم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هُود: ٨٩]، أي: أنهم ليسوا ببعيدين في الزمان والمكان ولا الصفات، ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هُود: ٩٠] وهذا حال الأنبياء عليهم السلام لا يريدون لأقوامهم إلا الخيرَ في الدنيا، والسلامةَ في الآخرة من عذاب الله، كما قال مَلَكُ الجبال لنبينا محمد ﷺ «**يا محمد! إن الله قد سمع قولَ قومِك لك، وأنا مَلك الجبال، وقد بعثنى ربُّك إليك لتأمرنى بأمرك فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال: بل أرجو أن**

يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» متفق عليه.

ووصل بهم العتوُّ والسخريةُ بشعيب عليه السلام أنهم قالوا: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هُود: ٩١] أي: لا نفهمه، ولا نعقله، لأنا لا نحبه ولا نريده، وليس لنا هِمَّةٌ إليه ولا إقبالٌ عليه، كما قال كفار قريش لرسول الله ﷺ: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٥]، وبلغ بهم التكبر أن قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هُود: ٩١-٩٢] أي: أنكم تخافون قبيلتي وعشيرتي ولا تخافون عذاب الله، ثم توعدهم بعد بذلك بالعذاب ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هُود: ٩٣].

وفقنا الله لأداء العمل الصالح، وحفظنا بحفظه، وتولانا برعايته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

لما طغى أصحابُ مدين في الكفر والعناد، نعاهم شعيب عليه السلام بقوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعرَاف: ٩٣] حيث قام عليه السلام بأداء ما أمره الله به من البلاغ التام، والنصحِ الكامل، والحرصِ على هدايتهم بكل ما يستطيع أداءه من سبل، والله سبحانه الهادي، ولن أحزن بعدها على أعمال القوم الكافرين.

وقد جمع الله على قوم شعيب عليه السلام أنواعاً من العقوبات، وصنوفاً من المَثُلات، وأشكالاً من البليَّات، وذلك لما اتصفوا به من قُبح الصفات، حيث أذاقهم الله ثلاثًا من العقوبات: سلط عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحةً عظيمةً أخمدت الأصوات، وظُلَّةً أَرسل عليهم منها شَرَراً من سائر أرجائها والجهات.

فحين أرجفوا نبيهم وتوعدوه بالإخراج من قريتهم قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هُود: ٦٧]، فقابل الإرجاف بالرجفة، والإخافة بالخِيفة؛ وأخذتهم الصيحة لاستهزائهم بنبيهم وتنقصهم له حيث قالوا: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هُود: ٨٧] فناسب أن يذكر الصيحة، التي هي كالزجر عن تعاطي الكلام القبيح؛ وأخذهم عذابُ يوم الظلة إجابةً لما طلبوا، وتقريباً إلى ما إليه رغبوا، فإنهم قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٨٧] فأصابهم حر شديد، وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل، ولا دخولُهم في أسرابهم، فهربوا من مَحلَّتهم إلى البرية، فأظلتهم سحابة، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا

بظلها، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله عليهم ترميهم بشرر، وشهب، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة من السماء، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢]، وكان الله قد نجَّى شعيبًا ومن معه من المؤمنين قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٩٤]، وهكذا حال الأنبياء والرسل وأتباعِهم، فالله حافظهم في الدنيا، ومُعلٍ منزلتَهم في الآخرة.

رزقنا الله لزوم صراطه المستقيم، واقتفاء أثرِ رسول رب العالمين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

يوسُفُ عليه السلام

تناول الوحي موضوعاتٍ ثلاثةً هامةً: أولاها: توحيد الله، وثانيها: بيان الأحكام الشرعية، وثالثها: القصص القرآني.

والقصص القرآني فيه عبرةٌ، وعظةٌ، وتسليةٌ للقلوب، وذِكْرٌ لأحوال الأمم الغابرة، قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هُود: ١٢٠].

ولنا أن نأخذ وقفات من سورة يوسف عليه السلام فقد روى البيهقي رحمه الله: «أن طائفة من اليهود حين سمعوا النبي ﷺ يتلوا هذه السورةَ أسلموا لموافقتها ما عندهم» وكان عمر رضي الله عنه يقرأ هذه السورةَ ويبكي فيها كثيراً، قال الله عز وجل في بداية السورة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يُوسُف: ٣]، والمقصود بأحسن القصص: قصةُ يوسفَ عليه السلام وغيرُها مما قصه الله علينا من قصص المرسلين، وَسُميّت أحسن القصص؟ لأنه ليس في القرآن قصةٌ تتضمن من العبر والحكم والنكت ما تتضمن هذه القصة، وقيل: لامتداد الأوقات بين مبتداها ومنتهاها، وقيل: لحسن محاورة يوسفَ وإخوتهِ، وصبرِه على أذاهم، وإِغْضَائِهِ عن ذكر ما تعاطوه عند اللقاء، وكرمِه في العفو، وقيل: لأن فيها ذكرَ الأنبياء والصالحين، والملائكةِ والشياطين، والإنسِ والجن، والأنعامِ والطير، وسِيرِ الملوكِ والمماليك، والتجار، والعلماءِ والجهال، والرجَالِ، والنساءِ ومكرِهن وحِيَلِهن، وفيها أيضًا ذكرُ التوحيدِ والفقهِ والسِّيَر، وتعبيرِ الرؤيا والسياسة، والمعاشرةِ وتدبيرِ المعاش، فصارت أحسنَ القصص؛ لما فيها من المعاني والفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

لذا فقد اشتملت على معان عديدة منها:

الدرس الأول: حصلت أحداث لنبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته تبين ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يُوسُف: ٥]، وأنه ﷻ: ﴿عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [يُوسُف: ١٩]، و﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يُوسُف: ٢٣]، وَأَنَّه ﷻ ﴿لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٥٢]، وأن كل من عمل صالحاً فإن الله: ﴿لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٠]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يُوسُف: ٨٨]، وأن كل شدة وكرب مهما كبر فإن قلب المؤمن متعلق بمولاه ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧]، وأن من يتقي الله بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المصائب فإن هذا من الإحسان الذي لا يضيّع الله أجر عامله و﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٠].

في قصة يوسفَ وإخوتِه آيات لأولي الألباب، دارت رحى أحداثِها سنينَ طويلة، بدأت منذ نعومةِ أظفاره إلى اعتلائه عرشَ الملك، لاقى من الشدة أشدها، ومن العنت أعنته، وهو الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم، «فقد سئل النبي ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: **أكرمهم عند الله اتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فأكرم الناس يوسف، نبيُّ الله، ابنُ نبي الله، ابنِ نبي الله، ابنِ خليل الله**» رواه البخاري، فهو يوسف بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهم السلام.

حيث إن مكرَ إخوةِ يوسفَ بيوسف، وإلقاءَه في غيابة الجب، مكرٌ ما أسرعه من زوال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [يُوسُف: ١٠٢]، فمكرهم كبَّارٌ، ووقاه الله سيئاتِ ما مكروا، فما أسرعها من سنين ويأتون ليوسف وهم جياع أذلة، وصدق الله حين قال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فَاطِر: ٤٣] أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسِهم دون غيرهم.

الدرس الثاني: أن كذبَ إخوةِ يوسف على أبيهم وإن تعضَّد بالبرهان، فإنه لم يدم طويلاً حتى أظهره الله لأبيهم، فقميص يوسفَ ملطخ بالدم، وهو سليم لم يمزق بمخالب الذئب وأنيابه، لذا قال يعقوب عليه السلام: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُف: ١٨]، والكذب ريبة، فقد طلبوا بصنيعهم القربَ من قلب والدهم، وأن يخلوَ لهم وجهُ أبيهم، لكنَّ هذا الفعلَ قوبل مباشرة بالتكذيب، وجرّ عليهم ويلاتٍ في الآجل والعاجل، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لأَن يضعنَي الصدق ـ وقلّما يضع ـ أحبُّ إلي من أن يرفعنيَ الكذب ـ وقلما يفعل ـ».

الدرس الثالث: أن في مكث يوسف عليه السلام في الجب يُذكِّر بمكث يونسَ عليه السلام في بطن الحوت، وما هو إلا ابتلاء: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يُوسُف: ١٥]، قال ابن كثير رحمه الله: «أوحى الله إليه انه لابد من فرج ومخرج من هذه الشدة التي أنت فيها، و لتخبرن أخوتَك بصنيعهم هذا وأنت عزيز، وهم محتاجون إليك خائفون منك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يُوسُف: ١٥]».

الدرس الرابع: أن الله سبحانه وتعالى لطيف حكيم خبير، فمهما حصل للعبد من ضعف و شدة إلا أن الله لطيف بعباده في قضائه، حيث أوصى عزيزُ مصرَ بيوسفَ خيراً ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يُوسُف: ٢١]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أفرس الناس ثلاثة: عزيزُ مِصْرَ حين قال لامرأته أكرمي مثواه، والمرأةُ التي قالت لأبيها عن موسى عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القَصَص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما على الناس».

الدرس الخامس: أن الله ثبَّت قلبَ يوسفَ ﵇ مع أن امرأةَ العزيزِ تهيأت ووفَّرت أسباب الفاحشة، ويوسفُ ﵇ شابٌ أعزبُ وغريب، وما همَّ يوسف به إنما هي خطراتُ حديثِ النفس، وقيل: همَّ بضربها، وقيل: تمناها زوجة، وأما البرهان في قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يُوسُف: ٢٤] فالذي رآه قيل: صورة أبيه يعقوبَ عاضاً على أصبعه بفمه، وقيل: رأى خيال المَلِك يعني سيدَه، وقيل: البرهان عندما رفع رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٣٢]، قال ابن جرير: «والصواب أن يقال: إنه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان به، وجائز أن يكون صورة أبيه أو الملك أو ما رآه مكتوباً».

الدرس السادس: أن يوسف ﵇ دعا إلى توحيد الله وعبادته وهو في السجن عند سؤال صاحبيه عن رؤياهما حين قال: ﴿يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُوسُف: ٣٩-٤٠]، قال ابن كثير ﵀: «لأن نفوسهما مُعظّمةٌ له، منبعثةٌ على تلقي ما يقولُ بالقبول، فناسب أن يدعوهما إلى ما هو الأنفع لهما مما سألا عنه وطلبا منه».

وهذا دأب الصالحين في استغلال أوقاتهم في كل مكان، فشيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ لما دخل الحبس، وجد المساجين مشغولين بأنواعٍ من اللعب يتلهون بها عما هم فيه، كالشطرنج والنَّرد، فأنكر الشيخ عليهم ذلك، وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيحِ، والاستغفارِ، والدعاءِ، وعلَّمهم من السُّنَّة ما يحتاجون،

ورغبهم في أعمال الخير، وحضهم على ذلك، حتى صار الحبسُ بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثيرٍ من الزوايا والرُّبط والمدارس، وصار خلقٌ من المحابيس إذا أُطلقوا يختارون الإقامة عنده.

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معصيته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

بَيْن قصةِ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وسيرةِ رسولنا ﷺ شبهٌ كبير، فكما عادى إخوةُ يوسفَ يوسف، فقد عاد من عاد من الأقارب والعشيرة نبيَّنا محمداً ﷺ.

وكما ألقوا يوسف في الجب وواروه عن أبيهم، فقد أخرجوا النبي ﷺ من مكة، حيث المولدُ والنشأة، وحاصروه في شِعْب من شِعاب مكةَ ثلاثَ سنين.

وكما عفى يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن إخوته عندما مُكِّن في الأرض بقوله: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢]، فقد أنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٩٩]، ورَغَّب فيه ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشّورىٰ: ٤٠].

اللهم احفظنا بما تحفظ به عبادك الصالحين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

يونس عليه السلام

ذكر الله سبحانه وتعالى جملة من قصص رسله عليهم السلام مع أقوامهم، وكان منهم نبيُّ الله يونسُ عليه السلام، ذكره الله في سورتي النساءِ والأنعامِ مع جملة من رسله عليهم السلام، وذكر قصته مفصلة في غيرها من السور، وأفرد في القرآن الكريم سورة باسمه عليه السلام.

وكان من فضله عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: إنه خير من يونس بن مَتَّى**» متفق عليه، وخص يونس عليه السلام بالذكر لئلا يقع تنقص له في نفس من سمع قصته، فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة.

وقد ذكر الله حاله مع قومه، حين بعثه إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله عز وجل فكذَّبوه، وتمردوا، وبقوا على كفرهم وعنادهم، فلما طال عليه أمرهم، خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلولَ العذابِ بهم بعد ثالث، ولنا في سيرته وقفات:

أولاً: أن الله عز وجل أرسل يونس عليه السلام إلى قومه، وكان عددهم كما قال عز وجل: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. وهذا درس للدعاة والمصلحين، بأن الدعوة إلى الله يبارك الله عز وجل فيها في الجهد، والوقت، والمال، كما هو الحال مع رسل الله عليهم السلام وبالأخص نبينا محمد ﷺ حين أرسله إلى الناس كافة، وبضده من يدعو إلى أديانٍ باطلة، فإن ثمرتها تذبل سريعاً، قال سبحانه ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦] فيذهب المال ولا يحصل المقصود.

ثانياً: أن يونس عليه السلام لمَّا لم يؤمن قومه به، ضاق صدره بهم ذرعاً، وخرج مغاضباً من أجل ذلك، لا لأجل منافعَ دنيويةٍ لم يتحصل عليها، ولكن رأفة بهم من عذاب الله، لأن الرسل عليهم السلام بعثوا لإخراج الناس من عبودية غير الله إلى عبادة الله وحده، ولم يكن لهم عليهم السلام طمعاً في دنيا، أو استكثاراً في مال، فقد قال نوحٌ وهودٌ وصالحٌ ولوطٌ وشعيبٌ عليهم السلام لأقوامهم: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٢٧]، ونبينا ﷺ قال: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ [سَبَإ: ٤٧]. وهكذا بقية الرسل عليهم السلام، فهم أزهد الناس، وأعلم الناس بقدر الحياة الدنيا.

ثالثاً: لما خرج يونس عليه السلام أدرك قومُه قربَ نزولِ العذاب بعد ثلاث، كما وعدهم به ـ فهم يعلمون أن وعد الله حق، وأن عذابه إذا حل لن ينجو منه أحد ـ فقذف الله في قلوبهم التوبةَ والإنابة، وندموا على ما كان منهم، فلبسوا المسوح ـ وهو نسيج الشعر إظهاراً للتوبة ـ، وفرَّقوا بين كلِّ بهيمةٍ وولدها، ثم أقبلوا على الله، وتضرعوا، وتمسكنوا، وبكى الرجال والنساء، وجأرت الدواب، وكانت ساعة عظيمة وعصيبة، فلما علم الله حالهم، وصِدْقَ أحوالهم، كشف الله عنهم ما كان سيحل بهم، كما قال عز وجل: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يُونُس: ٩٨]، وهذا من لطف الله ورأفته بهم، فهو الرحمن بعباده.

رابعاً: مما يدل على صدق نياتهم في إيمانهم بالله عز وجل، أنه لم يأت قوم آمنوا بأكملهم عبر دعوات الرسل عليهم السلام كقوم يونس عليه السلام، وقد جاء الحديث في الأنبياء عليهم السلام وأممهم الذي رواه البخاري: «**عُرضت علي**

الأمم، فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده...».

رابعاً: أن أقدار الله نافذة على خلقه، فيونس عليه السلام ومن معه لما ركب السفينة، ولجَّجتْ بهم واضطربت، وكادوا يغرقون، تشاوروا، واقترعوا، فوقعت القُرعة على يونسَ ثلاثَ مرات، قال عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصَّافات: ١٤١]، فرمى يونسُ نفسَه في عرض البحر، فأرسل الله حوتاً يشق البحار، والتقم يونس عليه السلام، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «فأوحى الله إليه ألا يكسر عظماً، ولا ينهش لحماً، فليس له برزق»، فبقي يونس عليه السلام في بطن الحوت لأجلٍ مقدر، ثم لفظه بعد شدةٍ أعقبها فرجٌ ليونس عليه السلام.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

دعا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه تفريجَ همِّه، وتنفيسَ كربِه، مع أن حالَه عصيب، وكربَه عظيم، فهو في ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعض، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهي ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وكل ظلمة منها شديدة، وهو في حال كما وصفه الله ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] أي: مملوءٌ غماً، إلا أن ذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ هو المُنْجِي بإذن الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شئ قط إلا استجاب الله له**» رواه الترمذي، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] أي: قبل خروجه من قومه، وقيل: وهو في بطن الحوت ـ وكلا المعنيين صحيح ـ. وكان من لطف الله جَلَّ جَلَالُهُ بيونسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنْ نبذه الحوتُ بالعراء، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وهو شجرُ الدُّبَّاءِ وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ ضعيفَ البدنِ كهيئة الفرخ الذي ليس عليه ريش، وقيل: كهيئة الصبي حين يولد، وفي إنبات الشجر هذا حكمة، وهو أن ورقه في غاية النعومة، وكثير، وظليل، ولا يقربه ذباب، ويُؤكَل ثمرُه من أول طلوعه إلى آخره نيّاً ومطبوخاً، وبقشره، وبذوره.

وليعلم المسلم أن الكربة مهما طالت فإن فرج الله قريب، وأن المؤمن يؤمن بأقدار الله خيرها وشرِّها، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبَه، فعليه أن يتمسك بحبل الله المتين، وبنوره المبين.

اللهم فرج هم المهمومين، ونفِّس كرب المكروبين..

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

أيوب عليه السلام

ذكر الله سبحانه في كتابه المجيد جملة من قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فقال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وهو سبحانه يذكر القصة لأمور عدة منها: تثبيت وتسلية قلب نبيه محمد ﷺ قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هــود: ١٢٠]، والله سبحانه يذكر القصة بسياقات بليغة بديعة في إطالة غير مملة، وإيجاز غير مخل، ولنا في قصة نبي الله أيوب عليه السلام وقفــات:

أولاها: أن الله مهما قدّر للعبد من تقدير، فإن الخير كلَّه فيه، وأنه سبحانه أرحم الراحمين، وهو لطيف بعباده، ولم يُنزِل البلاء ليعذبَ عباده، وإنما ليختبرهم فمن صبر غنِم، ومن جَزِع خسر.

ثانيها: أن أقدار الله نافذةٌ على جميع البشر، على اختلاف منازلهم ـ من أنبياءَ، وصالحين، وأئمةٍ، ومصلحين ـ قال ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**» رواه مسلم، وفي حديث آخر «**يُبْتلَى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**» رواه البخاري.

ثالثها: أن صفوة عباد الله وهم أنبياؤه ورسلُه عليهم السلام قلوبهم معلقة بالله وحده دعاءً ورجاءً وتوكلاً وإنابةً، كما قال الله إخباراً عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وعن يونس عليه السلام:

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فلا خاب من دعاه، ولا ندم من سأله.

رابعها: حسن الأدب مع الله في الدعاء حين دعاه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وكذلك قال ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] وعبر بالمس أي: الشيء اليسير، ولم يقل أهلكني، أو آذاني مع أن المرض طال كم سنة به قيل ثمانية عشر عامًا، حتى عافه الجليس وملّه الأنيس، والنصب في قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ﴾ [ص: ٤١] أي: تعب في بدني، و﴿وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] أي: في مالي وولدي.

خامسها: أجاب الله دعوة نبيه أيوب عليه السلام حين دعاه قال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، و﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: ٤٢]، وكذا دعوة زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]، ويونس عليه السلام ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

سادسها: أن دعاء المضطر يجيبه الله، كما قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وأيوب عليه السلام: أجاب الله دعاءه فعافاه من مرضه، وآتاه أهله ومثلهم معهم، والله يجيب دعوة المضطر وإن كان كافراً: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

نسأل الله عز وجل أن يكشف عن أهل البلاء بلاءهم، وأن يعظم أجرهم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بما شاء، وكيف شاء، وقَدْر ما يشاء، فهذا مبتلى بماله، وهذا بولده، وهذا بأهله وعشيرته، كما حصل للأنبياء مع أقوامهم، وقد تجتمع ابتلاءاتٌ عدةٌ كحال أيوب عليه السلام حيث ابتلي في عافيته، وكذلك الدنيا بزخرفها.

ومن الوقفات في حياة أيوب عليه السلام: أن الله أثنى وامتدح أيوب ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٤٤] أي: رجَّاعٌ منيب، قال ابن القيم رحمه الله: «فأطلق عليه نعم العبد بكونه وجده صابراً، وهذا يدل من لم يصبر إذا ابتلي فإنه بئس العبد».

فعاقبة الصبر عظيمةٌ، وثوابُها جزيلٌ، فقد فرج الله ما أهمه، قال ابن كثير رحمه الله: «فرَّج الله عنه، وعظَّم له الأجر، وأحسن عليه الثناء»، وقال ابن عباس وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم: «إن الله رد عليه أهله الذين ماتوا زمن مرضه بأعيانهم»، وقيل: إنه عُوِّض مثلَهم في الدنيا، وقال قتادة والحسن رحمهما الله: «إن الله أحياهم بأعيانهم، وزادهم مثلهم معهم»، فمن صبر نال عظيم الأجر، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

ومنها: أن الله سبحانه جعل أيوب عليه السلام تسلية لأهل المصائب فيما ألَمَّ بهم حيث قال سبحانه فيه: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٤٣]، وكذلك ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، ففي أيوب عليه السلام أسوة، حيث ابتلي بأعظم ما يبتلى به الإنسان، فصبر واحتسب، حتى أتاه الفَرَج.

ثم اعلموا أن المصائب مهما عظمت، والشدائد مهما صعبت، إلا أن مصيبةَ الدِّين أكبرُ المصائب، فاصبِر وصابِر فإن الجزاء من الكريم وافر.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

الأحداث والسير

الهجرة النبوية

لقد كانت الهجرة النبوية فتحاً ونصراً، وعزاً للإسلام و أهله، وهي حدث أخبر بها ورقةُ بنُ نوفَل رسولَ الله ﷺ حين نزل عليه الوحي أول مرة، ـ أي قبل هجرته بثلاثة عشر عاماً ـ بأنه سَيُخْرَجُ من بلده فقال له: «هذا الناموس ـ أي جبريل عليه السلام ـ الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً حين يخرجك قومك، قال: أو مخرجيَّ هُم؟، قال: نعم، لم يأت أحد بما جئت به إلا عودي وأوذي» متفق عليه.

وحين ظهور أمارات الهجرة ـ ببيعة العقبة الثانية بين النبي ﷺ والأنصار، وزيادة الابتلاء والاضطهاد، وتكذيب زعماء قريش وعامتهم للدعوة، ومخافة الصحابة على أنفسهم من الفتنة في الدين،ـ زادت على إثرها كثرة المهاجرين إلى المدينة، واقتربت ساعة هجرة النبي ﷺ والتجهز لها أنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، كما نزل قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وقد روى الحاكم: **«أن النبي ﷺ قال لجبريل: من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر الصديق»**، وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أراد الهجرة قبل ذلك، فاستَبْقاه النبي ﷺ ـ أي أمره بالبقاء والمكث ـ، ليصحبه في هجرته عندما يؤذن له، وظل أبو بكر رضي الله عنه يستعد لذلك اليوم، فاشترى راحلتين وأخذها يعلفها لمدة أربعة أشهر وحينما حانت ساعة الرحيل والهجرة أتى أبو بكر يحمل ماله.

وقد حث الله على الهجرة ورغب فيها، لما فيها من تنوع المصالح، فوعد الله المهاجر ابتغاء مرضاته، ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النِّسَاء: ١٠٠]، فالمهاجر يجد في الأرض مكانًا ومتحولاً ينعم فيه بما يكون سببًا في قوته وذلة أعدائه، مع السعة في رزقه وعيشه الهنيء.

ومما يدل على فضل ومكانة الهجرة أن النبي ﷺ قال: «**ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار**» متفق عليه.

وفي الهجرة النبوية ظهرت آياتُ وفضائلُ ولطفُ المولى:ـ

أولاها: حِفْظُ الله لنبيه ﷺ مع كثرة الأعداء وقربهم منه، سواءً كان ذلك في الخروج إلى الغار، أو في المكث في الغار، أو في طريق المدينة، مع اجتماعهم على أن يضروه، حيث عناية الله ومعيته الخاصةُ لهما، كما قال سبحانه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التّوبَة: ٤٠].

الوقفة الثانية: قيام النبي ﷺ بفعل الأسباب من أخذ العُدَّةِ، واختيار الصاحب، ومعاونةِ الدليل، والتمويهِ في الخروج خلاف اتجاه المدينة، والمكثِ في الغار ثلاثةَ أيام، والسيرِ في طريق المدينة بشكل مُتَعَرِّج غيرِ مستقيم مع التوكل على الله، ودعا ربه قبل الهجرة: أن يدخله مدخل صدق، وهو المدينة، وأن يخرجه مخرج صدق وهو مكة، وأن يجعل له من الله سلطاناً ونصيراً.

الوقفة الثالثة: شَرُفَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالصحبة في أحلك الظروف، و أقسى الأيام، فأجهد نفسه في حماية النبي ﷺ في الطريق

إلى الغار، وفي الغار، وفي المسير إلى المدينة، وعرّض نفسه للأخطار حيث عرضت قبيلةُ قريش جائزةً كبيرةً قدرها مائة من الإبل لمن يأتي بالرسول ﷺ حياً أو ميتاً، وبمائة أخرى لمن يأتي بأبي بكر حياً أو ميتاً، فقدّم نفسه وماله وولده لله ولرسوله ولنصرة دينه ولذا قال النبي ﷺ: «**ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناهُ ما خلا أبابكر فإن له عندنا يداً يُكافيه الله بها يوم القيامة**» رواه الترمذي، وقال ﷺ: «**ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر، فبكى أبوبكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله**» رواه ابن ماجه.

الوقفة الرابعة: في طريق الهجرة وقوع ما أخبر به الصادق الأمين حين لحقهم سراقة بن مالك، فقال بعد أن طلب سراقة بن مالك الأمان من النبي ﷺ ـ بعد أن كان طالباً الظفر بهما ـ فقال: «**كيف بك إذا لبست سواري كسرى**» وطلب سراقة من النبي ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، فأمر أبا بكر فكتب له كتاباً، ثم ألقاه إليه، وأبقاه عنده إلى أن فرغ النبي ﷺ من حُنينٍ والطائف، فأسلم سراقة، فأتى بالكتاب سنة ثمان للهجرة، فوفاه له النبي ﷺ وقال: «**يوم وفاء وبر**»، فلما انتشرت الفتوحات في عهد عمر رضي الله عنه وبعد معركة القادسية سنة ست عشرة من الهجرة، أُتي بسواريْ كسرى ومَنْطِقَتِه وتاجِه، فدعا عمرُ رضي الله عنه سراقةَ بنَ مالك، فألبسه إياها، فكان هذا وعدَ صدقٍ وبشائرَ من النبي ﷺ بفتح المدائن العظمى في ذلك الزمن.

الوقفة الخامسة: الفَرَج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، فقد خَرجَ النبي ﷺ في الهجرة مع صاحبه رضي الله عنه متخفيين، ثم لم تمر عليه ثمانِ سنين إلا ويدخل مكة فاتحاً منتصراً بجيش قَوامه عشرة آلاف، ويكسر الأصنام التي حول الكعبة ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

الوقفة السادسة: حِلم النبي ﷺ على قريش مع عدائهم الطويل له وحربهم معه، فقد عفى عمن عفى من الناس وقال: «**من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**» رواه مسلم.

الوقفة السابعة: محبة الأنصار للنبي ﷺ ونصرتُهم وإيواؤهم له يومَ قلَّ الناصرُ من أهل الأرض، حتى قال النبي ﷺ «**الأنصار شعار، والناس دثار، ولو أن الناس استقبلوا وادياً أو شعباً، واستقبلت الأنصار وادياً، لسلكْتُ واديَ الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار**» متفق عليه، وأثنى عليهم بقوله عليه السلام «**لا يحب الأنصار إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**» متفق عليه، وقد امتدحهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

الهجرة النبوية غيّرت مجرى التأريخ ـ ليس الإسلامي فقط ـ وإنما التاريخ الإنساني، فكان دخول النبي ﷺ المدينة يوماً مشهوداً، وحدثاً عظيماً لم تشهد مثلَه المدينةُ، وكبَّر المسلمون فرحاً بقدومه، وارتَجَّت البيوت والسِّكَك به، قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «أول من قدم علينا: مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا يقرئون الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب نبي الله ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله ﷺ» رواه البخاري.

قال أنس رضي الله عنه: «ما رأيت يوماً قطُّ كان أحسنَ ولا أَضْوءَ من يوم دخل علينا فيه رسولُ الله ﷺ، وما رأيت يوماً كان أقبحَ ولا أظلمَ من يومٍ مات فيه الرسول ﷺ».

وانجفل الناس ـ أي: أقبلوا ـ على رسول الله ﷺ لما دخل المدينة قال عبد الله بن سلام ـ وكان حَبراً من أحبار اليهود ـ: فكنتُ فيمن أنجفل، فلما تبينت وجْهَهُ عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أولّ شيء سمعته يقول: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» رواه ابن ماجه.

نزل النبي ﷺ بقباءٍ، وأقام بها، وأسس فيها مسجداً، ثم ركب إلى المدينة، وجَمَّع بأصحابه بالمسجد الذي في بطن الوادي، وكانت أولَ جمعة داخل المدينة، ثم دخل النبي ﷺ المدينة، وكان لا يمر بدار من دار الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته قائلين: هلم إلى العَددِ والعُدَّة،

والسلامِ والمنعة، فكان يقول لهم خلوا سبيلها فإنها مأمورة ـ أي: أن الآمر لها هو الله ـ فسارت به حتى وصلت موضع المسجد النبوي، فبركت، فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري، فبادر أبو أيوب إلى الرَّحْل فأدخله بيته.

وكان في قوله: **«خلو سبيلها فإنها مأمورة»** لأن الأوس والخزرج بينهما حروب طويلة لم تتوقف إلا قبل مجيء النبي ﷺ بخمس سنين، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان الحَيَّان مُتنافسين على الخير، وكانا متنافسين مثلَ ذلك على الشر في القتال»، فكانت في إجابته لهم بأنها مأمورة أي من الله وليس هو ﷺ الآمر، فيكون ذلك مانعاً لوساوس الشيطان.

فالتفت إلى الناقة فوجدها عارية عن الرحل، فسأل عن رحله، فقالوا احتمله أبو أيوب إلى بيته، فقال: **«المرء مع رحله»**، فَشرُف أبو أيوب وأهلُه بضيافة خير الورى، وأفضلِ من وطِئ الحصى، فكان يصنع للنبي ﷺ الطعام، فإذا جاء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه.

كان أمامَ منزله ساحةٌ ونخلٌ وماء، فقال لمن هذا النخل؟ فثامنهم عليه بعشرين ديناراً دفعها أبو بكر رضي الله عنه، وشرع النبي ﷺ حالاً في قطعِ النخيل، وتسويةِ الأرض، ونبشِ قبور المشركين، وإقامةِ المسجد.

شَرُفت المدينة بهجرته إليها وصحابتِه، فصارت حصناً منيعاً للمسلمين، ودارَ هدى للعالمين.

في هجرة الصحابة رضي الله عنهم للحبشة ثم المدينةِ وهجرةِ النبي ﷺ إلى المدينة دروسٌ عديدة، وفوائدُ كثيرة، فهي عبادة محفوفة بالأخطار،

فَيَـقْـدم على أرض ليست بأرضه، وأهلٍ ليسوا بأهله، فلا أهل ولا مال ولا ولد، ولذا قدّم الله المهاجرين على الأنصار في آيات القرآن الكريم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التّوبة: ١١٧]، ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التّوبة: ١٠٠].

وحَدَثُ الهجرة أقام كيان الإسلام، وتهاوت معاقلُ الخصوم ودخل النبي ﷺ في العام الثامن من الهجرة فاتحاً مكة، ولم يمت رسول الله ﷺ حتى أصبحت الجزيرة العربية تحت إمرته، وبعد وفاة رسول الله ﷺ بأربع سنين وعدة أشهر سقطت مملكة فارس، وهكذا توالت الفتوحات.

ولذا عرف المسلمون أهميةَ حدثِ الهجرة، فأرخوا التاريخ به لعظم شأنه.

جزى الله نبينا خير ما جزى به نبياً عن أمته، ورضى الله عن صحابته الكرام ـ مهاجريهم وأنصارِهم ـ، وجمعنا بهم مع رسول الله ﷺ في الجنات.

صلوا وسلموا..

❖ ❖ ❖

فضل الصحابة رضي الله عنهم

اصطفى الله نبيه ﷺ على العالمين، قال رسول الله ﷺ «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**» رواه مسلم.

والصحابة رضي الله عنهم نالوا شرف الصحبة، وعاصروا تنزل الوحي، فلهم رضي الله عنهم سابقُ إيمانٍ وتصديقٍ، ونصرةٍ وبذلٍ وتضحيةٍ، وتعلمٍ وتعليمٍ، ودعوةٍ وجهاد.

وقد جاءت آيات كثيرة في فضل الصحابة رضي الله عنهم، قال جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وفي فضلهم قال النبي ﷺ «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» رواه البخاري.

ولفضلهم وعلو شأنهم رضي الله عنهم لا تجد كتاباً من كتب السنة إلا وفيه ذكر فضائلهم، ومنهم من أفرده في مصنف كالإمام أحمد وسماه: «فضائل الصحابة».

قال ابن تيمية رحمه الله: «فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام، والقرآن والعلم، والمعارف والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلَّغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة رضي الله عنهم عليه فضل إلى يوم القيامة».

أثنى الله تبارك وتعالى على الصحابة عامة، وعلى السابقين من المهاجرين والأنصار خاصة يقول سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وفاضل الله بين الصحابة بقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] وهذه الآية دليل على أن الصحابة كلَّهم في الجنة فالحسنى في قوله ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] هي: الجنة.

والصحابة رضي الله عنهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف لقول النبي ﷺ في حجة الوداع للصحابة: «.. **ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**» قال ابن عبد البر رحمه الله: «الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم، لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول».

وأصحابه رضي الله عنهم خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام وخيرُ هذه الأمة، وأفضلُهم: صاحبُه الأخصُّ، وأخوه في الإسلام، ورفيقُه في الهجرةِ والغارِ، أبو بكر الصديق، وزيره في حياته، وخليفته بعد وفاته، ثم عمرُ الفاروق، ثم عثمانُ ذو النورين، ثم عليٌّ رضي الله عنهم.

وأفضل الصحابة رضي الله عنهم المهاجرون، حيث لاقوا صنوفاً من التعذيب في مكة على يدي كفار قريش، فأنزل الله ما يدعوهم إلى الهجرة فقال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وأوصاهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى أرض الحبشة فقال: «**إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه**» رواه البيهقي.

هاجر الصحابة ﷺ هجرتين إلى الحبشة رجالاً ونساء، قطعوا المفاوز، وعبروا البحر، وبعد بيعة العقبة الثانية من العام الثالثَ عشرَ من البعثة ـ والتي بايع فيه الأوسُ والخزرجُ رسولَ الله على الحماية والنصرة له ـ كانت سبباً في هجرة النبي ﷺ والصحابة إلى المدينة.

فبدأت الهجرة إلى المدينة، وأول من هاجر مصعبُ بنُ عمير وعبدُالله بنُ أُمِّ مكتوم ـ وهو كفيف البصر ـ، ولما أراد صهيبٌ الهجرةَ قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم، قال : فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : «**ربح صهيب**» قيل : إن هذه الآية نزلت فيه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٧].

وكانت هجرة الصحابة ﷺ إلى المدينة زرافاتٍ ووحداناً، وكان منهم الخلفاءُ الراشدون، والعشرة المبشرون بالجنة.

وصف الله المهاجرين بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحَشر: ٨]، وَقصْدهم وغايتهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحَشر: ٨]، وزكَّاهم الله بأنهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحُجرَات: ١٥]، فالمهاجر يعلم أن عليه تبعةَ الجهادِ والنصرةِ، فلا يهاجر إلا وهو صادق الإيمان متحملٌ المصاعبَ والمتاعبَ والأخطار، لذا قدَّم الله المهاجرين على الأنصار، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التّوبَة: ١٠٠]، وكقوله : ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١١٧]، وقال : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

المهاجرون غرباء في أرض الله، لا دار، ولا أهل، ولا ولد، ولا مال، تركوا أرضاً بها خير ماء على وجه الأرض ـ ماء زمزم ـ، وقدموا المدينة فاستنكروا فيها الماء فاشترى عثمان رضي الله عنه عَينَ رُومَة.

وَعَدَ الله من هاجر بخيري الدنيا والآخرة فقال: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ [النساء: ١٠٠] والمراغم: النصرُ والتأييد، والسعةُ: الرزقُ الحسن، وبالهجرةِ زال عنهم ما يؤذيهم، وأغناهم الله من بعد عيلة، فأغنياء الصحابة هم من المهاجرين ـ كأبي بكرٍ، وعثمانَ، وابنِ عوف رضي الله عنهم ـ.

وَعَدَهم الله بوعد حسن فقال سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۞ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩].

قال ابن كثير رحمه الله: «فمن خرج مهاجراً في سبيل الله، ابتغاء مرضاته، وطلباً لما عنده، وَتَركَ الأوطان والأهلين والخُلّان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرةً لدين الله، ثم قتلوا، أي: في الجهاد، أو ماتوا - أي: حتف أنفهم، أي: من غير قتال على فرشهم -، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناءِ الجميل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ [النساء: ١٠٠]» قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في قوله تعالى ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ﴾ [الحج: ٥٩]: «إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصاً فتحَ مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به: رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزقِ الدنيا، ورزقِ الآخرة».

الخطبة الثانية

الصحابة ﷺ قسمان: مهاجرون وأنصار، فالأنصار نالوا شرفَ حماية الدعوة الإسلامية، واحتضانِها على أرض المدينة، وقد سعت الأنصار إلى بيعة النبي ﷺ، وعاهدوه على نصرة دينه، وحمايةِ المهاجرين، فاشتروا بذلك الآخرة، وكما وفوا بما التزموا فقد وفى الله لهم بقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التّوبَة: ١٠٠].

وقد وصَّى النبي ﷺ بالأنصار في مرضه فقال: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشي وعيبتي** - أي: جماعتي، وخاصتي- **وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**» متفق عليه.

وقال ﷺ: «**لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار**» رواه البخاري، وقال النبي ﷺ للأنصار أنتم أحب الناس إلي، قال أنس ﷺ: «رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين، قال: حسبت أنه قال من عرس ـ **فقام النبي ﷺ ممثلا، فقال: اللهم أنتم مِنْ أحب الناس إلي**» متفق عليه وعند البخاري: قالها ثلاث مرار.

وقال: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**» رواه البخاري. و«**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**» رواه البخاري، قال الحسن

البصري ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ [الحشر: ٩] يعني: الحسد.

وكرمُ وإيثارُ الأنصار رضي الله عنهم ظاهرٌ في الرجل الذي سأل النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه فقلن ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «من يضم، أو يضيف هذا؟، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]»، رواه البخاري.

ثم اعلموا أن معتقد أهل السنة من الصحابة سلامةُ قلوبهم وألسنتهم، فلا يضمرون في قلوبهم غِلاً ولا حقداً، وألسنتهم سليمة من السب واللعن، بل قلوبهم مملوءة بحب الصحابة، وألسنتُهم تذكر فضائلهم. قال ابن قدامة رحمه الله: «ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ، ومحبتُهم، وذكر محاسنهم، والترحمُ عليهم، والاستغفارُ لهم» وخرج النبي ﷺ في غداة باردة، والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق، فقال:

«اللهم إن الخير خير الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

فأجابوا:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا»

رواه البخاري.

رضي الله عن الصحابة أجمعين.

سيرة خليفة رسول الله ﷺ
أبي بكر الصديق رضي الله عنه

في حياة العظماء دروس لا تنسى، وعبرٌ لا تمحى، ويعلو شأنُها إذا كان ذلك الرجل عاش التنزيل، وصاحبَ رسولِ ربِّ العالمين ﷺ، أعمالُه كثيرةٌ عجيبة، ذكرها الله في كتابه، وأخبر بها رسولُه ﷺ، وتناقلها الصحابة رضي الله عنهم.

هذا الرجل المِقْدام هو: عبد الله بنُ عثمان رضي الله عنه، أفضلُ الصحابة رضي الله عنهم، وأول الخلفاء الراشدين والأئمةِ المهدين، الذين قضوا بالحق وبه يعدلون، اشتُهر بكنيته ولقبه: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

لا تَمْلُّ النفوس من ذكر أيام حياته، وتحتار العقول من أي فصل من أيام حياته العجيبة تبدأ، فهو البحر الزاخر بالمحبة والوفاء، والبطولةِ والإباء.

فأما إسلامه: فهو أول من أسلم من الرجال، دون تردد ولا تلكؤ، قال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله» رواه البخاري، وهو أحب الناس إلى قلب النبي ﷺ، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «سألت النبي ﷺ، أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت من الرجال؟ قال: أبوها قلت: ثم من؟ قال: عمر، فَعدّ رجالاً» متفق عليه.

وأما حياته قبل الهجرة: فقد أنزل الله فيه ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾

ـ وهو محمد ـ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ ـ وهو أبو بكر ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٣].

أم بذكر هجرته، فهو صاحب النبي ﷺ في هجرته ومُكْثِه في الغار، أم بعد الهجرة فالرسول ﷺ دائماً يقول: دخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.

أم بما بعد وفاة الرسول ﷺ، فقال رضي الله عنه: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه» متفق عليه.

أم بعد وفاته رضي الله عنه: فقبره بجانب سيد ولد آدم ﷺ.

صاحب الأخلاق الرفيعة مع ربه، وخَلقِه، فأما مع ربه فقال شيخ الإسلام رحمه الله: «لا يعرف أن الله عاتب أبابكر في القرآن، بل ولا أنه ساء رسول الله ﷺ».

وأما مع خَلْقه، فكفار قريش ذكروا مناقبه بأنه يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويَقْرِي الضيف، ويعين على نوائب الحق، محبٌ للنبي ﷺ ولقرابته قال رضي الله عنه: «والله لقرابة رسول الله أحب إليّ أن أصل من قرابتي» رواه البخاري.

وأما لقبه: «الصديق» ـ الذي هو أبلغ من الصادق ـ فقد وصفه النبي ﷺ بذلك، وذلك حين فرح المشركون بحادثة الإسراء والمعراج، زعماً منهم أنها مستحيلة فقال رضي الله عنه لهم: «إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، وهو خبر السماء» رواه الحاكم.

ولهذا قيل: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح، قال أبوبكر بن عياش رضي الله عنهما: «ما سبقهم أبوبكر بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه».

وهو ﵁ من كُتَّاب الوحي، واجتمعت فيه خصال عديدة كما في سؤال النبي ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر ﵁: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر ﵁: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً، قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر ﵁: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» رواه مسلم».

وهو خطيب فصيح، يخطب في حضور النبي ﷺ وفي غيبته، فكان النبي ﷺ إذا خرج في الموسم يدعو الناس إلى متابعة النبي ﷺ، ونبي الله ساكت يُقِرُّه على ما يقول، وكان كلامه تمهيداً وتوطئةً لما يُبَلّغه الرسولُ ﷺ معونةً له، لا تَقَدُّماً بين يدي الله ورسوله، وخطبته المشهورة بعد وفاة النبي ﷺ بقوله: «من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» رواه البخاري.

وهو أول من دعا إلى الله، وبذل المال لنصرة الدين، فإن كل آية نزلت في مدح المُنفقين في سبيل الله فهو أول المرادين، فإنه من حين آمن بالرسالة وهو ينفق ماله، ويجاهد بنفسه، فصحبته مع الرسول ﷺ لم تكن صحبته فقط، وإن كانت كافية في إبداء الرأي والمشورة، وإنما كانت أيضاً بالمال، بل بالمال كله، ولذا قال النبي ﷺ: «إن أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبوبكر» متفق عليه، بل قال النبي ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله به يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحد قط ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله» رواه الترمذي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «ولم يكن النبي ﷺ يعطيه شيئاً

من الدنيا يخصه به، بل كان في المغازي كواحد من المسلمين، بل يأخذ من ماله ما ينفقه على المسلمين وقد استعمله النبي ﷺ وما عُرف أنه أعطاه عَمالة، وقد أعطى عمر عمالة، وأعطى علياً من الفيء».

وزاده شرفاً وأيّما شرف حين بشّره النبي ﷺ بالجنة، قال سعيد بن زيد رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، ولو شئت لسميت التاسع**» رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه. ويُدْعى من أبواب الجنة كلِّها حين قال: «فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: **نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبابكر**» رواه البخاري.

أبوبكر رضي الله عنه هو أتقى الأمة، قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]: «ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن هذه الآياتِ نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولاشك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧-١٨] ولكنه مُقدَّم الأمةِ وسابقُهم في جميع هذه الأوصاف، وسائرِ الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً، تقياً، كريماً، جواداً، بذّالاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرةِ رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم».

وكان حريصاً على أكل الحلال، أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلامٌ يُخرج له الخراج، وكان أبوبكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبوبكر، فقال له الغلام:

أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أُحسن الكهانةَ إلا أني خدعته، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبوبكر يده فقاء كل شيء في بطنه».

وصدق الله حين قال في وصف صحابة رسول الله ﷺ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

من صفات أبي بكر رضي الله عنه أنه رجل موفَّق مُلهم، يعرف مقصد كلام الرسول ﷺ، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان أبو بكر أعلمَنا بالنبي ﷺ»، قال ابن تيمية رحمه الله: «لم يبلغ علمُ أحدٍ وكمالُه علمَ أبي بكر وكمالَه؛ فصاروا يتنازعون في بعض المسائل كتنازعهم في الجدِّ والإخوة، وفي الحرام، وفي الطلاق الثلاث، وفي غير ذلك من المسائل المعروفة مما لم يكونوا يتنازعون فيه على عهد أبي بكر،وكانوا يخالفون عمر، وعثمان، وعليًا في كثير من أقوالهم، ولم يُعرف أنهم خالفوا أبا بكر في شيء مما كان يفتي فيه ويقضى، وهذا يدل على غاية العلم».

وقال أيضاً رحمه الله: «وفي الجملة، لا يعرف لأبي بكر الصديق مسألةٌ في الشريعة غَلِط فيها، بل كان ذا رأي سديد، لم تختلف الأمة في ولايته في مسألة إلا فَصَلها بعلمٍ بيّنه لهم، وحجةٍ يذكرها لهم، بيّن لهم موتَ الرسول ﷺ وثَبَّتهم على الإيمان، وبيّن لهم موضعَ دفنه، وبيَّن لهم ميراثه، وبين لهم حكمَ مانعي الزكاة، وغيرُها كثير».

وهذه لا تكون إلا قوةً في الرأي من صاحبها، وشجاعةً في قلبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وصفه: «أبو بكر أشجعُ الناس، ولم يكن بعد رسول الله ﷺ أشجعَ منه، وهو أشجع من عمر، وعمرُ أشجعُ من عثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزبير، وهذا يعرفه من يعرف سيرَهم وأخبارهم، فإن أبا بكر باشر الأهوال التي كان يباشرها رسول الله ﷺ من أول الإسلام إلى آخره».

بل بعد وفاته نزلت على المسلمين فواجع، ولولا الله ثم ثبات قلبه لاختلف المسلمون.

مدة خلافته ثمانية وعشرون شهراً، بارك الله في عمله وعمره، فثبَّت المسلمين وقوَّاهم، قال أنس ﵁: «خطبنا أبو بكر ﵁ وكنا كالثعالب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود».

وقاتَل المرتدين، وقاتَل مانعي الزكاة، وراسل أهل الردة، وأَنْفَذَ جيشَ أسامة، حيث رأى غيرُ واحد أن يرد الجيش خوفاً عليهم، فامتنع وأمر بإنفاذه؛ رُوي أن عمر ﵁ قال: «يا خليفة رسول الله تألّف الناس، فأخذ بلحيته وقال: يا ابن الخطاب: أجبّار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟!على ما أتألفهم ! على حديث مفترى، أم على شِعْر مفتعل؟! »

وشرع في قتال أهل الكتاب، وأمر بجمع القرآن، وذلك بعد قتل القُرَّاء يوم اليمامة، ومن أعماله: استخلافُه الفاروقَ ﵁ بعده.

هذه مجمل أعماله في سنتين وأربعة أشهر، وكل عمل منها يحتاج إلى مثل مدة خلافته.

وأما تَرِكةُ هذا الرجلِ الثري عند وفاته: فقد أمر ابنته عائشة ﵂ أن تَرُدَّ إلى بيت المال ما دخل في ماله، فلم يجدوا إلا قطعة بخمسة دراهم، وعبداً، ومرضعاً، وناضحاً، ولما علم عمر ﵁ بذلك قال: «يرحمك الله يا أبا بكر،لقد أتعبت الأمراء بعدك».

رضي الله عن أبي بكر وعن بقية الصحابة، فقد رضي الله عنهم في كتابه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠]، وأوصى بهم رسول الله ﷺ فقال: «**لا تسبوا**

أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه.

فالواجب علينا محبتُهم، والترضي عنهم، والذبُّ عنهم، ومعرفةُ اخبارهم وأحوالِهم، فإن كل مؤمن للصحابة عليه فضل، بلَّغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

فتشبهوا بالكرام إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

اللهم ارض عن أبي بكر الصديق، وعن بقية صحابة نبيك ﷺ، واحشرنا معهم مع رسولنا ﷺ في الجنة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه..

❖ ❖ ❖

سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يَسَّر الله لهذا الدين رجالاً يعملون له، ويَدْعون إليه، ويحفظون أمره، أعز الله بهم الدين، وأعز الدين بهم، صَاحَبَ رسولَ ربِّ العالمين، شهد المشاهد، وحضر الغزوات، وشهد له الرسول ﷺ بالجنة. إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لما أسلم عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمرته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلي».

فيه قوةٌ وصدعٌ بالحق، يظهر ذلك عندما أسلم، فقد ذهب لكبير قريش أبي جهل فطرق بابه فقال أبو جهل: «مرحباً بابن أخي، ما جاء بك؟ قال: جئت لأخبرك أني قد أسلمت وآمنت بمحمد وصدّقتُ ما جاء به».

وكان من قوته رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده! ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غير فجك**» متفق عليه.

له فضل ومكانة، لذا بوّب أصحابُ الحديث في مصنفاتهم بابَ مناقب عمر، كما في البخاري ومسلم والترمذي، قال النبي ﷺ في فضله: «**لو كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب**» رواه الترمذي.

امتاز رضي الله عنه بأنه ذو عقل وفقهٍ وفهم قال: «وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر» متفق عليه، وقال النبي ﷺ: «**رأيت كأني أتيت بقدح من لبن فشربت منه، فأعطيت فضلي**

عمر بن الخطاب، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: العلم» رواه الترمذي.

كان ملازمَ الصحبةِ لرسول الله في حله وترحاله، كما في قول النبي ﷺ: «ذهبت أنا وأبوبكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» متفق عليه، يحب النبي ﷺ محبة كبيرة، قال عبد الله بن هشام رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمرَ بنِ الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله: لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده! حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك، فقال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي: الآن يا عمر» رواه البخاري.

مُحبٌّ للعلم والتزودِ منه، حتى مع مَنْ هو أقلَّ منه علماً، فكان إذا دخل عليه أبو موسى يقول له: «ذكِّرْنا ربنا، فيقرأ أبو موسى رضي الله عنه، وربما بكى عمر، وعندما قرأ سورة الطور يوماً حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطُّور: ٧] بكى، واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه».

وكان رضي الله عنه حريصاً على اغتنام الخيرات، كما في خبر النبي ﷺ: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مُراد، ثم من قَرَن، كان به برص فَبَرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» رواه مسلم، فكان عمر رضي الله عنه إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُراد ثم من قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فَبَرأْت منه إلا موضع درهم قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ـ وذكر الحديث ـ فاستغفر لي، فاستغفر له.

وقد ذكر ﷺ أسبابَ محبته في البقاء في هذه الحياة بقوله: «لولا ثلاثةٌ في الدنيا ما أحببت البقاء: لولا أن أضع جبهتي لله كل يوم خمس مرات، أو أن أجلس مع قوم ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر، أو أن أغزو في سبيل الله ﷻ».

صاحبُ بذل وإنفاق، قال ﷺ: «**أمرنا النبي ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله**» رواه ابو داود والترمذي.

محبةُ الصحابة له ظاهرة قال ابن عمر ﷺ: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي، فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان ﷺ» رواه البخاري .

وفي حديث أنس: «أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال متى الساعة؟ قال وما أعددت لها؟ قال: لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: أنت مع من أحببت، قال أنس: فما فرحنا بشي فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم» رواه البخاري.

مُحبٌّ لرعيته، قاضٍ لحاجاتهم، خرج يوماً ومعه الناس، فمر بعجوز فاستوقفته، فوقف لها، فجعل يُحدثها وتحدثه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين! حَبَسْت الناس على هذه العجوز، قال: وَيْحك تدري من هذه؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات.

وكان ﷺ آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، دالاً الناس على فعل الخير، قال ابن القيم ﷺ: «تزلزلت الأرض بالناس زمن عمر، فقال: يا أيها الناس! ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده ! لإن عادت لا أساكنكم فيها أبداً».

فتح الله على يديه عامةَ الشام ومصر والعراق، وبعض خرسان،وقدم إلى الشام وسَلّم إليه النصارى بيتَ المقدس، ودخله، وظهر تصديق خبر النبي ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرُ بعده، والذي نفسي بيده! لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل**» متفق عليه.

وضع رضي الله عنه ديوانَ العطاء، وكتب الناسَ على قدر أنسابهم، فبدأ بأقربهم نسباً إلى رسول الله ﷺ، قال ابن تيمية رحمه الله: «حين وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان، قالوا له: يبدأ أمير المؤمنين بنفسه فقال: لا، ولكن ضعوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ بأهل بيت رسول الله، ثم من يليهم، حتى جاءت نوبته في بني عدي، وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش».

وكان حريصاً على مصالح المسلمين فيكتب إلى عماله: «إنَّ أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مُجْملاً حياة الفاروق: «إن عمر كان أعظم فتوحاً وجهاداً بالمؤمنين، وأقدر على قمع الكفار والمنافقين من غيره ـ مثلِ عثمان وعلي رضي الله عنهما ـ فتح الأمصار، وقهر الرجال، وأعز أهل الإيمان، وأذل أهل النفاق والعدوان، ونشر الإسلام والدين، وبسط العدل في العالمين، وضع ديوان الخراج والعطاء لأهل الدين، ومصّر الأمصار للمسلمين، وخرج منها أزهد مما دخل فيها، لم يتلوث بمال، ولا ولَّى أحداً من أقاربه ولاية، فهذا أمر يعرفه كل أحد».

حشرنا الله في زمرة الأخيار.

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

حياة أمير المؤمنين ﵁ مليئة بالفضائل وحِفْظِ الدين والسنة وكَلِمةِ المسلمين، فقد جمع الناس في التراويح على إمام واحد، وأمر بقطع شجرةِ بيعةِ الرضوان، لخوفه على الناس من الفتنة، ولذا صدق قول النبي ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في دين الله عمر» رواه الترمذي.

وفي سيرته إجلال لخليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﵁ كما في قصة ضَبَّةَ بنِ مِحْصَن قال: «قدمت إلى عمر بن الخطاب فأدخلني منزله وقَدَّم إلي طعاماً فأكلت، ثم ذكرت له أبا بكر الصديق فبكى، فقلت له: أنت خير من أبي بكر، فازداد بكاءً لذلك، ثم قال وهو يبكي: والله لليلة من أبي بكر ويوم، خير من عمر وآل عمر».

ومع كل هذه الأعمال الجليلة خلال أيام حياته منذ إسلامه وتوليه الولاية إلا أنه يحتقر نفسه أمامها، بل يدعو الله أن يجعل عمله صالحاً، فقد ورد من دعائه ﵁: « اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شي».

ومع كل ما ذكر إلا أنه خاف على نفسه النفاق، فقال لحذيفة بن اليمان ﵁ ـ صاحبِ سرِّ رسول الله ـ: «يا حذيفة! أنشدك الله، هل سماني رسول الله؟ ـ يعني في المنافقين ـ فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً».

من آثاره المشهورة قوله ﵁: «إني لا أحمل هَمَّ الإجابة، ولكن احمل هَمَّ الدعاء، فإذا أُلهِمْتُ الدعاء فإن الإجابة معه».

وبعد خلافةٍ راشدة دامت أكثر من عشر سنين كان يدعو: «اللهم ارزقني قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك، قالت ابنته حفصة رضي الله عنها وأنّى ذلك؟ قال: إن الله يأتي بأمره إن شاء» وحج في العام الذي قُتل فيه، وسأل الله حسن الختام فقال: «اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط»، قال ابن المسيب رحمه الله «فما انسلخ ذو الحجة إلا طُعن»، وخطب مرة فقال: «رأيت ديكاً نقرني ثلاث نقرات، ولا أراه إلا حضور أجلي فما مر إلا تلك الجمعة حتى طُعن» رواه مسلم.

وفي الصلاة التي طُعن فيها ـ وطُعن معه ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة ـ صلى بالناس عبدُالرحمن بنُ عوف رضي الله عنه صلاةً خفيفة، وقال عمر لابن عباس: «انظر من قتلني، فجال ساعة، ثم جاء، فقال: غلام المغيرة، قال الصَّنَع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرتُ به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يَدَّعي الإسلام».

وبعد أن احتمل وتيقن قرب استشهاده، جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صُحْبةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَدَم في الإسلام، ثم وَلِيْتَ فَعدَلت، ثم شَهادة قال: ودِدْتُّ أن ذلك كفافاً لا عليَّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال: ردوا علي الغلام، قال له يا ابن أخي! ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك واتقى لربك.

وأمر ابنه عبد الله أن ينطلق إلى عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلَّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يَقْرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده

لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال الذي تحب يا أمير المؤمنين، أَذِنت، قال الحمد لله، ما كان من شيء أهمُّ إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت، فاحملوني، ثم سلِّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. ـ والقصة بتمامها في البخاري ـ.

حزن الصحابة ﭫ لوفاته حزناً شديداً وقالوا: لوددنا أن الله زاد في عمرك من أعمارنا. فعُمَرُ ﭬ حِصنُ الإسلام، وباب الفتنة انكسر بمقتله، قال حذيفة ﭬ: «بينا نحن جلوس عند عمر، إذ قال أيكم يحفظ قول النبي في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ليس عن هذا أسالك، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: بل يكسر، قال عمر: إذاً لا يغلق أبداً، قلت: أجل، قلنا لحذيفة أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أنِّي حدثته حديثاً ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله من الباب، فأَمَرْنا مسروقاً فسأله، فقال من الباب؟ قال: عمر» رواه البخاري.

وبمقتله ﭬ انجرفت الأمة في فتن، كان منها مقتل ما بعده من الخلفاء الراشدين ـ عثمانَ وعليٍّ وغيرِهما من الصحابة ﭫ ـ.

هذه ومضة يسيرة من حياه الرجل الثاني في هذه الأمة، أعز الله به الإسلام، وأهله وأذل به الكفر وأهله.

وفقنا الله لاقتفاء أثر نبينا ﷺ وخلفائه الراشدين.

صلوا وسلموا...

عباد الله ....

سيرة عثمان رضي الله عنه

إن أجمل سيرةٍ بعد سير الأنبياء عليهم السلام سيرُ الصحابة الكرام رضي الله عنهم فإن لهم فضلا كبيراً، ومقامًا جليلاً، فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة رضي الله عنهم الذين بلَّغوا الدين، وجاهدوا لإعلاء كلمة الدين، وهذا صحابي جليل، أحدُ السابقين الأولين، ومن العشرة المبشرين، صاحبُ الهجرتين، وزوجُ ابنتَيْ رسولِ الله ﷺ، إنه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، صاحب سخاء وحياء، وعبادة وزهد.

قال عثمان رضي الله عنه: «اختبأت عند ربي عشراً، إني لرابع أربعة في الإسلام، وما تعنَّيت ولا تمنَّيت ـ أي كذبت ـ، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرّت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن لا يكون عندي فأعتقها بعد ذلك، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، وجهزت جيش العسرة، وأنكحني النبي ﷺ ابنته ثم ماتت، فأنكحني الأخرى، وما سرقت في جاهلية ولا إسلام».

مِنْ بَذْله وجوده أنه قام رضي الله عنه بتجهيز جيش العسرة، وكان الناس حينها مُجْهَدين مُعْسِرين، فأَتى بألف دينار في ثوبه حين جهز جيش العسرة ووضعها في حِجْر النبي ﷺ، فجعل يقلبها بيده ويقول: «**ما ضَرَّ عثمانُ ما عمل بعد اليوم**» رواه أحمد، وفي مسند أبي يعلى: «أنه جهز الجيش بسبعمائة أوقية من الذهب، وكان رضي الله عنه لا يتوانى عن المسابقة إلى الخيرات بما تجود به نفسه، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غِفار عينٌ يقال لها رُوْمة، وكان يبيع منها

القِرْبة بمُدٍّ، فقال النبي ﷺ: تبيعها بعين في الجنة، فقال يارسول الله: ليس لي عينٌ غيرُها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان ﵁ فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال: أتجعلُ لي مثلَ الذي جعلتَ له عينًا في الجنة إن اشتريتها؟ قال: نعم، قال قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين» رواه الطبراني، قال أبو هريرة ﵁: «اشترى عثمان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين: يومَ رومة، ويومَ جيش العسرة».

أما حياؤه ﵁ فاشتُهر به، فقد كان النبي ﷺ في بيته كاشفاً عن ساقه، فاستأذن أبو بكر، ثم عمر، وهو على تلك الحالة، فتحدثا، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة ﵂: «دخل أبوبكر فلم تجلس، ثم دخل عمر فلم تهشَّ له، ثم دخل عثمان فجلست، وسويت ثيابك، قال: ألا أستحي من رجل تستحيي منه الملائكة» رواه مسلم، وقال أنس ﵁ قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان». رواه الترمذي، وكان ﵁ مِنْ صِدْق حيائه أنه لا يغتسل قائماً.

وأعظم عمل قام به ﵁ في ولايته التي استمرت ثنتي عشرة سنة، أَنْ جَمَعَ الناس على مصحف واحد، حتى لا تختلف الأمة اختلاف اليهود والنصارى.

وكان من عبادته أنه كان يختم في كل يوم وليلة القرآن الكريم، وصحَّ من وجوهٍ أنه ﵁ قرأ القرآن كله في ركعة، فجمع ﵁ بين أداء العبادة، والنفقة في سبيل الله.

﵁، وعن صحابته نبيه ﷺ

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

لعثمان رضي الله عنه فضلٌ في الصحبة والقرابةِ من آل بيت النبوة، فكان مع رسول الله ﷺ في طرقاته وخلواته، صَعِد جبلَ أُحدٍ مرةً، فاهتز الجبل، فقال النبي ﷺ: «اثبت أحدُ، فإنما عليك نبي، وصدِّيق، وشهيدان» رواه البخاري، ومرةً بشَّر النبيُّ ﷺ أبا بكر وعمر بالجنة، وبَشَّر عثمانَ رضي الله عنه بالجنة مع بلوى تصيبه، فلما اشتد عليه الخارجون بدعاوى أقروا ببطلانها ـ منها أنه حَمَى الحِمَى ـ قال: «إني والله ما حَميت إلا ما حُمِي قبلي، وإني وَلَيت وإني لأكثر العرب بعيراً وشاء، فمالي اليومَ غيرُ بعيرين لحجتي، أكذلك؟ قالوا: نعم».

فلما اقتربت ساعةُ المَنِيةِ أَعتق رضي الله عنه عشرين مملوكاً، ثم دعا بسراويل، فشدها عليه حتى لا تبدوَ عورته إذا قُتل ـ ولم يلبسها في جاهلية، ولا في إسلام ـ، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقال: «اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم نشر المصحف، فقتل بين يديه» رواه أحمد.

وكان من دعاء عثمان رضي الله عنه على قتلته: «اللهم فشتت أمرهم، وخالف بين كلمتهم، وانتقم لي منهم، واطلبهم لي طلبًا حثيثًا»، وقد استجيب دعاؤه في كل ذلك، قال ابن كثير رحمه الله: «لما بلغ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ وكان مستجاب الدعوة ـ مقتل عثمان رضي الله عنه دعا عليهم».

وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولاً؛ أما الركب الذين ساروا إلى عثمان رضي الله عنه بقصد عزله، أو

المشاركة في تأليب الناس عليه، فقال يزيد بن أبي حبيب: بلغني أن الركب الذين ساروا إلى عثمان ﵁ عامتهم جُنُّوا ـ أي أصابهم الجنون ـ».

فنسأل الله السلامة والعافية.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ ...

❖ ❖ ❖

سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

في الأمة رجال عاشوا حياتهم مع رسول الله ﷺ، فنالوا قَصْبَ السّبْقِ في الدخول للإسلام، والنَّهْلَ من مَنْهله منذ نعومةِ أظفارهم، فشهدوا المشاهد، وحضروا المواقف، وأدركوا الوقائع، ومنهم أبو الحسن عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، ابنُ عَمِّ النبي ﷺ، وزوجُ ابنتِه فاطمةَ رضي الله عنها، أولُ الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم، قال الحسنُ ابنُ زيدِ بن الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالب: «إن عليَّ بنَ أبي طالب حين دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام كان ابنَ تسعِ سنين»، ويقال: دونَ تسعِ سنين، ولم يعبد الأوثان قطُّ.

ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فتربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقْه، صلى القبلتين، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندقَ وبيعةَ الرضوان، وجميعَ المشاهدِ مع رسول الله إلا تبوك، وفيه قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» رواه البخاري، لأن رسول الله ﷺ خلَّفه على أهله.

وله في المشاهد بلاءٌ عظيم وأثر حسن، وأعطاه رسولُ الله اللواءَ في مواطنَ كثيرةٍ بيده، وفي أُحد بارز طلحة بنَ أبي طلحة صاحبَ لواءِ المشركين، فالتقيا بين الصفين، فبدره علي رضي الله عنه فضربه على رأسه حتى فلق هامته فوقع، ولما قُتل مصعبُ بنُ عمير يومَ أحد، وكان اللواء بيده دفعه رسول الله ﷺ إلى علي، وكان عليٌّ ممن ثبت مع رسول الله يوم أحد حين انهزم الناس، وبايعه على الموت.

ومن أشهر ما تواترت به النصوص من خصائص علي رضي الله عنه قولُه ﷺ يوم خيبر: «لأدفعن الراية غداً إلى رجل يُحب اللهَ ورسولَه، ويُحبه اللهُ ورسولُهُ، يفتح الله على يديه، فلما أصبح رسول الله غدوا كلُّهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يشتكي عينيه، فأُتى به فبصق في عينيه، فدعا له فبرأ، فأعطاه الراية» متفق عليه، وعند مسلم قال عمر: «ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم».

وقد وكَّله النبي ﷺ بقراءة سورة براءة على الناس في الحج، فعندما كان أبو بكر بالعَرْج، لحقه عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، على ناقة رسول الله القصواء، فقال له أبو بكر: أستعملك رسول الله على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس، وأنبُذُ إلى كل ذي عهد عهده، فمضى أبو بكر فحج بالناس، وقرأ عليُّ بن أبي طالب براءة عَلَى الناس يومَ النحر عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ثم رجعا قافِلَين إلى المدينة.

وهو رضي الله عنه ذو بذل وإنفاق، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] قال: «نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ كان عندَه أربعةُ دراهم، فأنفق بالليل واحداً، وبالنهار واحداً، وفي السر واحداً، وفي العلانية واحداً».

لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، قال عليٌّ رضي الله عنه: «والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة إنه لعهدُ النبي ﷺ الأمي إلي: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق» رواه مسلم.

كما أن له مكانةً في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، فقد كان أحدَ الشورى الذين نص عليهم عمر رضي الله عنه كما في قوله: «لا أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً

وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن». رواه البخاري، وقال يحيى ابن معين: «خير هذه الأمة بعد نبيِّنا: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي، هذا مذهبنا وقول أئمتنا».

وبرع رضي الله عنه بالعلم، فلم يزل بعد النبي ﷺ متصدياً لنصر العلم والفتيا، وقد ورد عن سعيد بن المسيب: «أن عمر رضي الله عنه كان يتعوذ من مُعْضلة ليس لها أبو الحسن»، وقال سعيد بن جبير: «كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به»، وقال أبو الطفيل: «كان علي يقول: سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أَنَزلت بليل أو نهار».

كنَّاه النبي ﷺ بأبي تراب بعد نكاحه فاطمة، وكان نكاحها بعد بدر، فإنه: «**دخل عليها ﷺ قال أين ابن عمك؟ قالت: خرج مغضباً، فجاء إلى المسجد فوجده مضطجعاً فيه، وقد لصق به التراب، فجعل ينفضه عنه ويقول: اجلس أبا تراب**»، وهو أول يوم كُنِّي فيه أبا تراب، وفي تكنيته بذلك ليُبْسِطَه، ويذهبَ غيظُه، وتسكنَ نفسُه بذلك، ولم يعاتبْه على مغاضبته لابنته، وفيه من الفقه: الرفق بالأصهار، وتركُ معاتبتهم، وفيه ما جبل الله عليه رسولَه من كرم الأخلاق، وحسنِ المعاشرة، وشدةِ التواضع.

رزقنا وإياكم محبة رسوله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم.

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

أسهب أصحابُ الصحاحِ والسننِ والمسانيدِ في ذكر فضائل علي رضي الله عنه، والسبب في ذلك: ما قاله الإمام أحمدُ، وإسماعيلُ القاضي، والنسائيُّ، وأبو عليٍّ النَّيْسابوريُّ: «إنه لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجِياد أكثرَ مما جاء في علي»، لأنه تأخر، ووقع الاختلاف في زمانه، وخروجُ مَنْ خرج عليه، فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه، مِنْ كَثْرة مَن بيَّنها من الصحابة، رداً على من خالفه، فاحتاج أهلُ السنة إلى بَثِّ فضائله، فكثر الناقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك، وإلا فالذي في نفس الأمر، أن لكلٍّ من الأربعة ـ أي من الخلفاء ـ من الفضائل إذا حُرر بميزان العدل، لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً.

وروي عن الشعبي قال: «قال لي علقمة: تدري ما مَثَل عليٍّ في هذه الأمة؟ قلت: وما مَثَله؟ قال: مَثَل عيسى بن مريم؛ أحبَّه قومٌ حتى هلكوا في حبِّه، وأبغضه قومٌ حتى هلكوا في بغضه».

ومرادُ علقمة بالمشبَّه به اليهودُ والنصارى، وفي المشبَّه الخوارج والرافضة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً منهج أهل السنة: «وأمَّا عليٌّ رضي الله عنه فأهل السنة يحبونه ويتولَّونه، ويشهدون بأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديِّين».

ومحبة كبار الصحابة له ظاهرة، قال ابن تيمية رحمه الله: «وعليٌّ رضي الله عنه ما زالَا ـ أي أبو بكر وعمر ـ مُكرمِين له غاية الإكرام بكل طريق، مقدمين له، بل ولسائر بني هاشم على غيرهم في العطاء، مقدِّمين له في المرتبة

والحرمة، والمَحبَّة والموالاة، والثناءِ والتعظيم، كما يفعلان بنُظرائه، ويفضلانه بما فضَّله الله عز وجل به على من ليس مثلَه، ولَم يُعرف عنهما كلمةُ سُوء في علي قط، بل ولا في أحد من بني هاشِم... إلى أن قال: وكذلك علي رضي الله عنه قد تواتر عنه مِن مَحبَّتِهما وموالاتِهما وتعظيمِهما وتقديمِهما على سائر الأمة ما يُعلم به حالُه في ذلك، ولَم يُعرف عنه قط كلمةُ سُوء في حقِّهما، ولا أنَّه كان أحقَّ بالأمر منهما، وهذا معروفٌ عند مَن عرف الأخبارَ الثابتةَ المتواترةَ عند الخاصَّة والعامة، والمنقولةَ بأخبار الثقات».

وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه حصل اجتهاد بين الصحابة في أمر قتلته، وما كان بعدها من أحداث، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله مذهبَ أهل السنة وهو: «الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفوراً، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذمّاً، ويكون هو في ذلك مخطئاً بل عاصياً، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك. . . ولهذا كان الإمساكُ طريقةَ أفاضل السلف».

وكما أن الله أكرم علياً رضي الله عنه بأنه أول من أسلم، فقد أكرمه الله بأنه أفضلُ الأحياء من بني آدم في الأرض، بإجماع أهل السُّنَّة، ـ بعد مقتل عثمان ـ وقد أكرمه الله أيضاً بالشهادة في رمضان، ليلة السابعَ عشر، سنة أربعين من الهجرة، وله ثلاثُ وستون سنة على الأرجح.

رضي الله عنه وعن صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم.

صلوا وسلموا..

عباد الله ..

أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن فضلٌ وشرفٌ ومنزلةٌ عالية، شاركن رسول الله ﷺ حياته الأسرية، ونقلن للأمة ما يحتاج إليه الرجال والنساء من أفعالِ وأحوالِ النبي ﷺ التي لا يطّلع عليها إلا أهلُ بيته.

فحقهن الترضي عنهن، ومحبتهن، ومراعاة حقهن، فهن أمهات المؤمنين، فقد وصفهن الله بقوله ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهن أزواجه في الآخرة.

ويُخص في الفضل خديجةُ رضي الله عنها فهي أول وأفضل زوجات النبي ﷺ في أول الإسلام، ولم يتزوج عليها أحداً، وهي أول الناس إسلاماً، وهي أعظم زوجاته نصرة له، وكان لها منه المنزلة العالية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وإيمان خديجة وأبي بكر وغيرِهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر، وقبل إخباره بالغيوب، وقبل تحديه بالقرآن، لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آيةٌ مستلزمةٌ لصدقه، ونفسُ كلامه، وإخبارُه بأني رسول الله مع ما يُعرف من أحواله مستلزم لصدقه إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه».

ولفضلها فقد بشرها النبي ﷺ ببيت في الجنة حين: «**أتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه، ولا**

نصب» متفق عليه، ـ القصب هنا: اللؤلؤ المجوف؛ والصخب: الصياح؛ والنصب: التعب.

ولها وقفة عظيمة عند نزول الوحي عليه أولَ مرة حين رجع بها رسولُ الله ﷺ يرجف فؤادُه، فدخل عليها ﵂ فقال: «زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة ـ وأخبرها الخبر ـ: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتَقْري الضيف، وتعين على نوائب الحق» متفق عليه. وقد خصها النبي ﷺ بِذِكْر الحَدَث لرجاحة عقلها، وقوةِ قلبها، وعِظم فقهها، وجزالةِ رأيها، وثباتِ قلبها، وتثبيتِها، وكانت تناصره وتساعده وتواسيه، وسنداً له في الدعوة بمالها ونفسها، وكلما اشتد عليه أمرٌ يأت إليها فتواسيه وتقويه، وتذكر من محاسنه وتشجعه.

وكانت لها ﵂ مكانة في الجاهلية، فتُسمى الطاهرةَ العفيفةَ، وهي من أفضل قريش نسباً، وأعظمِهم شرفاً، وأكثرِهم مالاً، فهي أُمُّنا أمُّ المؤمنين خديجةُ بنتُ خويلدِ بنِ أَسدٍ القرشيةُ، كانت تحت أبي هَالة بنِ زُرارةَ، ثم تزوجها عَتيق بنُ عائذٍ، والذي خطبها للنبي ﷺ عمُّه حمزةُ بنُ عبدِالمطلب ﵁، تزوجها النبي ﷺ ولها يومئذ من العمر أربعون سنة، وكان لرسول الله ﷺ خمسةٌ وعشرون سنة، وأقامت معه خمسةً وعشرين عاماً، هي أمُّ أبنائه وبناتِه ـ عدا إبراهيمَ من مارية القبطية ـ، فولدت له أربعَ بنات: زينبَ، وفاطمةَ، ورقيةَ، وأمَّ كُلثوم ـ كلهن أدركن الإسلام، وأسلمن، وهاجرن ـ ومن الذكور: القاسمُ، وبه كان يُكْنى، وعبدُالله، والطيب ـ ويسمى الطاهر ـ وجميع ذريته ﷺ توفوا في حياة النبي ﷺ إلا فاطمةَ ﵂، فإنَّها توفيت بعده بستة أشهر.

فرضي الله عنها، وعن أمهات المؤمنين، وصحابته الكرام الغُرِّ الميامين.

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

خديجة رضي الله عنها امرأة شريفة، عاقلة، فاضلة، حازمة، ذات مال، وكانت عونًا للنبي ﷺ في أحواله كلها، تثبِّته على أمره، وتصدقه فيما يقوله، وتصبِّره على ما يلقى من قومه من الأذى والتكذيب.

وَرَدَ فضلها مع خير نساء العالمين، قال النبي ﷺ: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون» رواه أحمد، وفي رواية الترمذي بلفظ: «حسبك من نساء العالمين» ومعناها: أن كل واحدة من أولئك النساء الأربع هي خيرُ عالَمِ زمانِها، وسيدةُ وقتِها.

ولمَّا كان لها رضي الله عنها هذه الفضائل والمناقب لم ينس النبي ﷺ أيامَ حياتِه معها، وصفت عائشةُ رضي الله عنها وفاءَ النبي ﷺ لخديجةَ بعد موتها قالت: «ما غِرْت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد» رواه البخاري، وفي حديث آخر قال: «إني قد رُزقت حبَّها» رواه مسلم؛ ولم يتزوج النبيُّ ﷺ على خديجةَ حتى ماتت، وكانت مدةُ مقامها مع رسول الله ﷺ خمسةً وعشرين عاماً، وكونه ﷺ لم يتزوج على خديجة إلى أن ماتت: يدلّ على عظيم قدرها عنده، ومحبتِه لها، وعلى فضل خديجة أيضاً ؛ لأنها اختصَّت برسول الله ﷺ، ولم يشاركْها فيه أحد ؛ صيانة لقلبها من التَّغيير والغَيْرة، ومن مناكدة الضَّرة: «واستأذنت يوماً هالةُ بنتُ خويلد ـ أختُ

خديجة ـ على رسول الله ﷺ فَعَرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، فقال: اللهم هالة بنت خويلد، قالت عائشة رضي الله عنها: فَغِرْت، فقلت: وما تذكر من عجوزٍ من عجائز قريش، حمراءِ الشَّدقين، هلكت من الدهر، فأبدلك الله خيرا منها» متفق عليه، وفيهما: «أن النبي ﷺ عرف استئذان خديجةَ لشَبَه صوتِها بصوت أُختها فتذكَّر خديجة».

وفي قوله: «**اللهم هالة**» أي: ياالله اجعلها هالة، سروراً لمجيئها، لتذكُّرِه بها خديجةَ وأيامَها، قال النووي رحمه الله: «وفي هذا كلِّه دليلٌ لحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته، وإكرامِ أهلِ ذلك الصاحب».

لكلٍّ من زوجات النبي ﷺ فضلٌ ومنقبة، قال شيخ الإسلام رحمه الله في المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما: «سَبْقُ خديجة وتأثيرُها في أول الإسلام؛ ونصرُها وقيامُها في الدين لم تَشْرَكْها فيه عائشة ولا غيرُها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحملِ الدين وتبليغهِ إلى الأمة وإدراكها من العلم، ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرُها مما تميزت به عن غيرها».

توفيت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين بمكة، ولها من العمر خمسة وستون عاما، ودفنت بالحجون بمكة المكرمة.

فرضي الله عنها، وعن أمهات المؤمنين أجمعين.

صلوا وسلموا..

❖ ❖ ❖

أُمُّ المؤمنين عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ خصائصُ وميزاتٌ عامةٌ لا تشاركهن امرأة في عصرهن، وزوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل واحدة منهن مزية، فخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ناصرت النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأيدته وبذلت الغاليَ والنفيس، من ابتداء نزول الوحي حتى وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل الهجرة بثلاث سنين.

ومعنا سيدة النساء، مُحدِّثةُ وفقيهةُ عصرِها، وحبيبةُ قلب نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تزوجها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي البكرُ الوحيدة من بين نسائه، ولا أحبَّ امرأةً كحبها. إنها أُمُّنا عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ناداها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمِّ عبد الله، وعائشُ، وابنةِ الصديق، وابنةِ أبي بكر.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضلها، «**فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام**» متفق عليه، والثريد: هو الخبز باللحم، وهو من أفضل الطعام، وأكثرُ تغديةً من غيره، شبهها بأفضل طعام العرب.

رآها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منامه قبل زواجه بها، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «**أُرِيتُكِ في المنام ثلاث ليال، جاءني بكِ المَلك في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكْشِفُ عن وجهكِ فإذا أنتِ هي، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمْضِه**» رواه مسلم، وفي رواية «**أن جبريل جاء بصورتها في خِرْقَةِ حريرٍ خضراءَ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة**» رواه الترمذي.

ولفضلها أيضاً عند خير الملائكة جبريل عليه السلام قال رسول الله ﷺ يوماً: «ياعائشُ! هذا جبريل يقرؤك السلام، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى ـ تريد رسول الله ﷺ ـ» متفق عليه.

حُبُّ النبي ﷺ لها ظاهر في سؤال عمرو بن العاص رضي الله عنه لرسول ﷺ حين قال: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: مِن الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم مَن؟ قال: ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً» متفق عليه، وفي قصة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن قال ﷺ: «يا أمَّ سلمة! لا تؤذينني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرَها» رواه البخاري.

ولمعرفة الناس بمحبة النبي ﷺ: «كانوا يتحرّون بهداياهم يومَ عائشة، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ» رواه مسلم.

وكانت تُظْهِرُ فضلَها على غيرها في قولها: «يا رسول الله! أرأيت لو نزلتَ وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها، ووجدتَ شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في الذي لم يرتع منها ـ تعني: أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها» رواه البخاري.

ويلاطفها القول في قوله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عنى راضية، وإذا كنتِ علي غضبى، قالت: فقلت ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنتِ عنى راضيةً فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنتِ غضبى قلت: لا وربِّ إبراهيم، قالت: قلت أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك» رواه مسلم.

من فضائلها أنها قالت: «لقد أُعطيتُ تسعاً ما أُعطِيتْها امرأةٌ بعدَ مريمَ بنتِ عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته، حتى أمر رسول

الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكراً، وما تزوج بكراً غيري، ولقد قُبض ورأسُه في حِجري، ولقد قَبَرْتُه في بيتي، ولقد حفَّت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي ينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمَعَه في لحافه، وإني لابنةُ خليفتِه وصدِّيقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خُلِقتُ طيبةً وعند طَيِّب، ولقد وُعدتُ مغفرة ورزقاً كريماً» رواه ابو يعلى في المسند.

ورثت عائشة رضي الله عنها علماً جماً، ونَقْلاً مباشراً لأفعال النبي ﷺ من بيت النبوة، فكانت أعلمَ مِن أكثر الرجال، فكثير من كبار علماء الصحابة يسألونها عن بعض الأحكام التي تُشكل عليهم، وقد استدركت على عدد من الصحابة في الأحكام، وصنَّفَ في ذلك بعضُ أهل العلم كتباً منها كتاب الزَّرْكشيِّ «**الإصابة، فيما استدركته عائشة على الصحابة**».

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحابَ رسول الله ﷺ حديثاً قطُّ، فسألنا عائشة إلّا وجدنا عندها منه علماً»، وقال مسروق: «رأيت مشيخة أَصحابِ رسولِ الله يسألونها عن الفرائض»، وقال عطاء: «كانت عائشة أفقهَ الناس، وأعلمَ الناس، وأحسنَ الناس رأياً»، وقال الزهري: «لو جُمع علمُ عائشةَ إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل».

وقال عروة: «ما رأيت أحداً أعلمَ بفقهٍ، ولا بطبٍ، ولا بِشِعْرٍ من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصةُ الإفك لكفى بها فضلاً وعلوَّ مجدٍ، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة»، وسِنُّها يوم الإفك أربع عشرة سنة، ومن تأمل ثَباتَها فيه كقولها: «ولشأني في نفسي أحقر من أن ينزل الله فيَّ قرآنا يتلى» ـ والحادثة بتمامها في البخاري ـ.

قال ابن كثير رحمه الله: «ولا أعلم في أمه محمد ﷺ، بل ولا في

النساء مطلقاً، امرأةً أعلمَ منها»، وقال: «لم يكن في الأمم مثلُ عائشة في حفظها وعلمِها وفصاحتِها وعقلِها».

وكانت أذكى أمهاتِ المؤمنين وأحفظَهن، حيث إنها منذ نعومة أظفارها وهي تسمع القرآنَ من فم والدها الصديقِ رضي الله عنه، قالت: «لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجاريةٌ ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القَمَر: ٤٦]، وما نزلت سورةُ البقرةِ والنساءِ إلا وأنا عنده» رواه البخاري.

وكانت رضي الله عنها تسأل عن دقائق الأمور، قالت عائشة: «**سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط**» رواه مسلم.

وهي رضي الله عنها حاضرةُ الإجابة، لما نزلت آية التخيير بدأ بعائشة فقال لها: «**إني ذاكرٌ لكِ أمراً فلا تَعْجَلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه، فقرأ عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، فقالت: أو في هذا استأمر أبويَّ! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة**» متفق عليه.

وامتازت رضي الله عنها بتنوع العلوم والمعارف، قال عامر: «قيل لعائشةَ: يا أم المؤمنين! هذا القرآن تلقيتِيه عن رسول الله ﷺ، وكذلك الحلالُ والحرام، وهذا الشِعْرُ والنَّسبُ وأحاديثُ الناس سَمعتيها من أبيك وغيره؛ فما بال الطبّ؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسول الله ﷺ، فلا يزال الرجل يشكو عِلّةً فيسأله عن دوائها، فيخبره بذلك. فحفظتُ ما كان يصفه لهم، وفهمته، وحفظته».

رضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين.

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

امتازت رضي الله عنها بكثرة روايتها للحديث لأسباب عدة ـ بعد توفيق الله ـ منها: صِغَرُ سنها، وقوةُ حفظها، وشدةُ ذكائها، ومحبتُها للتلقي والمعرفة، وطولُ عمرها، ونشرُ علمها، وعنايتُها بحديث رسول الله، وبَذْلُ الوقت والجهدِ لأجله، فلم يَرْوِ في الصحيح أحدٌ أكثرَ مما رُوي عنها ـ بعد أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم ـ حيث بلغت ألفين ومائتين وعشرة أحاديث.

وكانت عائشة رضي الله عنها لها مكانة في الفتيا فهي تُفتي في عهد عمر، وعثمان، إلى أن ماتت، وكان عمر وعثمان يرسلان إليها فيسألانها عن الشيء، قال قبيصة بن ذؤيب: «كانت عائشةُ أعلمَ الناس، يسألها الأكابرُ من أصحاب رسول الله ﷺ».

وامتازت رضي الله عنها بكريم الخصال، كالكرم، فهي بنت الصديق رضي الله عنه حين أتى بماله كله للنبي ﷺ فقال: **«ما أبقيت لأهلك، قال: أبقيت لهم الله ورسوله»** رواه أبو داود، وهي زوجة أجود الناس ﷺ، بعث معاوية رضي الله عنه إلى عائشة بقلادة قُوِّمت بمائة ألف، فقبلتها، وقسمتها في أمهات المؤمنين؛ وكانت من أسخى الناس، في الصحيحين عنها قالت: **«جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فَقَسَمَتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدَّثْتُه فقال: من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»**.

وامتازت رضي الله عنها بالحياء، قالت: «كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول

الله ﷺ وإني واضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معهم فو الله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر» رواه أحمد.

وهي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَسَنَةُ العِشرة مع النبي ﷺ قالت: **دخل علي رسول الله ﷺ، فرأى في يدي فَتَخَات من وَرِق، فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله، قال: أَتؤدين زكاتهن؟ قلت: لا، أو ما شاء الله، قال: هو حسبك من النار»** رواه ابو داود، والفتخات: جمع فتخة، وهي حَلْقة من فضة لا فص لها، وذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: أنها كانت تبالغ في تنظيف ثيابها التي تنام فيها مع النبي ﷺ.

وأما عبادتها فعجيبة، نقل ابن رجب عن ابن أبي الدنيا، عن القاسم بن محمد، قال: «كنت غدوت يوماً فإذا عائشة قائمة تُسّبح ـ يعني: تصلي ـ وتبكي، وتقرأ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطُّور: ٢٧]، وتدعو وتبكي، وترِدِّدُها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي».

وقد كانت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مع النبي ﷺ في آخر لحظات حياته، قالت: «**فلما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ حرصاً على بيت عائشة، قالت عائشة: فلما كان يومي سكن،** ـ أي: عن هذا القول ـ **وكان ذلك في مرضه»** رواه البخاري، «**وكان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت انفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه»** رواه البخاري.

وهي تعلم ما المُحبَّب للنبي ﷺ قالت: «دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك

رطب يستن به، فأَبَدَّه رسول الله ﷺ بَصَرَه، فأخذت السواك فَقَصَمتْه وَنَفَضته، وطَيّبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستنَّ به، فما رأيت رسول الله ﷺ استن استناناً قطُّ أحسنَ منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه، ثم قال: في الرفيق الأعلى ـ ثلاثاً ـ ثم قضى، وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي» رواه البخاري.

وقالت: «كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النِّسَاء: ٦٩]، فظننت أنه خُيِّر» رواه مسلم.

توفيت ﵂ بعد أن مكثت عند النبي ﷺ في بيت النبوة تسع سنين إلى وفاته، وكان عمرها عند وفاة النبي ﷺ ثمانية عشر عاماً، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة واربعين عاماً، وتوفيت سنة سبع وخمسين، وعمرها أربعة وستون عاماً، وصلى عليها أبو هريرة ﵁، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين وأصحابه أجمعين.

❖ ❖ ❖

سيرة أبي هريرة رضي الله عنه

راوية الإسلام، ومُحدث الأمة، أحَفْظ الصحابة، وأحرصهم على الحديث ونشره، من أهل الصفة الذين هم أفقر أهل المدينة، شديد الملازمة للنبي ﷺ، ما سمع به أحد إلا أَحَبْه، مروياته تقارب نصفَ مرويات المكثرين من الرواية مع أنه لم يهاجر إلا قبل وفاة النبي ﷺ بثلاث سنين.

إنه الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخرٍ الدوسي قيل: إن اسمه في الجاهلية عبدُ شمس، فسماه النبي ﷺ عبدَالرحمن، واشتُهر بكنيته، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا هريرة**»، و«**يا أبا هر**»، وقيل: إنه وجد هرة فحملها في كُمِّه.

وسبب إسلامه: أن الطفيلَ بنَ عمرٍو الدوسي له مكانةٌ عند قومه، ومنزلة عند قريش، وما أن عَرَفَتْ بقدومه إلى مكة، حتى انطلق إليه رجال منها يُحذِّرونه من رسول الله ﷺ ليصدوه عن الإسلام، واقتنع الطفيل بقولهم، ونوى ألا يسمع من رسول الله ﷺ شيئاً حتى لا يؤخذ بسحره كما ادَّعوا، وذهب الطفيل إلى الكعبة، وإذا برسول الله ﷺ يصلي، فسمع كلامه فأُعجب به، وأَبَى الله إلا أن يفتح قلبه للإيمان، وذهب مع الرسول الكريم إلى داره فعرض عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن، فشعر بحلاوة الإيمان، وطلب من الرسول أن يدعوَ له، وأن يجعل الله له عوناً في حمل الإسلام إلى قومه ودعوتهم إليه.

وعاد الطفيل إلى قومه فدعاهم للإسلام، فأجابه أبو هريرة وحده، وأبطأ عليه قومه، فعاد إلى رسول الله ﷺ وأخبره بإبطاء قومه، وقال له: «يا رسول الله! إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: اللهم اهد دوساً وأت بهم» متفق عليه واللفظ للبخاري، فأجاب الله دعوة رسوله ﷺ حتى نزلوا المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ولحقوا رسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين، قدم أبو هريرة رضي الله عنه المدينة قبل وفاة النبي ﷺ بثلاث سنين، وعمره قد زاد على الثلاثين، قال عن نفسه: «فأقمت مع النبي ﷺ حتى مات، أدور معه في بيوت نسائه، وأخدمه، وأغزو معه، وأحج، فكنت أعلمَ الناس بحديثه».

وأثنى الصحابةُ والتابعون ومن بعدهم على حفظه وضبطه للحديث، قال ابن عمر رضي الله عنهما لأبي هريرة رضي الله عنه: «أنت كنت ألزمَنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا بحديثه»، قال البخاري: «روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظَ من روى الحديث في عصره»، وقال الأعمش عن أبي صالح قال: «كان أبو هريرة مِنْ أحفظ الصحابة»، وقال الشافعي: «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره»، وقال سعيد بن أبي الحسن: «لم يكن أحد من الصحابة أكثرَ حديثاً من أبي هريرة»، وقال ابن عبد البر: «وكان أحفظَ أصحابِ رسول الله ﷺ، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، لانشغال المهاجرين بالتجارة، والأنصار بحوائطهم».

وكان رضي الله عنه ملازماً للنبي ﷺ تاركاً الصفق في الأسواق والعمل في الحوائط، وقد وصف شدة جوعه بقوله: «لقد رأيتني وإني لأَخِرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشياً علي، فيجيء الجائي فيضع

رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع» رواه البخاري.

قال أبو هريرة: «يقولون إن أبا هريرة قد أكثر ـ يعني: عن رسول الله ﷺ، والله الموعد ـ ويقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه وسأخبركم عن ذلك، إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وإن إخواني من المهاجرين يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملأ بطني فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً «**أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئاً سمعه**، فبسطت بردة عليّ حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به، ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٩]).» رواه مسلم.

قال ابن تيمية رحمه الله: «كان أبو هريرة أحفظَهم للحديث ببركةٍ حصلت له من جهة النبي ﷺ في هذا الحديث».

وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريصٌ على العلم والحديث، قال أبو هريرة: «قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **لقد ظننت ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث»** رواه البخاري.

حِرْصُه على الحديث ظاهر قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ مني خمس خصال فيعمل بهن، أو يعلمهن من يعمل بهن؟ قال: قلت: أنا يا رسول الله، قال: فأخذ بيدي فعدهن فيها، ثم قال: اتق المحارم تكن**

أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب» رواه الترمذي.

وكان ﵁ جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره، قال أُبي بنُ كعب: «إن أبا هريرة كان جريئًا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا نسأله عنها» رواه أحمد، وقال رجل لابن عمر ﵄: «إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، فقال ابن عمر: أعيذك بالله أن تكون في شك مما يجيءُ به، ولكنه اجترأ وجَبُنَّا».

انتفع الصحابة من علمه: ففي الصحيح عن نافع قال: «قيل لابن عمر: حديث أبي هريرة، إن من اتبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، الحديث، فقال أكثَرَ علينا أبو هريرة، فسأل عائشة فصدقته، فقال: لقد فرطنا في قراريطَ كثيرة» متفق عليه.

وكان أبو هريرة يدعو الناس إلى طلب العلم، فقد مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال يا أهل السوق ما أَعجزُكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقْسم وأنتم ها هنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه، قالوا وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يُقسم! فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى رأينا قوماً يُصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ» رواه الطبراني.

محبته للنبي ﷺ ظاهرة في تحديثه فكان يقول: «حدثني الصادق المصدوق خليلي أبو القاسم» رواه أحمد، ومرة يقول: «حدثني حبيبي

أبو القاسم ﷺ» رواه ابن حبان، وكان يبتدئ حديثه بحديث: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» متفق عليه، وقد يؤكِّد أحياناً صحة ما يرويه عن رسول الله ﷺ فيقول: «يشهد على ذلك لحمُ أبي هريرة، ودمُه» رواه أحمد، لأنه على يقين مما يقول، فقد سمع بأذنه، ووعى بقلبه، وذكر بلسانه.

وكان من عبادته أنه كان يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: ثلثاً يصلي، وثلثاً ينام، وثلثاً يدرس الحديث، ويقسم الليل هو وامرأته وخادمه أثلاثاً، يصلي هذا، ثم يوقظ هذا، ويتمثل هو وأهله قول الرسول ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته» رواه أبو داود.

وكان لأبي هريرة مسجد في مُخْدعه ـ أي مستودع بيته ـ، ومسجد في بيته، ومسجد في حجرته، ومسجد على باب داره، إذا خرج صلى فيها جميعاً، وإذا دخل صلى فيها جميعاً.

وصَّاه النبي ﷺ بثلاث، قال: «ثلاث أوصاني بهن خليلي ﷺ لا أدعهن أبداً: الوتر قبل أن أنام، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والغسل يوم الجمعة» رواه احمد.

وكان يكثر من التسبيح والتكبير في أطراف النهار والليل، وكان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، ويقول: أسبح بقدر ذنبي.

وما من أحد سمع به الا أحبه، قال أبو هريرة: «أما والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني الا أحبني»، وذلك أنه طلب من النبي ﷺ ذلك قال: «قلت: يا رسول الله! ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: اللهم حبب عُبيدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين، فما خُلق مؤمنٌ يسمع بي ولا يراني إلا أحبني» رواه مسلم.

واهتم ﷺ ببِرِّ بأمه: فقد فرح بإسلام أمه فرحا شديداً، وبقي وفياً لها، باراً بها، يخدمها كل حياته، ولم يفارقْها، حتى إنه لم يحج حتى ماتت لصحبتها.

رضي الله عن أبي هريرة، وعن بقية الصحابة.

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

أبو هريرة من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الصحابة في الحديث، ولم يكن أحد أكثر منه حديثاً إلا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال أبو هريرة رضي الله عنه عن نفسه: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب» متفق عليه، إلا أن ظروف عبد الله بن عمرو وتنقُّلَه مع أبيه بين الحجاز ومصر والشام، وعدمَ استقراره، وانشغالَه بالعبادة عن التحديث عن رسول الله ﷺ، أصبح ما رُوي عنه أقل مما روي عن أبي هريرة بكثير، حيث بلغت سبعَمائةِ حديث، مقابل مرويات أبي هريرة خمسةُ الاف وثلاثُمائة وأربعةُ وسبعون حديثاً.

هناك أسباب أعانت أبا هريرة رضي الله عنه في نشر الحديث، منها: ملازمته للنبي ﷺ ملازمةً تامة، حضراً وسفراً، يدور معه حيث دار، فقد تفرغ فيها للعلم والتحصيل، لا يشغله عنهما شاغلٌ من تجارة، أو زراعة، وهي ملازَمة لم تتيسر لعموم الصحابة.

وبسبب قوة حفظه، ونشره للحديث، وتفرغه له، و تأخر وفاته الى ما بعد سنة خمسين من الهجرة، وحاجةِ الناس إلى علمه، وكثرة الرواة عنه، وتنقله في الامصار كالشام والعراق والبحرين، رَوى عنه نحو ثمانية وعشرين من كبار الصحابة وصغارهم، كزيد بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، وأبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنهم، كما روى عنه وتتلمذ عليه مئاتٌ من التابعين رحمهم الله.

وامتاز أبو هريرة بالحكمة وسدادِ الرأي وبُعْدِ النظر، فلم يُحدِّث عن الفتن والملاحم قبل وقوعها، قال ﷺ: «حفظت عن رسول الله ﷺ جرابين: أما أحدهما فبثثته فيكم، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم هذا الحلقوم»، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: «في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين، فإن النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن التي تكون بين المسلمين، ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار، ولهذا لما كان مقتلُ عثمانَ وفتنةُ ابنِ الزبير ونحوُ ذلك، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم، وتهدمون البيت وغير ذلك، لقلتم: كذب أبو هريرة، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها ؛ لأن ذلك مما لا يحتمله رؤوسُ الناس وعوامُهم».

عاش أبو هريرة رضي الله عنه ثمانٍ وسبعين سنة، وتوفي سنة سبع وخمسين في العام الذي توفيت فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقيل: بعدها.

نِيل من أبي هريرة من أعداء الإسلام، لا لشخصه، وإنما لأجل السنة التي حفظها ووعاها ونشرها.

فرضي الله عنه وأرضاه.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

كعب بن مالك رضي الله عنه

غزوة تبوك أظهرت فضلَ من أنفق، وذَمَّ من أمسك، وصِدْقَ من أخلص، وقولَ من نافق، وقصةَ من تَخَلْف.

وكان أبرزهم خبراً، وأظهرهم شأناً، كعبَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه، إنه صحابيٌّ جليلٌ عُرف بأنه من شعراء رسول الله ﷺ، وكان من الثلاثة الذين يهاجون عن رسول الله مع حسانَ وابنِ رواحة، قال ابن سيرينَ: «فأما حسانُ فكان يذْكُر عيوبهم وأيامَهم، وأما عبدُ الله بنُ رواحة فكان يعيرهم بالكفر وترددهم فيه، وأما كعبُ بنُ مالك فكان يذكر الحرب فيقول: فعلنا ونفعل ويتهددهم».

وقد أسلمت قبيلة دوس فَرَقاً ـ أي خوفاً ـ من بيت قاله كعب بن مالك:

نُخيِّرها ولو نطقت لقالت قواطِعُهن دوساً أو ثقيفا

والنبي ﷺ قال لكعب: «ما نسي ربك بيتاً قلته»، وذكر أبو بكر تلك الأبيات، وهو رضي الله عنه أحدُ السبعين الذين شهدوا العقبة، وكان من أهل الصفة ـ وهم فقراء الصحابة، وعددهم سبعون ـ وكان النبي ﷺ يرعاهم، ولكعب بن مالك رضي الله عنه رواياتٌ عن رسول الله ﷺ تبلغ الثلاثين، اتُفِقا على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، وقد غزا مع النبي جميعَ الغزوات عدا بدرٍ ـ والرسول ﷺ لم يعاتب أحداً تخلف عنها، لأن الغزوة من غير ميعاد ـ وهو أول من عَرَف الرسول ﷺ يوم

غزوة أحد عندما انكشف المسلمون، فقد بشّر المسلمين بأن النبي ﷺ حيٌّ لم يُقتل، فدعا النبيُّ ﷺ كعباً بلأمته ـ وكانت صفراءَ ـ فلبسها كعب، وقاتل يومئذ قتالاً شديداً حتى جُرح سبعة عشر جرحاً.

وأهم ملامح حياته رضي الله عنه: ما ذكره الله في كتابه في سورة التوبة، وبيّن رسولُ الله ﷺ حدَثَها في قصة تخلفه في غزوة تبوك، وقد بوّب الإمام البخاري رحمه الله باباً في صحيحه سماه: «بابُ حديثِ كعب بن مالك، وقولِ الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]» وذكر القصةَ مطولةً مفصلةً، **ولنا أن نقف على أهم أحداثها:**

أولاها: أنه رضي الله عنه لم يكن تخلفه تخلفاً يجعله راكناً للراحة والدّعة، وإنما يغدو لكي يتجهز فيرجع، ولم يقض بشيء كما قال: «فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقُهم، ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت، ولقد هممت أن ارتحل فأدركهم، وليتني فعلت».

الوقفة الثانية: أنه لما تخلف ورأى حال الناس في المدينة حَزن قلبُه، ولم يكن مسروراً بتلك الحال، ولذا قال: «وكنت إذا خرجت في الناس يحزنني أني لا أرى لي إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء».

الوقفة الثالثة: أن النبي ﷺ لما سأل عن كعب بن مالك وهو في تبوك بقوله: «ما فعل كعب؟ ـ مع أن عدد الصحابة كثير حتى ورد أنه لا يجمعهم كتاب حافظ ـ قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله؛ حبسه بَرْداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله». وفي قول معاذ هذا ذب عن عرض كعب قال النبي ﷺ: **«من ذب عن عرض أخيه بالغيب، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»** رواه أحمد.

الوقفة الرابعة: لما قَفَل النبي ﷺ إلى المدينة ـ أي رجع ـ قال كعب رضي الله عنه حضرني بَثِّي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي ـ وهكذا من خالف أمرَ ربِّه وأمرَ رسولِه، فإنه يتقلب من هَمٍّ إلى هَمٍّ ـ ولذا قال كعب رضي الله عنه: وما من شيء أهمُّ إلي من أن أموت، فلا يصلي عليَّ رسول الله، أو يموت رسول الله فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي، ولا يسلّم.

الوقفة الخامسة: حُسْنُ تعامُلِ النبي ﷺ مع المخطئ، فحين جاء كعب بن مالك، وسَلَّم، تبسم النبي ﷺ تبسم المغضَب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي ما خَلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك، فقلت: بلى، إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سَخَطه بعذر، والله لقد أُعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتُك حديثَ كذبٍ ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديثَ صدقٍ تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «**أمَّا هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**».

الوقفة السادسة: أن النبي ﷺ نهى المسلمين عن كلام الثلاثة الذين تخلفوا عن هذه الغزوة، لِمَا في ذلك من زجرهم، حتى قال: فاجتنبَنا الناسُ وتغيروا لنا، حتى تَنَكَّرَتْ في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فكنت أخرج فأشهد الصلاة، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله، فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه،

وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوَه أعرض عني، وقد كانت مدة الابتلاء خمسين يوماً، وكان بعد الأربعين يوماً، أمر الثلاثة الذين تخلفوا باعتزال زوجاتهن.

الوقفة السابعة: طاعة الصحابة ﷺ لأمر الرسول بترك الكلام معهم، وذلك أنه لما طال على كعب بن مالك ﷺ جفوة الناس، قال مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ـ وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي ـ فسلمت، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أُحبُّ الله ورسولَه؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار.

الوقفة الثامنة: بعد موقفه مع ابن عمه خاصة، ومع الناس عامة، إذا بنبَطِيٍّ من أنباط الشام ممن يقدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد: فانه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلْك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فانظر كيف كان الابتلاء ومتى كان، وإذا بالمغريات تأتيه من مَلِكٍ من ملوك الدنيا، وإذا الإجابة تكون بقدر العزيمة فقال: والله هذا من البلاء أيضا فتيممت بها التنور فسجّرته بها.

وفقنا الله بالاستمساك بحبله المتين، ونهج صراطه المستقيم.

أقول قولي...

الخطبة الثانية

من وقفات سيرة هذا الصحابي الجليل: بعد أن مضى الحال على هؤلاء الثلاثة الذين خُلفوا خمسين يوماً، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، سمع كعبٌ صوتَ صارخ يقول: «يا كعبُ بنُ مالك أبشر، فخررت ساجداً ـ ولذا يستحب لمن بشر بخير أن يسجد لله شكراً ـ قال كعبٌ: وقد عرفت أنه قد جاء فرج، وآذنَ رسولُ الله بتوبة الله علينا، فذهب الناس يبشروننا وذهب قِبل صاحبي مبشِّرون، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرَهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت لرسول الله فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنؤنني بالتوبة، يقولون لتهنِك توبة الله عليك، قال كعب: فلما دخلتُ المسجد سلمت على رسول الله فقال: «أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك،قال قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله، قال كعب بن مالك من شدة فرحه: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله والى رسوله، قال رسول الله: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك».

ثم قال: إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، حتى قال: ما تعمدت ذلك لرسول الله إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت.

وأنزل الله في حالهم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبَة: ١١٧] إلى قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبَة:

١١٩]، فوالله ما أنعم الله علي نعمة قطُّ بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي لرسول الله أن لا أكون كذبته، فأهلَكُ كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شرَّ ما قال لأحد ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

ولك ان تقف وقفة مع حال هذا الصحابي الجليل، وأن الله نجاه بصدقه، فكن صادقاً مع ربك وصادقاً مع خلقه، والعبد لا يسلم من غوائل الشيطان ولكن بالتوبة تُمحى الذنوب، ومن صَدَق في التوبة نال الغفرانَ وتبديلَ السيئات، فإن الغامدية لما تابت قال النبي ﷺ: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من على أهل المدينة لوسعتهم**» رواه مسلم، والله يحب التوابين، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار.

وفقنا الله للقول السديد، والفعل الرشيد.

صلوا وسلموا..

❖ ❖ ❖

ذكر خبر فرعون

قص الله في القرآن الكريم، قصصاً متنوعة، تمثل الصراع بين أهل الإيمان وأهل الكفر، بين الحق والباطل، وذَكَر قصصَ الأنبياء والمرسلين، وأعمالَ الطغاةِ الظالمين، على اختلاف وسائلها، وتنوع أساليبها، وتعدد أسبابها، وتباين قدراتها، ولكن نهايتها واحدة في جميع الأحوال، قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ونحن اليوم نقف وقفات مع أحداثٍ عِظام مرت على نبي الله موسى عليه السلام حيث عانى أشد المعاناة مع رجل لم يمر في التاريخ مثل صنيعة، إنه فرعون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن المعلوم أن قصة موسى عليه السلام وما جرى له مع فرعون وغيرِه، أعظمُ وأشرفُ من قصة يوسفَ بكثيرٍ كثير، ولهذا هي أعظم قصص الأنبياء التي تذكر في القرآن، ثنَّاها الله أكثر من غيرها، وبسطها، وطوَّلها أكثر من غيرها».

وقد ذكر الله قصته في كتابه المجيد مفصّلة وموجزة، لنأخذ منها الدروس والعبر، **ولنا فيها وقفات:**

الوقفة الأولى: أن مشيئة الله نافذة على كل أحد ـ الملكِ والمملوكِ، والصغيرِ والكبيرِ، والذكرِ والأنثيِ، والغني والفقير ـ، حيث قدّر الله لموسى عليه السلام ـ ما يخشاه فرعون من زوال ملكه ـ أن يعيش في قصر فرعون، يشرب من شرابه، ويطعم من طعامه، ويلهو في قصره، وكان قبل ذلك يقتل الولدان كلَّهم، لِمَا أُثر في كتب أهل زمانه أنه ستخرج من ذرية إبراهيم عليه السلام من يكون هلاك مُلكِ مصرَ على يديه،

وقيل: لرؤى رآها فرعون، ولكن لا يغني حذر من قدر، والله غالبٌ على أمره، ومتمٌّ نوره ولو كره الكافرون.

الوقفة الثانية: أن الله بعث موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه، وقد بلغ فرعون في الطغيان مبلَغه، وادعى لنفسه الربوبية، فقال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القَصَص: ٣٨]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٩]، ووصف الله حاله: ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [يُونس: ٨٣]، ووصفه الله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القَصَص: ٤]، فبعث الله موسى عليه السلام وهو صفوة خلقه في ذاك الزمان إلى أردأ خلقه فرعون، فدعاه موسى وهارونُ بأجمل عبارة، وألطف كلمة، عملاً بقول الله لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وهكذا خطاب الداعي تُزيّنه الحكمة والموعظة الحسنة، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النّحل: ١٢٥].

الوقفة الثالثة: أن فرعون حين ادَّعى الربوبية لم يستطع مواجهة موسى وهارون عليهما السلام بها، حيث قال لقومه: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩] زاعماً أنه لا يعرفه، وأنه لا يعلم لهما إلهاً غيرَ نفسه، كما قال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القَصَص: ٣٨]، وهذا تجاهُلُ عارفٍ بأنه عبدٌ مربوبٌ لرب العالمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسرَاء: ١٠٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النَّمل: ١٣-١٤]، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، فألقمة الحجة، فلم يملك فرعونُ أيَّ مناقشة لهذه

الإجابة، فانتقل مباشرة للسؤال الثاني: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طـه: ٥١-٥٢]، ثـم ذكـر مـوسـى ﷺ لفرعون الآياتِ الدالةِ على كمال قدرة الله ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣].

الوقفه الرابعة: أن الله ﷻ لم يعذر قومَ فرعون في طاعتهم المُطْلقةِ له حين قال لهم: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، لذا قال: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [الزّخرُف: ٥٤] أي: خارجين عن طاعة الله، بل قال عن موسى ﷺ ودعوته: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، ولو اتبعوا دعوة موسى لنجوا من عذاب الله، ولكن اتبعوا أمر فرعون: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هُود: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩]، و﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]، وعند دخول النار فإن فرعون يَتقدّم قومَه لدخولها ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۞ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هُود: ٩٨-٩٩]، والنار يعرضون عليها صباحاً ومساء قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

الوقفة الخامسة: أن من أعظم ما يستعين به المسلم في شؤون حياته الدعاء، حيث دعا موسى ﷺ ربه حين أمره بدعوة فرعون فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥-٢٦]، وموسى ﷺ لم يتّكِلْ على

قوة بدنه فحسب، بل دعا الله والتجأ إليه، وإلا موسى عليه السلام وهبه الله قوة في البدن، ذكرها الله في حالة قتل الفرعوني: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القَصَص: ١٥]، ورفع صخرةَ ماءِ مدين لتسقيَ منه المرأتان، وكان رفعه لها وحْدَه، قال ابن كثير رحمه الله: «ولا يطيق رفعها إلا عشرةُ رجال، وفيه من قوة القلب ما جعله يفقأ عين ملك الموت كما في الصحيحين حين جاءه في صورة بشر» ومع كل ذلك دعا موسى عليه السلام ربه أن ييسر له المهمة، فخاف على نفسه فطمأنه الله ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٥-٤٦]، فدارت رحى المحاجة، وأُلقمت الحجة، وبلّغ البلاغ المبين، ولم يتطاول فرعون على موسى عليه السلام بأذى، لا بقول ولا بفعل، حيث معية الله الخاصة لأنبيائه عليهم السلام نصراً وتأييداً، وكذا حَفِظ نبيَّنا محمداً ﷺ وصاحبَه في الغار حين قال النبي ﷺ لأبي بكر ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التّوبَة: ٤٠].

حفظنا الله بحفظه، وتولانا برعايته..

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ومن الوقفات: أن الله أيد نبيه موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات، قال سبحانه: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمعجزات دليل على إثبات الخالق وعلى صدق رسوله، كما كان إظهار موسى للآيات ـ مثل العصا، واليد ـ دليل على الصانع وصدق الرسول» لكنَّ فرعونَ وقومَه تطاولوا على موسى عليه السلام فكان صنيعهم أنهم: ﴿مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٧]، فأرسل الله عليهم صنوفاً من الابتلاء، قال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وكان من تطاوله على كليم الرحمن موسى عليه السلام أن قال متهكماً: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]، وقال محقِّراً لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤]، فلم تنفعهم هذه الآيات والبراهين في قبول الحق وقد بالغوا في الكفر والعناد والاستهزاء بموسى عليه السلام: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

ومن الوقفات: لما بلَّغ موسى عليه السلام فرعونَ وقومَه، أوحى الله لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] أي: تكون بيوتهم مميزة عن بيوت الأقباط، ليكونوا على استعداد للرحيل إذا أُمروا، وأن يكثروا من الصلاة فيها، ليستعينوا على ما هم فيه من الشدة والكرب كما قال سبحانه: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وكان النبي ﷺ: «**إذا حزبه أمر**

صلى» رواه أبو داود، ثم دعا كليم الله على فرعونَ وقومِه بقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يُونس: ٨٨].

فأوحى الله لموسى عليه السلام بالخروج: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٢]، وتبعهم فرعونُ وجنودُه ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٠]: عند طلوع الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١] أي: رأى كلٌّ من الفريقين صاحبه، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١] وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى البحر، فصار البحرُ أمامَهم، وفرعونُ وجنودُه خلفَهم، ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٢] فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٣].

فجعل الله البحرَ المتلاطمَ الأمواج براً يابساً يسير عليه موسى ومن معه: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]، قيل: انفلق اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق يسيرون فيه، من غير خوف من أن يدركهم فرعون، أو أن يغرَقوا، فلما خرجوا منه متكاملين ولحقهم فرعونُ وجنودُه ودخلوا فيه متكاملين، غشيهم من اليم ما غشيهم، فجعل الله نجاة موسى ومن آمن معه وهلاك فرعون وجنده آية: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٥-٦٧].

وفي هلاكِ فرعونَ آيةٌ وعبرة، فقد هلك بما كان يفتخر به بقوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ﴾ [الزّخرُف: ٥١]، قال الله في هلاكه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يُونس: ٩٠]، وكان في هلاكه عبرة، لأهل زمانه قال الله عز وجل ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ﴾ [يُونس: ٩٢]، فخرج عدو

الله فرعون الى مكان هلاكه تاركاً النعيم والمقام الكريم، قال سبحانه: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٧-٥٨]، وانتقلت النِّعمُ منهم إلى بني إسرائيل: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٥٩]، فأنزلهم الله منزلاً مرضياً، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القَصَص: ٥-٦].

وقد فعل تعالى ذلك بهم، وهذا حكم الله في الظالمين ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزّخرُف: ٥٥].

اللهم انصر دينك، وكتابك، وأعل كلمتك.

نفعنا الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبما فيه من الدروس والعبر.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

قصـــة قـــارون

تكفل الله بأرزاق خلقه، قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هُـود: ٦]، وقسم الأرزاق بين عباده فبسط لمن شاء، وقدّر لمن شاء، وكلُّ ذلك بعدله وحكمته، قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾ [الرّعد: ٢٦]، وقد ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم قصة رجل أعطاه الله مالاً وافراً، وأسبغ عليه صنوفاً من زينة الحياة الدنيا، ولكنه طغى وتكبر، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة، قال الله ﷻ عن حاله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۞ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۞ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: ٧٦-٨٣].

في هذه الآيات الكريمات مشاهدُ وعبرٌ متنوعة، تُجْمِل حياةَ قارون، وقَدْرَ مالِه، وذِكرَ حالِه، ونصيحةَ قومِه، وعاقبةَ أَمرِه، **ولنا فيها وقفات:**

الوقفة الأولى: أن قارون كان ابنَ عمِّ موسى، وقيل: عمُّ موسى، وكان يسمى المنوّر، لحسن صوته بالتوراة، قال البغوي رحمه الله: «لم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون، فأهلكه البغي لكثرة ماله»، وهذه القرابة لا تغني صاحبها من الله شيئاً، فنبينا ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] قال: **«يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب! لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله! لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله! سليني ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً»** متفق عليه.

فلم تنفع قارونَ قرابتُه من موسى من عذاب الله، ولم يَثْن موسى عليه السلام في الدعوة والبلاغ مع تكبر أقرب الناس لدعوته، فعلينا أن نسأل الله دوماً الثبات على دينه، وكان من دعاء النبي ﷺ: **«اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك»** رواه مسلم.

الوقفة الثانية: أن قارون بغى على قومه، قيل: بظلمه لهم، أو تسلطه عليهم، وقيل: بغى عليهم بكثرة ماله،وقيل: زاد في طول ثيابه شبراً، والنبي ﷺ قال: **«لا ينظر الله يوم القيامة من جر ثوبه خيلاء»** متفق عليه، وقيل: إنه بغي عليهم باستخفافه بالفقراء، فلم يُعطهم حقَّهم مع كثرة أمواله، وقد نهى الله عن البغي في كتابه الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النَّحل: ٩٠] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ الآية [الأعرَاف: ٣٣].

فمن طغى وتجاوز الحد فإنما يذوق وبال أمره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يُونس: ٢٣] أي: إنما يذوق وبال هذا البغيَّ أنتم أنفسُكم، ولا تضرون به أحداً غيرَكم، فكانت نهايةُ طغيانه وبغيهِ معجلةً له في الدنيا قبل الآخرة، قال النبي ﷺ: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا، مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم**» رواه أبوداود.

الوقفة الثالثة: أن الله سبحانه: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البَقَرَة: ٢١٢]، فقد أعطى قارون مالاً وفيراً يُضرب به المثل، حتى إن مفاتح خزائنِه يَثقلُ حَمْلُها على الفئامِ من الناس، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلاً أقوى ما يكون من الرجال»، وقد وصف الله ثقل مفاتيح الخزائن: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القَصَص: ٧٦]، والمال إذا كان بيدِ مَن أحسن العملَ به في طاعة الله فهو الصالح، قال النبي ﷺ: «**نعم المال الصالح للمرء الصالح**» رواه الإمام أحمد، وعندما أتى عثمان بألف دينار في تجهيز جيش العسرة قال النبي ﷺ: «**ما ضر عثمانُ ما عمل بعد اليوم ـ مرتين ـ**» رواه الترمذي.

الوقفة الرابعة: أن نصيحةَ أَهلِ العلم واجبةٌ لعموم الناس دَلالةً وهداية، فقد وعظه الناصحون، وأرشدوه إلى ما فيه صلاحُ دنياه، وفلاحُ آخرته، فأولُ هذه النصائح، قالوا: لا تفرح، أي: لا تفرح فرحاً يوصلك للبطر، فتفخر على غيرك بما وهبك الله من مال.

وأرشدوه إلى أنّ هذا الفرحَ مذمومٌ عند الله تعالى، لأنه يُميت النفسَ عن الاهتمام بأمور الصالحات.

وبيَّنوا له أن غاية المال ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾

[القَصَص: ٧٧]، فيكونُ همك واهتمامك لتحصيل الثواب والنجاة من العقاب، والدارُ الآخرةُ هي خير وأبقى.

وأوضحوا أن المال لا يمنع أن يكون في استعمالات مباحة بقولهم: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القَصَص: ٧٧]، فتناولْ بِمَالك ما أحل الله لك بالملاذِّ الطيبةِ الحلال، قال الحسن رحمه الله: «ما أحل الله لك منها فإن لك فيها غنى وكفاية».

وذكّروه بالإحسان للخلق كما أحسن إليه الخالق، ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القَصَص: ٧٧] بالصدقة والبذل والعطاء للمحتاجين.

وحذروه من الفساد في الأرض، فالله لا يحب المفسدين، ولا يرضاه لعباده.

فما كان جوابُه لهذه النصيحةِ الفصيحة، إلا أن: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القَصَص: ٧٨] أي: لا أحتاج إلى استماع ما ذكرتم، ولا إلى ما إليه أشرتم، فإن الله أعطاني هذا لِعلمِه أني استحقه، وأني أهل له، ولولا أني حبيبٌ إليه لمّا أعطاني ما أعطاني، ولم يعلم: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القَصَص: ٧٨].

فاللهُ أهلك من الأمم الماضية بذنوبهم وخطاياهم من هو أشدُّ من قارون قوة، وأكثرُ مالاً وولداً، فلو كانت مقولةً صحيحةً لم نعاقب أحداً ممن كان أكثر مالاً منه، ولم يكن مالُه دليلاً على محبتنا له، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سَبَإ: ٣٧].

نسأل الله أن يثبتنا على دينه حتى نلقاه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ذكر الله من حال قارونَ أن خرج على قومه في زينته، وتجمُّلٍ عظيم من الملابس والمراكب والخدم، فلما رآه من يعظّم الحياة الدنيا، تَمنّوا أنْ لو كانوا مثلَه، وغبطوه بما وهبه الله، فلما سمع مقالتهم العلماءُ قالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القَصَص: ٨٠]، فإن ثواب الله في الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى، ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القَصَص: ٨٠]، فكانت نهاية بغيه وطغيانِه أن ذكر الله لنا كيفية هلاك قارون، فقال ﷻ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القَصَص: ٨١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة، فجمعهم قارون فقال لهم: جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها، فتحملوا أن تعطوه أموالكم، فقالوا: لا نحتمل أن نعطيه أموالنا فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي بني إسرائيل، فنرسلها إليه، فترميه بأنه أرادها على نفسها، فدعا موسى عليهم، فأمر الله الأرض أن تطيعه، فقال موسى للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى، ثم قال للأرض: خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى، فقال للأرض: خذيهم، فأخذتهم فغيبتهم، فأوحى الله إلى موسى: يا موسى! سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم، قال ابن عباس: وذلك قول الله ﷻ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ [القَصَص: ٨١]، خسف به إلى الأرض السفلى» رواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين.

بعد إهلاك الله له، قال الله: ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القَصَص: ٨١]، ولما حَلَّ به ما حلَّ من الخسف والدمار والهلاك، ندم من كان تمنى مثل ما أوتي قارون، وشكر الله تعالى الذي يدبر عباده بما شاء من حسن تدبير، ولهذا قالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القَصَص: ٨٢].

ثم أخبر الله تعالى أن الدار الآخرة هي دار القرار، وهي الدار التي يُغبَط من نالها، ويُعَزَّى من حُرمها، وهي مُعَدَّة ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: ٨٣].

ثم اعلموا أن الله ذكر مذمة قارونَ في غيرِ آية من القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤]، وقال النبي ﷺ حين ذكر الصلاة يوماً: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً، ولا برهاناً، ولا نجاة، ويأتي يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبيٍّ بنِ خلف**» رواه أحمد.

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

يوم عاشوراء

ذكر الله في كتابه الكريم جملة من قصص أنبيائه عليهم السلام، قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، ومِن أكثر قصص القرآن الكريم قصةُ موسى عليه السلام، فقد أرسله الله إلى قومه، قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، وأرسله إلى طاغية زمانه فرعون وملائه، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [هود: ٩٦-٩٧]، فآمن من قومه من آمن، واستكبر فرعونَ وجنوده عن قبول الحق، وصدوا الناسَ عن دعوة موسى عليه السلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فرعون من أكفر الخلق بالله؛ بل لم يقصَّ الله في القرآن قصةَ كافرٍ باسمه الخاصِّ أعظمَ من قصة فرعون، ولا ذكر عن أحد من الكفار ـ من كفره وطغيانه وعلوه ـ أعظمَ مما ذكر عن فرعون»، فقد نصب فرعون العِداء لبني إسرائيل ـ وهم خيار أهل الأرض، من سلالة نبي الله يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم، ـ بالذبح والاستعباد، وذلك لرؤيا رآها فرعون، أو لما يتدارسونه فيما بينهم مما يُؤثَرَ عن إبراهيم عليه السلام، أن سقوط ملكه على غلامٍ من بني إسرائيل، فقام بذبح الغلمان واستحياء النساء، قال تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القَصَص: ٤]، وبعد زمن من صنيع فرعون شَكَتْ الأقباطُ قِلة الولدان عند تفاني الكبار، فأمر بالقتل عاماً وبالعفو عاماً.

ويقدر الله أن يولد موسى عليه السلام في العام الذي يَقتل فيه فرعونُ الغلمان، فأوحى الله إلى أم موسى ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، ثم بدأت مرحلة النشأة في دار فرعون حين التقطه آل فرعون ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وألقى الله على موسى عليه السلام محبة الناس له، قال تعالى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩] فما أحد رأى موسى إلا أحبه، وشفعت زوجة فرعون لموسى عليه السلام فقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، وبعد التقاط آل فرعون لموسى ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ [القصص: ١٠] أي: من أمور الدنيا إلا من موسى عليه السلام، وأوصت ابنتها لتتبَّع أثره، فجعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده، وَحرَّم الله المراضع على موسى عليه السلام، فقالت أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]، فلما أتوا به إلى أمه أرضعته فارتضع، واجتمع شمله بشملها، وهذا مصداقٌ لقول الله تعالى ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: ١٣].

وبعد أن بَلَغَ أشدّه دارت أحداثٌ جعلته يتوجه تلقاء مدين، ثم مكث فيها زمناً، ثم خرج منها، وفي طريق عودته ـ وكان مسيره في ليلة باردة وتاه مع زوجته الطريق ـ آنس من جانب الطور ناراً، فقال لأهله: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧] قال ابن كثير رحمه الله: «أتاهم منها بخبرٍ وأيِّ خبر، ووجد عندها هدى وأيَّ هدى، واقتبس منها نوراً وأيَّ نور»، وكلَّمه الله وأراه الله آية عظيمة، وهي ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١].

وأمره الله بدعوة فرعون حيث ادعى الربوبية فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القَصَص: ٣٨]، فدعا موسى عليه السلام ربه فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي * وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]، ودارت المحاورة مع فرعون بقوله ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ * قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٣-٢٨]، وأعطاه الله تسع آيات عظيمات ـ وهي: العصا، واليد، وأخذهم بالسنين وهي القحط، ونقصٍ من الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم ـ قال سبحانه ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ﴾ [الزّخرُف: ٤٨]، وظن فرعون أن ما جاء به موسى من قبيل السحر، فقال ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ * فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى * قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ [طه: ٥٧-٥٩].

فجمع فرعون السحرة من أنحاء بلاده في يوم عيد، واجتمعوا في أول النهار، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعرَاف: ١١٣-١١٤]، فوعظهم موسى عليه السلام وقال ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]، لكن السحرة تواصوا فيما بينهم ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ * فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٣-٦٤] وبدؤوا بتخيير موسى إما أن يلقى وإما أن يُلقوا ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ * فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ * قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ * وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ

أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٦-٦٩]، فانكشفت الغمة ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨-١١٩]، فعلم السحرة أن هذا الصنيع ليس إلا من الآيات العظيمة التي لا يقدر عليها البشر، ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٠-١٢٢].

فاشتد غضب فرعون وتوعدهم فقال ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]، فلم يستجيبوا لتهديده، بل ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۞ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٢-٧٣]، وبعد إسلام السحرة قال أهل الرأي والمشورة لفرعون: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] فطمأن موسى عليه السلام قومه ووعظهم بقوله: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وأوحى الله إلى موسى وأخيه ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]، ليكونوا على أُهبة الرحيل اذا أُمروا، ودعا موسى على فرعون لما تكبر وصد عن سبيل الله ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۞ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٨-٨٩]

وأوحى الله لموسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل، ولحقهم فرعون بجنده فأدركهم عند شروق الشمس، وتراءى الجمعان، وعاين كل من الطرفين صاحبه، فقال أصحاب موسى ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦١]، حيث البحر من جهة، وجند فرعون من جهة، ولم يبق لهم طريق في الخلاص،

فقال موسى عليه السلام وهو الواثق بربه ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٢]، فأوحى الله لموسى عليه السلام ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٣]، وقال الله لموسى مطمئناً له: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] أي: فلا تخشى من إدراك فرعون لك، ولا من البحر أمامك.

فَعَبَر موسى عليه السلام ومن معه البحر، فلما اكتملوا خارجين ولحقهم فرعونُ وجنودُه في البحر متكاملين أطبق الله عليهم البحر، قال سبحانه: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۞ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٦٥-٦٦]، فلما أوشك فرعون على الهلاك، وأيقن الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] وفي قوله هذا: ثلاث عبارات أقر فيها بأنه لا اله إلا الله، أولها: ﴿ءَامَنتُ﴾، وثانيها: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، وثالثها: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، فلم يُقبل إيمانه حين لا ينفع بمعانية الموت، لأنها لدفع بلية ولم يكن فيها إخلاص، ولو كان في حال رخاء لقُبلت منه الكلمة الواحدة، ولذا قال الله: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، وشكّ بعض بني إسرائيل في غرق فرعون حتى قال بعضهم: لا يموت! قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فأمر الله البحر فرفعه على مرتفع، وقيل: على وجه الماء، وقيل: على نجوة من الأرض، وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه، ليتحققوا بذلك من هلاكه، ويعلموا قدرة الله عليه». قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والله ثنَّى قصة فرعون في القرآن في غير موضع؛ لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها، فإنه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والإلهية والعلو ما لم يحصل مثلُه لأحد من المعطِّلين، وكانت عاقبته إلى ما ذكر الله تعالى».

رزقنا الله وإياكم لزوم صراط الله المستقيم، وثبتنا على الحق حتى نلقاه.

الخطبة الثانية

في العاشر من شهر الله المحرم، قدر الله لطاغية زمانه أن يموت غرقاً في البحر، يراه بنو إسرائيل ترفعه الأمواج، وتخفضه تارة، وكان غرقه بما كان يفتخر به ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزّخرُف: ٥١]، ونجى الله بدنه ليكون عبرةً لغيره ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يُونس: ٩٢].

فكان هلاكه نصراً للحق، ودحراً للباطل، فصامَه موسى شكراً لله، وكانت العربُ قبل الإسلام تصومه أيضاً، قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: «وإن قريشاً كانت تصوم يومَ عاشوراءَ في الجاهلية، ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فُرِض رمضان، وقال رسول الله ﷺ: **من شاء فليصمه، ومن شاء أفطر**» متفق عليه.

ورغَّب النبي ﷺ في صيامه وقال: «**إنه يكفر السنة التي قبله**» رواه مسلم، ويستحب صيامُ يومِ التاسع مع العاشر، قال النبي ﷺ: «**لأن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**» رواه مسلم، وفي صيام شهر الله المحرم مزيةٌ وفضلٌ، قال النبي ﷺ: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم**» رواه مسلم.

فهذا اليوم يومُ شكرٍ لله حيث مُكِّن لأهل الحق بالظهور في الأرض، لا يومُ أحزان ومصائب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما اتخاذُ أمثالِ أيام المصائب مأتم، فليس من دين الله، بل هو إلى دين الجاهلية أقرب، ثم هم قد فوّتوا بذلك ما في صومِ هذا اليومِ من الفضل».

فهذا الشهر هو من أشهر الله الحرم، وإضافته إلى الله إضافة تشريف وتعظيم، وفي صيامه فضل، قال النبي ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم**» رواه مسلم. أظهر الله فيه موسى ومن معه، وأزهق فيه فرعونَ وجنودَه.

عمر الله قلوبنا بالإيمان، وختم لنا بخاتمة الإيمان.

هذا وصلوا وسلموا على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه.

❖ ❖ ❖

الغـــزوات

عوامل النصر

بعث الله نبيَّه محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧]، فحاله في السِّلم يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي الحرب لا يقاتل إلا من يقاتله.

وحين أرسل عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه إلى خيبر قال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك من حُمُر النَّعم**» رواه مسلم.

ولما بعث أبو بكر رضي الله عنه جيشاً إلى الشام، خرج يتبع يزيد بن أبي سفيان، وقال له: «إني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربنَّ عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن» رواه مالك، وقد: «**نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان، حين وُجدت امرأة مقتولة في بعض المغازي**». متفق عليه.

وهذه الأمة أمةٌ منصورةٌ من ربها، موعودةٌ بالتمكين والاستخلاف في الأرض بوعد الحق الذي لا يُخْلَف في آيات كثيرة من القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

وهناك عواملُ للنصر ذكرها الله في كتابه وبيّنها رسولُه ﷺ عند ملاقاة الأعداء، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آدابَ اللقاءِ وطريقَ الشجاعةِ عند مواجهة الأعداء».

أولُها: ثبات القلب والبدن وكلاهما متلازمان، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾ [الأنفال: ٤٥]، فثبات القلب يكون بما وعد الله به المجاهدَ في سبيله إما بالنصر أو الشهادة، وثباتُ البدن قال سبحانه عنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]، والله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فيدل على ثبات القلب والبدن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشجاعة ليست هي قوةَ البدن، فقد يكون الرجل قويَّ البدن ضعيفَ القلب، وإنما هي قوةُ القلب وثباتُه، فإن القتال مداره على قوة البدن،وصَنْعتِه للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به».

ثانيها: ذِكْرُ الله، ففيه راحة القلب واطمئنانه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، وفي حال لقاء العدو أَمَرَ الله بذكره لأن فيه ثباتَ القلب على اليقين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وفيه تقويةٌ للقلوب، ووصولٌ لحصول النصر على العدو المرهوب.

ثالثها: طاعةُ الله ورسولِه ﷺ مقرونةٌ في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: ٩٢]، وفي هذا الموضع والحال قال سبحانه مُذِّكراً عباده بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦]، فطاعة الله ورسوله ﷺ هي الفوز بخيري الدارين قال سبحانه:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النُّور: ٥٢].

رابعها: اجتناب النزاع والشقاق، قال الله محذراً من ذلك: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفَال: ٤٦]، بل أمر سبحانه بالاعتصام بحبله المتين، فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣]، وحذر النبي ﷺ من الاختلاف والفُرقة فقال: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» رواه أبو داود، ففي التنازعِ واختلافِ الكلمة يفشل العمل، ويزيد الوهن، ويقوى العدو.

خامسها: التوكل على الله هو دأب عباد الله المخلصين، قال سبحانه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٠] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطَّلَاق: ٣]. قال القرطبي رحمه الله: «من فوض اليه أمره كفاه ما أهمَّه».

سادسها: الصبر وهو دائم في كل حال، ويتأكد عند نزول المحن والمصائب، قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفَال: ٤٦]، وأخبر الله أنه معهم بنصره وتأييده، وأن الفئة المؤمنة تغلب مثليها من الكفار إذا كانت صابرة، فقال: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفَال: ٦٦]، وقد أمر الله بالصبر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ الآية [آل عِمرَان: ٢٠٠]، قال النبي ﷺ في الحديث: «**واعلم أن النصر مع الصبر**» رواه الترمذي، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قام يوم الأحزاب في الناس فقال: «**يا أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**».

سابعها: الدعاء، ويتأكد في حياة المسلم دائماً وأبداً في شدته ورخائه، قال النبي ﷺ: «**من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب؛ فليكثر الدعاء في الرخاء**» رواه الترمذي، وفي بدر دعا النبي ﷺ ربَّه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، كفاك مناشدتُك ربَّك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] ومعنى مردفين: أي متتابعين، وقيل: إن وراء كلِّ مَلَكٍ مَلَكٌ. قال الربيع بن أنس: «إن الله أمدهم بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف». وقال أنس رضي الله عنه إذا غزا النبي ﷺ قال: «**اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل**» رواه ابوداود، وكان من دعائه ﷺ: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**» متفق عليه.

ثامنها: اليقين الكامل بنصر الله، فهو أحد عوامل النصر المهمة، ففي غزوة الأحزاب وقد رمتهم العرب عن قوس واحدة بَشَّر النبي ﷺ أصحَابهَ بفتح بلادِ فارسٍ والروم، كما بشر في حادثة الهجرة بفتح بلاد فارسٍ حين قال لسراقة بن مالك: «**كأني بك قد لبست سواري كسرى**»، وكما طمأن صاحبَه الصدِّيقَ رضي الله عنه وهما في الغار بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

تاسعها: تقوى الله والإحسانُ في عبادته؛ لأنه سبحانه قد وعد من اتقاه بأن ينصره على عدوه وينالَ المعية الخاصة له من الله المقتضيةَ للنصر والتأييد، قال الله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]، فالمعاصي سببٌ لخذلان الله للعبد أحوجَ ما يكون إليـــه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء، والصبرِ على مبارزتهم، فلا يفروا، ولا ينكُلوا، ولا يجبُنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال، ولا ينسوه، بل يستعينوا به، ويتوكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسولَه في حالهم ذلك، فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا، وقد عاب تعالى على اليهود تشتت قلوبهم عند القتال في قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحَشر: ١٤]، وامتدح المؤمنين في قتالهم بوحدتهم ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤]».

هذه أبرز عوامل النصر، ومتى زالت أو بعضُها، زال من النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قَوَّى بعضُها بعضاً، وصار لها أثر عظيم في النصر، ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم، وفتحوا الدنيا، ودانت لهم البلاد، ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت، آل الأمر إلى ما آل.

اللهم انصر دينك، وكتابك، وعبادك الصالحين.

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

معيار نصرة الله لنبيه ﷺ وأصحابه ﵃ ليست بالكثرة ولا بالعتاد، فحين قالوا يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة أصاب المسلمون ما أصابهم قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التّوبَة: ٢٥].

فمقياس النصر هو الإيمان والتقوى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩]، كما أن النصر بيد الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٣]، والنصر على الأعداء مربوط بنصرة العباد لدين الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محَمَّد: ٧]، وقال أيضاً: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧]، وقال عن الأنبياء والمرسلين ﵈ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧١-١٧٣].

ونصر الله قريب من عباده المؤمنين، قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ٢١٤]، فمهما حدثت الشدة والأذى إلا أن الله قوي سميع بصير، يورث الأرض لعباده الصالحين: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٥]، وقال عن رُسله ﵈: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤].

فما أَحدٌ تمسك بحبل الله إلا عز ونصر، وما من أحد فرَّط واعتمد على قوته وعتاده إلا ذل.

اللهم انصر عبادك المؤمنين، واجمع كلمتهم على الحق والدين.

غزوة بدر

بعد الهجرة النبوية المباركة، نزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، قال أبو بكر رضي الله عنه: «فعرفت أنه سيكون قتال»، وقد كانت قريش آنذاك في تهديد مستمر للمسلمين وهم في المدينة، وتوعدوهم بقولهم: «لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم، ونبيد خضرائكم في عقر داركم»، وقد كان النبي ﷺ حَذِراً فلا ينام إلا بحراسة، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «**يا أيها الناس: انصرفوا فقد عصمني الله**» رواه الترمذي، وهذا الخطر ليس خاصاً بالنبي ﷺ، بل لكل الصحابة رضي الله عنهم، قال أُبَيٌّ رضي الله عنه في وصف حالهم: «إنهم لا يَبِيْتون إلا بالسلاح، ولا يُصْبحون إلا عليه».

وكان مما أراده النبي ﷺ أن يكون هناك حصار اقتصاديٌّ على قوافلَ قريشٍ المتجهةِ للشام، وهي ظاهرة لدى قريش من خلال قول سعد ابن معاذ لأبي جهل عندما أراد العمرة: «لئن منعتني من أن أطوف، لأقطعن متجرك بالشام ـ أي تجارتك ـ ».

وبعد نزول الإذن بالقتال عقد النبي ﷺ معاهداتٍ مع القبائل المجاورة لطريق تجارة قريش، وبعث بعوثاً وسرايا إلى هذا الطريق، لبسط نفوذ المسلمين عليه، لإظهار قوتهم وحصار تجارة مكة، كلُّ ذلك قبل غزوة بدر الكبرى، فأرسل النبي ﷺ أربع سرايا: سيف البحر،

وسرية إلى رابغ، والخرَّار، وسرية نخلة وشارك النبي ﷺ بأربعِ غزوات: غزوة الأبواء، وبواط، وسفوان، وذي العشيرة وهي الغزوة التي فيها أموال قريش، ولكن فاتت قبل وصول المسلمين لها بأيام، وهذه العير التي خرج بطلبها النبي ﷺ حين رجعت من الشام، صارت سبباً لغزوة بدر الكبرى.

هذه الغزوات والسرايا لم يكن هناك فيها قتال مباشر، إما أن تنتهيَ بالتفرق دون قتال، أو بمعاهدة بين الطرفين، أو رمي بينهما، أو تكون العِيْرُ مَرَّت قبل وصول المسلمين، باستثناء سرية نخلة وكانت مُهْمة السرية رصدَ عير قريش وقد قُتل فيها عمرو بن الحضرمي، وأفزع مقتلُه قريشاً، فعلموا أن المسلمين يترقبون قوافلهم التجارية.

ثم أنزل الله سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البَقَرَة: ١٩٠]، وأعقبها نزولُ قول الله ﷻ مبيناً طريقةَ القتل: ﴿إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [محَمَّد: ٤].

هذه الأحداث السابقة بدأت من رمضان من العام الأول من الهجرة، إلى شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة ـ: أي خلال تسعة أشهر انطلقت ثمانيةُ سرايا أو غزوات، بمعدل غزوة أو سرية في كل شهر، عدا الأشهرِ الحرم ـ.

وكان القصد من بعث هذه السرايا والغزوات إرباكَ قريش، وإظهارَ قوة المسلمين، ومعرفتَهم بطرق المنطقة، وبعد شهر من آخر سرية ـ وهي سرية نخلة ـ أتى الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، فتطلعت معنويات المسلمين لتطهير قبلتهم من رجس المشركين.

وفي شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، سمع النبي ﷺ بأبي

سفيانَ مقبلاً من الشام بتجارة قريش، وقال هذه عيرُ قريش فيها أموال، فاخرجوا إليها لعل الله أن يُنفّلكُموها، وقيل: إن هذه الأموال جزء منها للمهاجرين المسلمين من أهل مكة استولت عليها قريش ظلماً وعدواناً.

خرج النبي ﷺ ولم يستنفر كلَّ الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره حاضراً، ولم يأذن لمن أراد أن يأتي بظهره من علو المدينة، ولذا لم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلف عنها، وكان عددهم يزيد عن الثلاثمائة والثلاثةَ عشرَ رجلاً بقليل، معهم فَرَسان، وسبعون بعيراً، يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد.

علم أبو سفيان بالأمر وحَوّل طريقه باتجاه البحر، وأرسل لقريشٍ مَنْ يعلمهم بالأمر، فخرجت مكةُ مسرعةً للقاء المسلمين، بقوةٍ وعتاد بلغ ألف رجل، ومائة فارس، وستمائة درع، وجِمالاً كثيرة، خرجوا مفتخرين بعددهم وعتادهم، كما وصفهم الله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وعندما نجت قافلة أبي سفيان، أرسل لأهل مكة يخبرهم بالأمر، ويطلب منهم الرجوعَ إلى مكة، فهَمَّ الجيشُ بالرجوع، فقال أبو جهل: «والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً، فنقيمَ بها ثلاثاً، فننحرَ الجزور، ونطعمَ الطعام، ونسقيَ الخمر، وتعزف لنا القِيان، وتسمع بنا العرب مسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا»، إلا أَنّ بني زهرة وطالبَ بن أبيَ طالب رجعوا إلى مكة.

بلغ النبي ﷺ خبرَ القوم ومسيرَهم، فاستشار أصحابه ـ الذين لم يتوقعوا أن تكون فيه مواجهة بين الطرفين، ولم يأخذوا الاستعداد الكامل لها، ولا يمكنهم طلب إمدادات من المدينة لبُعدها عن بدر، وتضاريس

أرض المعركة فيها ليونة ورمال، وهم في أول سنة يفرض عليهم الصيام، فتكلم المهاجرون، منهم أبو بكر وعمر والمقداد ﵃، وكان مما قاله المقداد: «يا رسول الله ! امض لما أراك الله فنحن معك، لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهُه وسَرَّ ـ يعني: قوله ـ» رواه البخاري.

فقال النبي ﷺ بعدها: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**» لرغبته في سماع رأي الأنصار، لكثرتهم، ولأن بيعة العقبة معهم لم يكن فيها إلا حمايةُ النبي ﷺ في المدينة وليس خارجَها، فَهِم سعدُ بنُ معاذ ﵁ ـ حامل لواءِ الأنصار ـ مرادَ النبي ﷺ فقال: «والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال: أجل قال: فقد آمنا بك فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد»، بعدها قال النبي ﷺ: «**سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»، حينها سأل النبي ﷺ عن مكان القوم وعَدَدِهم ومَنْ معهم، فلما أخبروه قال: «**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كَبِدها**».

وقد أنزل الله تفصيل مكانِ اجتماع الجيشين كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٤٢] ـ القربى من المدينة ـ ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٢] ـ أي: البعيدة منها ـ ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ [الأنفال: ٤٢] ـ أي: العير ـ ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢] مما يلي البحر.

ورأى النبي ﷺ في المنام قلةَ عددِ جيشِ المشركين: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [الأنفال:

٤٣] أي: أمرِ القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣] أي: من الفشل والتنازع، ومن منن الله في ذلك اليوم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤] أي: لتتقدموا لقتالهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] أي: ليتقدم المشركون لكم، فلما التحما أراهم إياهم مثليهم رأي العين ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤٤].

وفي ليلة المعركة أنزل الله مطراً طهّر به المؤمنين، وثبَّت الأرضَ تحت أقدامهم، وجعلها وبالاً على المشركين فلم يتقدموا: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]، وفي يوم بدر غشيهم النعاس أَمَنةً مما حصل في قلوبهم من الخوف، كما قال ﷻ في صدر الآية: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١].

في هذه الأثناء وقع خلاف بين المشركين في القتال أو العودة إلى مكة، فقد أتى حكيمُ بنُ حزامٍ لعتبةَ بنِ ربيعةَ وقال: إنك كبير قريش، وسيدُها، والمطاع فيها، فهل لك إلى خير تُذكر به إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرْجِعُ بالناس، فقام عتبةُ خطيباً في الناس، يأمرهم بالعودة وحِفْظِ دم الأقارب، قال النبي ﷺ: «**إن يكن في أحد من القوم خير، فعند صاحب الجمل الأحمر، أن يطيعوه يرشدوا**» الراوي.

وعند التجهيز لمكان الجند، نزل النبي ﷺ إلى رأي الحُبَابِ بن المنذر حين أشار إلى القُرب من أدنى ماءٍ من القوم، وعطَّلوا ما وراه من القُلُب، وبنوا عليه حوضاً من ماء، ليشرب المسلمون منه عند القتال، ولا يشرب منه المشركون، وبُني لرسول الله عريشاً على تلٍّ مرتفع في الشمال الشرقي لميدان القتال لقيادة الجيش، وبات النبي ﷺ ليلَهُ يتضرع

إلى الله أن ينصره كما في صحيح مسلم: «اللهم أنجز لي ما وعدتني» وما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

وفي صبيحة يوم الجمعة، وعندما تراء الجيشان، وقف المسلمون صفوفاً وجّههم النبي ﷺ وقال: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» رواه مسلم.

بدأت المعركة كعادة القتال بالمبارزة بين الطرفين، واختاروا ثلاثة من الطرفين، فقتل المسلمون مبارزوهم من المشركين، وفيهم نزل قول الله: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحَجّ: ١٩]، وأخذ النبي ﷺ كفًّا من حصى، فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحد منهم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفَال: ١٧]، نزل المسلمون لساحة القتال بخطى ثابتة، وعزيمةٍ، وإيمانٍ بالله قوي، وشارك معهم النبي ﷺ، قال علي رضي الله عنه «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس باساً» رواه أحمد، وفي رواية مسلم أن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمن أحد منكم إلى شي حتى أكون أنا دونه».

بعدها أوحى الله للملائكة الكرام المشاركةَ في هذه الغزوة: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفَال: ١٢]، وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم، ليشكروه عليها، وهو أنه سبحانه أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبّتوا الذين آمنوا.

وأنزل الله ألفاً من الملائكة كما في قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفَال: ٩] ثم أنزل ثلاثة آلاف: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ

﴿مُنزَلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٤]، ثم أمدهم الله بخمسة آلاف كما قال سبحانه: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٥]، وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال في بدر: **«هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب»**.

نسألك اللهم أن تعز الإسلام وأهله.

أقول قولي هذا، وأستغفروا الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

التحم الجيشان، وأظهر المسلمون بسالةً وقوةً وصبراً، فَقَتَلوا أشرافاً من المشركين وصناديدَهم، فَقُتل فرعونُ هذه الأمة ـ أبو جهل ـ، وكان قاتله فَتَيَيْنِ حديثَي السن، وقُتل رأس الكفر أميةُ بنُ خلف، والعاصُ بنُ هشامِ بنِ المغيرة، وانجلت المعركة عن نصر كبير، وعزٍّ للمسلمين، إذ قَتلوا سبعين من المشركين، وأسروا سبعين، ولم يُقتل من المسلمين إلا أربعةَ عشر رجلاً.

فرح المسلمون بهذا النصر الكبير، وذُهل أهلُ مكة بخبر الهزيمة، فذهب الحيسمانُ بنُ عبدِ الله الخزاعي بالخبر، وعدَّ لهم أسماء القتلى من أشراف مكة، كعتبةَ بنِ ربيعة، وشيبةَ بن ربيعة، وأبي الحكمِ بنِ هشام، وأميةَ بنِ خلف، فلما سَمِعه صفوان بن أمية شكَّ في عقله، وكان قاعداً في الحِجْر، فقال: «إن يعقل هذا فَسَلوه عني، قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هاهو جالس في الحِجْر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا».

قال أبو طلحة رضي الله عنه: «أمر النبي ﷺ بقتلى المشركين فقُذفوا في طَوِي من أطواء بدر خبيث، وبعد ثلاثة أيام من مكثه ببدر، وقبل ارتحاله إلى المدينة، قام على شفة الركية، فجعل يناديهم بأسمائهم، يا فلان بن فلان، و يا فلان بن فلان: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله! فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال عمر يا رسول الله! ما تكلم من أجسادٍ لا أرواح لها، فقال والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم» رواه البخاري.

جُمعت الغنائم، واختلف الصحابة ﷺ في أمر تقسيمها لأنها لم تشرع مصارفها، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ [الأنفَال: ١]، وهي رحمةٌ وتخفيف من الله لهذه الأمة، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أطعمنا الغنائم رحمةً رَحِمنَا بها، وتخفيفاً خففّه عنا، لما علم من ضعفنا**» رواه النسائي، قال ابن حجر ﷺ: «فيه اختصاص هذه الأمة بِحِلِّ الغنيمة، وكان ابتداءُ ذلك من غزوة بدر، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ﴾ [الأنفَال: ٦٩] فأحل الله لهم الغنيمة».

ولمّا ساق النبي ﷺ الأسرى للمدينة، اختلفوا في أمرهم أيضاً، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفَال: ٦٧-٦٨]، والكتاب الذي سبق ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محَمَّد: ٤]، فأخذ أبو بكر الصديق ﷺ منهم الفداء من الدراهم، وقد تباين بحسب مال كلِّ أسير، ومن لم يكن عنده فداءٌ دُفع إليه عشرةُ غلمانٍ من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة، وإما يَمُنُّ عليهم بمقابل أن يُخَلُّوا رجلاً من المسلمين، ومن الأسرى من أطلقهم النبي ﷺ بدون فداء، واستوصى بهم خيراً، فأسلم منهم الكثير.

بعد غزوة بدر أسلم من أسلم، وأظهر النفاق من أظهر، وسمى الله تلك الغزوة بيوم الفرقان، حيث فرق فيها بين الحق والباطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في أمر هذه الغزوة: «وكانت غزوة بدر أولَ غزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار، وقتل الله أشرافَهم، وأسر رؤوسَهم، مع قلة المسلمين وضعفهم».

وعن أحداث هذه الغزوة أنزل الله قرآناً يتلى كما في آياتٍ من سورة آل عمران، وأنزل سورة كاملة بشأنها وهي سورة الأنفال.

لأهل بدر فضل كبير خصهم الله به، قال رفاعة ﷺ: «**جاء جبريل لرسول الله فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمةً نحوها قال: وكذلك من شهد من الملائكة**» رواه البخاري، وعند ابن ماجه «**قالوا خيارنا، قال: كذلك هم عندنا خيارنا من الملائكة**».

وصنَّف الأئمة أبواباً في مصنفاتهم، كالإمام البخاري أورد باباً سماه: بابُ فضل من شهد بدراً، وكذلك الإمام مسلم: بابٌ من فضائل أهل بدر، وابن ماجه بابُ فضل أهل بدر، وسَبَرَ أهلُ السِيَر أسماءَ من شهد تلك الغزوة كابنِ إسحاق، وابنِ هشام، ولم يكن ذلك إلا لعلو مقامهم، وعظمِ شأنهم، قال النبي ﷺ في قصة حاطب كما في الصحيحين «**لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غُفر لكم**».

ولأهميتهم، ورفعة شأنهم، وسُموِّ منزلتهم، كان لهم مقام كبير عند سلف الأمة، قال حصينٌ الأسديُّ رحمه الله: «إن أحدكم ليفتي في المسألة لو وردت على عَمَر لجمع لها أهلَ بدر»، ولما قُتل عثمان رضي الله عنه قال سعيد بن المسيب: «جاءت الصحابة وغيرهم إلى دار عليٍّ، فقالوا: نبايعك، فأنت أحق بها، فقال: إنما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضُوا به فهو الخليفة، فلم يبق أحد إلا أتى عليًا».

رضي الله عن صحابة نبينا محمد وأرضاهم، وأعز الله جنده، ونصر حزبه.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

غزوة أحد

غزوات النبي ﷺ تختلف من واحدة لأخرى، لتباينها من جهة العَدُوِّ وعُدّته، والمسافةِ إليه، وزمانِها، ومكانِها، والظروفِ التي أدت إليها.

وهذه غزوةٌ هي من أشد وأصعب الغزوات، ذكر الله أحداثها في أكثرَ من ستين آية من كتابه الكريم، وانكشف فيها النبيُّ ﷺ للعدو وأصابه منهم جراحات، وهي الغزوة الأولى التي يلتقي فيها الجيشان على شبه ميعاد.

إنها غزوة أحد، وقعت في شمال المدينة النبوية، في شهر شوال، من العام الثالث من الهجرة النبوية، وأعظم سببٍ لتلك الغزوة هو ثأر المشركين لقتلاهم الذين قُتلوا في بدر، والذين كانت لهم السيادة والرياسة، والشرف في قريش، ومن أسبابها إعادةُ هيبةِ ومكانةِ قريش لدى العرب بعد أن فقدتها في بدر.

استعدت قريشٌ لهذه الغزوة من أرباح قافلة أبي سفيان التي نَجَت في بدر، وجمعت قريشٌ أحلافاً لها من القبائل، وأوكلت لقيادة هذا الجيش أهلَ الخبرة في فنون القتال ـ كخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل ـ.

وخرج النساء كذلك مع الجيش، لإثارة روح الحماس، وتخويفِهم من العار إذا فروا، رأى النبي ﷺ في منامه ما سيحدث، وذكَرَه لأصحابه

قائلاً لهم: «رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد كأحسنِ ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت بقراً ـ واللهُ خير ـ فإذا هم المؤمنون يوم أحد» متفق عليه.

ولما اقترب العدو من المدينة استشار النبي ﷺ أصحابَه في الخروج إليهم، أو التحصنِ في المدينة، فرأت طائفة منهم الخروجَ للعدو، إظهاراً للشجاعة والرغبة في المشاركة، خاصة من فاته الاشتراك في بدر، والنبي ﷺ رأى البقاء في المدينة للاستفادة من تحصنها، حسم النبي ﷺ الموقف بأن خرج ـ وقد رَغِب بعضُ الصحابة ﵃ عدمَ مخالفة رأيه ﵇ بالخروج ـ وهو لابسٌ لأْمَتَه وقال: «ما كان لنبي إذا لبس لأْمته أن يضعها حتى يناجز». رواه احمد.

خرج النبي ﷺ ومعه ألف من الصحابة ﵃، وعندما وصلوا إلى نصف المسافة انسحب المنافق ابنُ سلولٍ بثلث الجيش، بحجة أنه لن يقع قتالٌ مع المشركين، ورفض القتال خارج المدينة، وأن النبي ﷺ أطاع الوِلْدان، ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني علام نقاتل أنفسنا، وقد أنزل الله في شانهم: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٦-١٦٧].

وصل المسلمون إلى جبل أُحد بعد أن تجاوزوا معسكر المشركين، والبالغ عددُهم ثلاثةَ آلاف، فأصبح المشركون بين المدينة والجيش الإسلامي، ووزَّع النبي ﷺ المهامَّ والقيادات، وانتقى خمسين من الرماة، ووضعهم في تلِّ عِيْنينَ المقابلِ لأحد، خشيةَ تطويقِ المشركين للمسلمين،

وأوصى الرماة «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أُرسل إليكم**» رواه البخاري.

التقى الجيشان بكِفَّةٍ غيرِ مرجوحة، لأن ميزان القوة هو ميزان الإيمان، قال سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٩]، بدأت المعركة بالمبارزة، وَقَتل المسلمون جميعَ من بارزهم، ثم التحم الجيشان، واشتد القتال، واستبسل المسلمون في صد المشركين، وكان أعظمُهم أثراً حمزةَ بنَ عبدِالمطلب ـ سيدَ الشهداءِ ـ وأبا دجانة رضي الله عنهما، دارت رَحى الغزوة، وصدق المسلمون في اللقاء، فأوقعوا في المشركين القتل، وفي ذلك قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢]، فَرَّ المشركون من ميدان المعركة بعد أن أثخنهم المسلمون قتلاً، وأكرم الله من أكرم من الصحابة رضي الله عنهم بالشهادة.

بعدها أبصر الرماةُ المشركين فارِّين باتجاه مكة، فاجتهدوا في النزول من الجبل لجمع الغنائم، وذكّرهم عبدُ الله بنُ جبيرٍ رضي الله عنه بقوله: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟!، وكانت فرصةً مواتيةً لخالدِ بنِ الوليد ليلتف على المسلمين، فرآه المشركون، فعادُوا إلى ميدان القتال مرة أخرى محيطين بالمسلمين، وارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يَقْدِرْ أن يميز بعضُهم المسلمَ من الكافر، فابتعد جمعٌ منهم الميدان، وجلس بعضهم بدون قتال، ومنهم من قاتل واستبسل في هذا الوقت الذي رأى فيه ضعفَ المسلمين ـ كأنس بن النضر، وزيد بن ثابت، وغيرهما، ـ وقد نزل فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزَاب: ٢٣].

وكان من أسباب الارتباك و تراجع المسلمين انه أُشيع أن النبي ﷺ

قُتل، فوقف من وقف مذهولاً من الخبر، فقال أنس بن النضر لجماعة وقد ألقوا ما بأيديهم: «ما تنتظرون؟ فقالوا قُتل رسول الله، قال: وما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله»، وقال ثابتُ بنُ الدحداح رضي الله عنه لقومه: «يا معشر الأنصار! إنْ كان محمدٌ قد قُتل، فإن الله حي لا يموت، قاتلوا على دينكم فإن الله مُظْفِرُكم وناصركم».

فاطَّلع أثناءَ هذا الوقتِ العصيب كعبُ بنُ مالك رضي الله عنه في الجموع، فوجد رسولَ الله ﷺ حَيّاً لم يُقتل، فبشّر المسلمين، فأسكته النبي ﷺ حتى لا ينتبه المشركون له، وتمكن بعضُ المشركين من الوصول للنبي ﷺ، فتسابق من تسابق لحمايته، فقُتل سبعةٌ من الأنصار، وأصيب النبيُّ ﷺ بإصاباتٍ كثيرة، «**فكُسرت رَباعِيَتُه، وشُجَّ في وجهه، وسال دمُه، فجعل يمسحه وهو يقول: كيف يُفلح قومٌ شجوا نبيهم فنزلت:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨]» رواه البخاري.

وفي أثناء احتدام الغزوة أيَّد الله رسوله ﷺ بجند من عنده، قال سعد رضي الله عنه: «رأيت النبي ﷺ يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعد» متفق عليه. وفي رواية مسلم ـ يعني: «جبريل وميكائيل».

فثبَتَ المسلمون في هذه الغزوة خير ثبات، رغم المحنة والشدة.

اللهم أعز الإسلام وأهله.

أقول قولي.....

الخطبة الثانية

صمد المسلمون في الدفاع عن رسول الله ﷺ، وفَشَل المشركون في اختراق تحصنات المسلمين والوصول للرسول ﷺ، «**وأشرف أبو سفيان على المسلمين وقال أفيكم محمد؟ فقال النبي ﷺ: لا تجيبوه فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبتَ يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يحزنك، قال أبو سفيان: اعْلُ هُبَل، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجَلّ، قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**» رواه البخاري، وفي رواية المسند «**أن عمر قال: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار**».

انجلت الغزوة عن عدد كبير من الشهداء ـ وهذا تحقيقٌ لرؤيا النبي ﷺ قبل الغزوة ـ بلغوا سبعين شهيداً، وعلى رأسهم سيدُ الشهداء ـ عمُّ رسولِ الله حمزةُ بنُ عبدِالمطلب ـ قد بُقر بطنُه ومُثِّل به ـ، فحزن النبي ﷺ حزناً شديداً.

قام النبي ﷺ بدفن الشهداء، وكان يجمع الرجلين في ثوب واحد ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أُشير إلى إحدهما قدَّمه في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء**» رواه البخاري، وبعد دفنهم دعا لهم النبيُّ ﷺ وبشر المسلمين بما نال الشهداء من عظيم الأجر، فعندما سمع بكاءَ فاطمةَ بنتَ عبدِ الله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما قال: «**ولِمَ تبكي؟ فما زالت الملائكة**

تظله بأجنحتها حتى رفع» متفق عليه، ونزل في شهداء أحد: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩].

هذه الغزوة الثانية التي التقى فيها الجيشان بعد انتصارهم في بدر، وقد ظهرت سنن الله في رسله عليهم السلام، ففي سؤال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال سِجال، يُدال علينا المرة ونُدال عليه الأخرى، قال: كذلك الرسل، تبتلى ثم تكون لهم العاقبة» رواه البخاري.

رزقنا الله اتباع هدي رسوله، واقتفاء أثره، وحشرنا في زمرته.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

غزوة الأحزاب

في حياة الرسول ﷺ وقائع وأحداث، غيَّرت مجرى التاريخ، بدءًا من بعثته، فهجرته، فغزواته، لذا تجد أن كل حدث منها يعتبر بدايةَ تحول، ونقطةَ انطلاقة لبزوغ فجر جديد.

ومن أعظم تلك الوقائع غزوةُ الأحزاب، والتي سمى الله بها سورةً من سور القرآن الكريم، ذكر سبحانه ما دار فيها من أحداث، وكأنك تعيش لحظاتها، ذُكرت فيها أحوالُ العدوِّ الخارجيِّ والداخلي، وثباتُ المؤمنين، وإرجافُ المنافقين، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «غزوة الأحزاب التي أنزل الله فيها سورة الأحزاب، وهي سورة تضمنت ذكرَ هذه الغزوة، التي نصر الله فيها عبده ﷺ، وأعزَّ فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم».

وقد حدثت هذه الغزوةُ بعد أن أذاق المسلمون كفارَ قريشٍ خسائرَ كبيرةً في بدر وأُحد، فأراد المشركون أن يُنْهوا هذا الصراع، ويجمعوا أكبر قدر ممكن من المعادين لدعوة الإسلام، فوجدوا مطلبهم في بني النضير، الذين أُجلوا من المدينة، أو بإغراء بعضٍ من القبائل ـ كغطفان ـ أو من كان حليفاً لقريشٍ بإعطائهم نصفَ ثمارِ خيبر.

سار جيش المشركين بعُدَّةٍ قدرها عشرةُ آلاف مقاتل، مقابلَ ثلاثةِ آلاف مقاتلٍ من المسلمين، فاستشار الرسولُ ﷺ الصحابةَ رضي الله عنهم في الأمر، فأشار عليه سلمانُ رضي الله عنه بحفر الخندق في المنطقة الوحيدة

المكشوفة أمامَ الغُزاة، أما باقي الجهاتِ الأخرى فهي كالحِصْن لتشابك الأبنية وأشجارِ النخيل والحرّات التي يصعب دخولُ المشركين منها.

وفي هذه الغزوة وقفات:

أولاها: شارك الجميع في حفر الخندق، بروح الرجل الواحد، فلا فرق بين غني وفقير، يتقدمهم سيد ولد آدم ﷺ، قال البراء رضي الله عنه ـ كما في الصحيحين ـ: «رأيت رسولَ الله ﷺ يومَ الأحزاب ينقل الترابَ، وقد وارى الترابُ بياضَ بطنه وهو يقول:

لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزل السكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

وخرج رسول الله ﷺ ـ كما في صحيح البخاري ـ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النَصَب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي تحصنهم هذا فعلٌ للأسباب، وتهيؤٌ للقتال، فجموع الأحزاب قدموا من خارج المدينة، ويهودُ بني قريظة في داخلها، وبينهم وبين النبي ﷺ عهد في صد أي عدوٍ يقدم للمدينة، إلا أنهم نقضوا العهد، قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

ثاني هذه الوقفات: من خصال النبي ﷺ أنه كان يعجبه الفأل،

فعندما عرضت صخرةٌ عند حفر الخندق، ضربها الرسول ﷺ عِدةَ ضربات، وفي كل ضربة يبشّر أصحابه بإعطائه مفاتيحَ الشامِ، وفارسٍ، والمدائنِ، واليمنِ، فكانت منه ﷺ مبشراتٌ أن هذه البلادَ سيفتحها المسلمون مستقبلاً، وقد كان موقف الصحابة رضي الله عنهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [الأحزَاب: ٢٢]، وأما أهل النفاق فقالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزَاب: ١٢].

ثالث هذه الوقفات: ثباتُ موقفِ أهلِ الإيمان في الشدة والرخاء، رَغم كثرةِ الأعداء وتنوعِهم، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣]، مع أن يهود بني قريظة نقضوا العهد، وقد وصف الله حالهم بقوله ﷻ: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ ـ أي الأحزاب ـ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ـ أي يهود بني قريظة ـ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ـ أي المنافقون ـ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزَاب: ١٠-١١].

الوقفة الرابعة: أن مناخ تلك الغزوة مُتغير وصعب، فالليالي باردةٌ ومظلمة، وذاتُ ريح شديدة، قال حذيفة رضي الله عنه في وصفها: «ما أتت علينا قطُّ أشدُّ ظلمة، ولا أشدُّ ريحاً، في أصوات ريحها أمثالُ الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدُنا إصبعه»، بل قال قائل من المنافقين: إن محمداً يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وإن أحدَنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط.

استمر الحال على هذا الحصار مدةَ أَربعة وعشرين يوماً، والرمي بالنَّبل لا ينقطع، فقام نعيم بن مسعود رضي الله عنه حين أتى رسولَ الله ﷺ مسلماً مُخْفياً إسلامه، وعرض عليه أن يأمره بما يشاء، وكان يأمنه الفريقان جميعاً، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت رجلٌ واحد فينا،

ولكن خَذِّل عنا إن استطعت، فإن الحرب خُدَعة، فقام بتشكيك يهود قريظة بالمشركين، وأخذ كلٌّ واحد منهم يتهم الآخر بالخيانة.

الوقفة الخامسة: دُعاء رسول الله ﷺ وتضرعُه لربه، فكان من دعائه: **اللهم منزلَ الكتاب، سريعَ الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**» متفق عليه، والنبي ﷺ كان كثيرَ الصلاة فِي تلك الأيام، فكان إذا حزبه، أو كربه أمر، فزع إلى الصلاة ـ كما في قصة عودة حذيفة رضي الله عنه حين أتى بخبر القوم، فوجد رسولَ الله يصلي ـ، فاستجاب الله دعاءَ رسوله ﷺ، فهبت ريحٌ شديدةٌ أكفأت قدورَ المشركين، واقتلعت خيامَهم، وأطفأت نيرانَهم، ودفنت رحالهم، وكان من قوة هذه الريحِ أنها جعلتهم لا يوقَدُ لهم نار، ولا يَقَرُّ لهم قَرار، حتى ارتدوا على أعقابهم بخيبة وخسارة.

بعث الله عليهم صَبا باردةً في ليلة شاتية، قال النبي ﷺ «**نُصرت بالصَّبا، وأهُلكت عاد بالدَّبور**» متفق عليه ـ والدَّبور هي الريح الغربية، والصَّبا الريح الشرقية ـ فأخصرتهم، ـ أي أهلكتهم بالبرد ـ وسَفَّت الترابَ في وجوههم، وقلعت الأوتاد، وقطعت الأطناب، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وماجت الخيل بعضُها في بعض، وقُذف في قلوبهم الرعب والخوف، فكان كل رئيس قبيلة يقول: «يا بَني فلان! إليَّ، فيجتمعون إليه، فيقول: النجاء النجاء».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

أحداث تلك الغزوة عديدة، فقد تضمنت مبشراتٍ بفتح الأقاليم، وانطلاقةً لغزو قريشٍ بدل قدومهم من مكة، كما في بدرٍ وأُحد، وهذه بدايةُ زوال قوةِ قريش لهم، قال النبي ﷺ **«الآنَ نغزوهم، ولا يغزوننا»** رواه البخاري، فكان ﷺ يغزوهم حتى فتح الله لهم مكة.

كما أن بعد هذه الغزوةِ أجلى النبيُّ ﷺ يهودَ بني قريظة من المدينة لمَّا نقضوا الصلح، قال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: **«لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»** رواه البخاري.

ومن الدروس أيضاً: أن قوة الله لا تُغلب، ولا يعلم جنود ربك إلا هو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٩].

فأرسل الله عليهم ريح الصَّبا، فلا يَقَرُّ لهم قرار، ولا يثبت لهم إناء، ولا توقد لهم نار، وهم في أَمَسِّ الحاجة لها، قال ابن كثير رحمه الله: «لولا أن الله جعل رسوله ﷺ رحمة للعالمين، لكانت هذه الريحُ عليهم أشدَّ من الريح العقيم التي أرسلها الله على قوم عاد».

فكفى الله المؤمنين القتال وحده، ونصر عبده، وأعز جنده، ولهذا يقول النبي ﷺ: **«لا اله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شئ بعده»** متفق عليه.

الأحداث والوقائع في هذه الغزوة كثيرة وعديدة منها:

وليمة جابرِ بنِ عبد الله رضي الله عنه للنبي ﷺ، وأن الطعام لا يكفي إلا لرجل أو رجلين، فدعا النبي ﷺ من كان حاضراً، وعددهم ألف، لكنَّ الله بارك في الطعام، فأكلوا منه كلُّهم حتى شَبِعوا، وتركوا الكثير، وأكل منه جابرٌ وأهلُه وأهدوا منه أيضاً.

وقصة أمر النبي ﷺ لحذيفةَ رضي الله عنه ومجيئِه بخبر القوم.

ومن الأحداث التي حصلت للمسلمين قوةُ مناوشاتِ العدو، والرميُّ بالنَّبل مدةَ الحصار دون انقطاع، وهذه شغلت المسلمين عن أداء صلاة العصر، فصلوها بعد المغرب، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق فقال: **ملأ الله قبورَهم وبيوتَهم نارًا، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**» متفق عليه.

والأحداث عديدة لأن أيام الغزوة طويلةٌ قاربت أربعة وعشرين يوماً، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

فاللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه.

❖ ❖ ❖

فتح مكة

غزا النبي ﷺ غزوةً هي من أهم الغزوات زمانًا ومكاناً، حيث دكَّت معقلَ المشركين وزَلزلت عروشَهم، ولأهميتها فإنه لم يتخلف عنها أحدٌ من المهاجرين أو الأنصار، ولفضلها أنزل الله فيها أكثر من سورة في القرآن الكريم.

إنها غزوة فتح مكة، قال ابن القيم رحمه الله عن هذا الفتح: «أعز الله به دينَه ورسولَه وجُنْدَه وحِزبَه الأمين، واستنقذ به بلدَه وبيتَه الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضَرَبت أطنابُ عِزِّه على مناكب الجَوزاء، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً، وأشرقت به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً».

وكان سبب فتح مكة نقضُ بني بكر ـ حليفةِ قريش ـ للمعاهدة وإغارتِهم على خزاعةَ ـ حليفةِ النبي ﷺ ـ وإمدادُ قريشٍ لبني بكر بالسلاح والرجال، مستغلين ظلمة الليل، وامتد القتال إلى الحرم ولم ينتهوا، فأسرع عمرُو بنُ سالم الخزاعي إلى رسول الله، وأنشد أبياتاً، فقال النبي ﷺ بعدها: «**نُصرتَ يا عمرُو بنُ سالم**» رواه البيهقي، علمت قريشٌ شرَّ صنيعِها حيث نقضت بذلك العهد، فأرسلت أبا سفيان للمدينة لتجديده مع النبي ﷺ إلا أن زيارته لم تفلح مع أيٍّ من الصحابة أو النبيِّ ﷺ.

تجهز النبي ﷺ وأمر الناس بالتجهز، ولم يُسمِّ الجهة، ثم أعلمهم انه سائر إلى مكة، استُنفرت القبائلُ حولَ المدينة، حتى بلغ قِوامُ الجيش عشرةُ آلاف مقاتل، وعندما تهيأ الجيش أرسل حاطبُ بنُ أبي بلتعة رضي الله عنه كتاباً مع

امرأة إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله، فأرسل النبي ﷺ على إثرها علياً والزبيرَ والمقدادَ رضي الله عنهم، فأخرجته، فقال النبي ﷺ لحاطب: يا حاطبُ ما هذا؟ فذكر عذراً له، فعذره النبي ﷺ، وفي قصته ظهر فيها فضل أهل بدر ـ والقصة بتمامها في الصحيحين ـ.

خرج النبي ﷺ في شهر رمضان، من السنة الثامنة من الهجرة، ووصل مكة بعد تسع ليالٍ، وقبل وصوله لها أتاه رجل من ألد خصوم أهل الإسلام على مدى عِقدين من الزمان، إنه أخُ رسولِ الله من الرضاعة وابنُ عمه، أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِالمطلب، وابنُ عمةِ رسول الله عبُد الله بنُ أبي أمية بنِ المغيرة، فأعرض عنهما النبي ﷺ من شدة الأذى، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: «لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك».

قال ابن القيم رحمه الله: «حَسُن إسلام أبي سفيان ويقال: ما رفع رأسه إلى رسول الله حياءً منه، وكان النبي ﷺ يحبه، وشهد له بالجنة، وقال: أرجو أن يكون خَلَفاً من حمزة، ولما حضرت أبا سفيان الوفاة قال: لا تبكوا علي فوالله ما نطقت بخطيئة منذ أسلمت»، أوصى به النبي ﷺ خيراً، قال العباس: «يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً، فقال: من دخل دار أبا سفيان فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» رواه مسلم.

وأسلم في هذه الأثناء عمُّ النبي ﷺ العباسُ رضي الله عنه، وأمره النبيُّ ﷺ أن يحبس أبا سفيان عند مضيق الجبل حتى تمر به الجند، فلما رأى كتيبةً خضراء فيها النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، ثم قال: والله لقد أصبح مُلْك ابنِ أخيك اليوم عظيماً، فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: نعم إذاً.

وعندما وصل النبي ﷺ والجيش إلى ممر الظهران، عيَّن القادة، وَقسّم الجيش، وكانت قريشٌ جمعت قبائلَ لحرب المسلمين، فأمر النبي ﷺ بقتالهم، وسار الجيش حتى وصل الصفا، ودخل النبي ﷺ من أعلاها من جهة كداء خاشعاً: «**يقرأ سورة الفتح، ويُرجِّع في قراءتها وهو على راحلته**» متفق عليه، وأمر بقتل أربعةٍ من الرجال وامرأتين لما لهم من أذىً وتنكيلٍ بالمسلمين، فَقَتل منهم من قتل، وهرب منهم من استأمن وأسلم.

أحلَّ النبي ﷺ لخزاعة أن تثأر من بني بكر في اليوم الأول من الفتح حتى العصر، وبعدها أمر بِكَفّ السلاح وبيَّن للمسلمين حرمةَ مكة، وأنها لا تُغزى بعد الفتح، وأعلى من مكانة قريش كما في حديثه «**لا يُقتلُ قرشيُّ صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة**» رواه مسلم، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: « هذا فيه إعلامٌ بأن قريشاً يُسْلمون كلُّهم، ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن حورب وقُتل صبراً».

أقول قولي..

الخطبة الثانية

نزل النبي ﷺ بالحجون وضُربت له قبة، وأمر بتطهير البيت الحرام بإزالة الأصنام، وشارك بيده في تكسيرها وهو يقرأ: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سَبَإ: ٤٩]، وكذلك قولَه سبحانه: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسرَاء: ٨١]، وكان عددها ستين وثلاثمائة، وبداخل الكعبة صورٌ لإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحق، وهم يستقسمون بالأزلام، ولُطِّخت بالزَّعفران، ولم يدخل الكعبة إلا بعد إخراجها منها، وقال: «قاتلهم الله! ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام» رواه ابن ابي سنه.

وعندما طُهرت الكعبة، دخلها وصلى بها ركعتين، ثم خرج، وأعطى مفتاح الكعبة لعثمانَ بنِ طلحة رضي الله عنه وقال له: هاك مفتاحك يا عثمان، اليومَ يومُ بِرٍّ ووفاء، وأبقى الحِجَابة في أيدي بني شيبة كما كانت في الجاهلية.

طاف النبي ﷺ بالكعبة مستلماً الحجر الأسود، وطاف بالبيت بدون إحرام، وكان على رأسه المِغْفرُ يومَ دخل مكة، ثم لبس عمامةً سوداء، وأمر بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة.

أرسل النبي ﷺ بعدها بعوثاً إلى المناطق المختلفة، لإزالة أكبر الأصنام التي بها ـ كالعزى، ومناة، وسواع ـ وهي التي ذكرها الله في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النّجم: ١٩]، اجتمع الناس لمبايعة النبي ﷺ، فلما فرغ من بيعة الرجال، بايع النساء، وكان يبايعهن بالكلام، وما مست يدُه يدَ امرأة أجنبية ـ كما في الصحيحين ـ. ثم أتت القبائل مبادرين بالإسلام، لأنهم ينتظرون ماذا يؤول الأمر إليه، هل لمحمد أو لقريش،

بعدها دخل الناس في دين الله أفواجاً، وأقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً، خَطب بها خُطباً بين فيها أحكاماً وأموراً، وألغى ثاراتِ الجاهلية، وبيَّن حرمةَ مكة، وحرمةَ الصيدِ فيها، وخَلَاها، وشَجرِها، ولُقَطَتِها، وتحريمَ القتال فيها، ـ كما في الصحيحين ـ فأصبحت مكة دُارَ إيمان، لا هجرة منها بعد الفتح، قال ابن حجر ﵀: « وهذه بشارة من النبي ﷺ بأن مكةَ دارُ إسلام».

فاعرفوا لنبيكم قدره، ولصحابته فضَلهم، ولمكة منزلَتها.

صلوا وسلموا...

عباد الله إن الله يأمر بالعدل...

❖ ❖ ❖

الأخلاق والرقائق

بر الوالدين

أمر الله بعبادته وتوحيده، وقَرَن بذلك الأمرَ بالإحسان إلى الوالدين قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، مما يدل على تأكد وجوب بر الوالدين، وقَرَن شكره بشكرهما: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمَان: ١٤]، بل وصى الله الابن بوالديه ﴿حُسْنًا ۖ﴾ [العَنكبوت: ٨] و﴿إِحْسَٰنًا﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي أمرناه بالإحسان إليهما، والحنو عليهما».

وقد أخبر النبيُّ ﷺ أن بر الوالدين أفضلُ الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سئل النبي ﷺ: «أي العمل أحب عند الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» متفق عليه. وَرَوى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالُوا إلى غارٍ في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يَفْرُجها، فقال، أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبيةٌ صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رُحتُ عليهم فحلبْتُ، بدأت بوالديَّ أسقيهما قبل ولَدِي، وإنه نَاءَ بي الشجر، فما أتيتُ حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحْلُب، فجئت بالحِلَاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصِّبية قبلهما، والصبية يتضاغون

ـ أي يصيحون ويستغيثون من شدة الجوع - **عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، فَفَرَج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء...»** ثم ذكر الآخران عملهما، ففرج الله عنهم جميعاً حتى خرجوا رواه البخاري.

وجاء رجل الى النبي ﷺ يبايعه على الهجرة وغلَّظ عليه، فقال: ما جئتك حتى أبكيتهما ـ يعني: والديه ـ قال: **ارجع فأضحكْهما كما أبكيتَهما»** رواه أبوداوود والنسائي وابن ماجه.

وأقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله، قال: **فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما، قال: فتبتغى الأجر من الله، قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»** رواه مسلم.

وجاء معاويةُ بنُ جاهِمَةَ السُّلَميُّ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا رسول الله! أردت الغزو، وجئتك أستشيرك، فقال هل لك من أُم؟ قال: نعم، فقال: الزَمْها فإن الجنة عند رجلها**»رواه ابن ماجه والنسائي، وعند أحمد: «**ثم الثانية، ثم الثالثة، في مقاعدَ شتى كمثل هذا القول**» ومعنى في الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى: أي يريد أنه كرر على النبي ﷺ هذا القول في مواضعَ متعددة أنه أتاه من جانب فذكر له قصته، ثم أتاه من الجانب الآخر، ثم أتاه من أمامِه، وفي كل مرة يقول مثلَ القول الأول.

وقد وردت آثارٌ في فضل برِّ الوالدين، منها ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لا أَعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدين»، وقال الإِمام أحمد بْنُ حَنْبَلٍ رحمه الله « بِرُّ الْوالدين كفَارةُ الكبائر».

ومهما بلغ الابن من البر والإحسان لوالديه فلن يجازيَ عملَهما وتربيتَهما.

لقي عبدُ الله بْنُ عمرَ ﵄ رَجُلاً من الأَعْراب بِطَريق مكة، فَسَلَّمَ عليه عبدُ الله، وحَمَلَه على حِمَارٍ كان يَرْكَبه، وَأَعطاهُ عمامةً كانت على رأسه؛ فقال ابنُ دينارٍ فقلنَا له: أَصْلَحَكَ الله إنهم الأعرابُ وهم يَرْضَوْنَ باليسيرِ، فقال عبدُ الله: إن أَبا هذا كَان وَادًّا لِعمرَ بنِ الخطَّابِ ﵁، وَإِنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه**» رواه مسلم، فكيف بابن عمرَ لو وجد أَبَ هَذَا الأعرابي؟ وكيف به مع أبيْهِ عمرَ بْنِ الخطاب؟!.

وشهدَ ابْنُ عمرَ رَجُلاً يمانِيَاً يَطوفُ بالبيتِ، حمل أُمَّهُ وراءَ ظَهْرِهِ يقول:

إِنِّـي لَـهـا بَـعِـيْـرُهَـا الْـمُـذَلَّـلُ إنْ أُذْعِـرَتْ رِكَـابُـهَـا لـم أُذْعَـرِ

ثم قال: يا ابنَ عمرَ أَتُرَاني جَزَيْتُهَا قال: «لا، وَلا بزفرةٍ واحدةٍ»، رواه البخاري في الأدب المفرد، وكان أبو هريرة ﵁ إِذَا أراد أن يخرج وأُمُّه في بيْتٍ آخَرَ، وقف على بابِها وقال: السلام عليكم يَا أُمَّاه ورحمة الله وبركاتُهُ، فتقولُ: وعليكم السلام يا بُنيَّ ورحمة الله وبركاته، فيقول: رَحِمَكِ الله كما ربيتيني صغيراً، فتقول: رَحِمَكَ الله كما بررتني كبيراً.

وليسعدُ البارُّ بوالديهِ في الدُّنيا بِبِرِّ أَوْلادِهِ به، وهو دَيْنٌ عاجلُ الوفاء، فَبُرُّوا بِوالديكم أحْياءً وَأَمواتاً، قال رسول الله ﷺ «**إنَّ الرجل لتُرْفَعُ درجتُه فِي الجَنَّة، فيقولُ أَنَّى هَذَا؟ فيقال: باسْتِغفار ولدكَ لَكَ**» رواه ابن ماجه.

وأخبر ﷺ أَنَّ من البر الإحسانَ لهما، وأن لا يقولَ لهما ما يكون

فيه أدنى تبرُّمٍ، وأن يجعل نفسه مع أبويه في غاية الأدب في أقواله، وسكناتِه، ونظَراته، ولا يُحِدُّ إليهما بَصَرَه، فَإِنَّ تلك نَظْرَةُ الْغاضبِ، ولا يدعوهما بِاسمهمَا، بل يتلطف لهما بأجملِ عبارة، وأعذبِ كلمة، وألينِ خطاب.

ومن البر بهما بعد موتهما: التَّرحُّمُ عليهما، وصِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرَّحمِ التي لا توصل إلّا بهما، وإكرامُ صديقهما.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

كما أنَّ الله أمر ببِرِّ الوالدين، فقد نهى عن عقوقهمَا بالقولِ أو الفعلِ أو بهما، قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: **الإشراك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم عقوق الوالدين، قال ثم ماذا؟ قال اليمين الغموس..**» رواه البخاري، وفي رواية: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**»، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله! شهدتُّ أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليتُ الخمس، وأديتُ زكاة مالي، وصمتُ شهر رمضان، فقال رسول الله ﷺ: **من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا** ـ ونصب أصبعيه ـ **مالم يَعُقَّ والديه**» رواه أحمد.

وقد حث الإسلام على بر الوالدين حتى مع اختلاف دين الوالدين، قال سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ [لقمان: ١٥]، قيل: إنها نزلت في سعد بن مالك، قالت أم سعد: «أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تَكْفر» رواه الترمذي.

ومن صور العقوق، إهمال رعايتهما، وتقديم رغبات النفس أو الزوجة أو الصَّديق على حقِّ الوالدين، ومن صور العقوق ما فعله إخوة يوسفَ عليه السلام به، وما أصاب والده نَبِيَّ الله يَعْقُوْبَ عليه السلام من الهمِّ وَالحزن وَالبكاء حتى ابيضَّتْ عيناه.

ومنه فعلُ ابنِ نوحٍ عليه السلام حين لم يُؤمِن بدعوة أبيه، فلمَّا حَلَّ عذابُ الله بهم، وركِبَ نوحٌ ومن معه السفينة قال نوحٌ عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هُود: ٤٢-٤٣].

وقد يمتد العقوق الى غير الوالدين بل الى الأمة كلها، ابتلي أبو الفرج ابنُ الجَوزِيِّ رحمه الله ـ وهو الشيخ الامام، العلامة الحافظ، المفسر شيخ الإسلام، ـ بعقوق ولده له وهو الذي أخذ مُصَنَّفَاتِ وَالده وَباعها بَيْعَ الْعَبِيد، وَلِمَن يَزِيدُ، وَلَمَّا حُبِسَ والدُه في وَاسِطٍ تَحِيَّل على الكتب بالليل وأخذ منها ما أراد، وباعها ولا بثمن الْمِدَادِ،، ولما امْتُحِنَ وَالدُه بَدَأَ ابْنه يُؤَلِّبُ الخصومَ على والِدِهِ.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

صلة الرحم

جاء الإسلام حافظاً لحق القريب والبعيد، فيه الخير والفلاح، والتكاتف والنجاح، والألفة والمحبة، فما من فرد فيه إلا وله حق في حياته وبعد مماته.

ومن أعظم ما أوصى الله به عباده صلةَ الأرحام، وهم الأقارب الذين بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا.

وقد أمر الله بصلة الرحم في ثالث الحقوق العشرة بعد الإحسان للوالدين فقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّساء: ٣٦]. قال البَغَويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النِّساء: ٣٦] أي: «أحسنُوا لذي القربى».

وهي من الأخلاق والمكارم التي دعا لها النبي ﷺ، ففي حديث أبي سفيانَ صخرِ بنِ حربٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في قصة هرقل، أن هرقل قال لأبي سفيان: «فماذا يأمركم به؟ - يعني النبي ﷺ - قال: قلت: يقول: **اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة**» متفق عليه.

وصلة الرحم سبب لدخول الجنة، كما في حديث خالد بن زيد الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلا قال: «يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني

الجنة؟ فقال النبي ﷺ: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**» متفق عليه.

وصح عن النبي ﷺ أن صلة الرحم تزيد في العمر، وصدقةَ السر تطفئ غضب الرب، بل أمر الله الموسرين بتفقد المحتاجين من قرابتهم والإحسان إليهم بقوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل: ٩٠]

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النّحل: ٩٠] أي: إعطاء القرابة ما تدعو إليه حاجتهم، وخص ذوي القربى لأن حقهم آكد، ورغَّب النبي ﷺ في البذل والصدقة لهم فقال: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصلة**» رواه ابن ماجه، قال النووي ﵀: «صلة الرحم: هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، والسلام، وغيرِ ذلك».

ومن بركة صلة الرحم في الدنيا ما قاله رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنْسأَ له في أثره، فليصل رحمه**» متفق عليه.

ومعنى «**ينسأ له في أثره**»: أي: يؤخر له في أجله وعمره

قال ابن حجر ﵀: «إن الزيادة كنايةٌ عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعِمَارةُ وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتُه عن تضييعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصله: أن صلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة، والصيانةِ عن المعصية، فيبقى بعده الذكرُ الجميل، فكأنه لم يمت ـ إلى أن قال ـ: أو أن الزيادة على حقيقتها».

وهي من نبل أخلاق المتحلي بها ومن كمال إيمانه، قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» متفق عليه.

ومما يدل على أهمية الرحم أن أولَ ما نزل في الدعوة تخصيصُ الأقارب بالتبليغ، كما في قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤].

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه..

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

في صلة الرحم أُلفةٌ ومحبة واجتماع، وفي قطيعتها بغض وتفرق واختلاف، لذا أمر الله بالصلة ونهى عن القطيعة، فقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**» رواه مسلم، وفي الحديث: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب، قال: هو لك، قال رسول الله ﷺ فاقروا إن شئتم:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]» متفق عليه واللفظ للبخاري.

وفي السنن مرفوعاً: «**أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي**» قال ابن حجر رحمه الله: «إنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله»، وفي حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**» متفق عليه، أي: لا يدخلها قبل أن يحاسب على قطيعته.

فعلى المسلم أن يجتهد في الصلة حتى ولو لقي جفاءً وبُعداً، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قُطِعَت رحمُه وصلها**» رواه البخاري.

وعلى المسلم أن يحرص على لقاء الأقارب القريبين والبعيدين، وأن يتلمس حاجاتِهم، وأن يبذل ما أمكن لهم، قال ابن أبي جمرة: «تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، والمعنى الجامع: إيصالُ ما أمكن من الخير، ودفعُ ما أمكن من الشر بحسب الطاقة».

وفقنا الله للصلة، وجعلها خالصة لوجهه الكريم..

صلوا وسلموا ...

❖ ❖ ❖

أسباب السعادة

الغاية المنشودة، والأمنية المطلوبة التي يسعى المرء في تحصيلها، ويفني عمره في طلبها، والتي يبحث عنها الصغيرُ والكبير، والصحيحُ والمريض، والمسلم والكافر، والذكر والأنثى، والغني والفقير، هي السعادة حيث الأُنسُ، والبهجةُ، والسرورُ، وانشراحُ الصدر.

وقد صنف الناس السعادة على حسب مشاربهم، فالفقير يرى أن السعادة في الغنى، والمريض يرى أن السعادة في الشفاء، والسجين يرى أن السعادة في الحرية، وأُجملت في قول الحطيئة العبسي:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيدُ

وتقوى الله خير الزاد ذخرا ... وعند الله للأتقى مزيد

فالمال مثلاً قد يكون وسيلة للسعادة لا لغايتها، وإذا لم يوجّه المال في الخير فسيكون وبالاً على صاحبه، والغني سعيدٌ بما في قلبه من إيمان، وطمأنينة، وإنفاق، قال النبي ﷺ: «نعم المال الصالح، للمرء الصالح» رواه أحمد.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أسباباً عديدةً للسعادة، يَسْعد بها المرء في الدنيا والآخرة.

أولاها وأهمها: الدخول في الإسلام، قال النبي ﷺ: «قد أفلح من أسلم» رواه مسلم، و«طوبى لمن هدي إلى الإسلام» رواه الترمذي.

فلا سعادة مرجوة إلا بالإسلام، فكيف يسعد من لم يتذوق حلاوةَ

التوحيد، ومناجاةَ ربِّ العالمين، بل كيف تزول حيرته وهو لم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، والمسلم الحق من وحّد الخالق، ونبذ عبادة الخلائق.

ثانيها: الإيمان بالله إيماناً كاملاً بالقول والعمل والاعتقاد، بإفراده بالربوبية والإلوهية، وإثباتِ الأسماء والصفات له على ما جاءت به النصوص، قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: ٩٧] أي: حياة سعيدة.

فإذا آمن العبد بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، اطمأن قلبه، وطابت نفسه، وعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوه بشي لم ينفعوه إلا بشي قد كتبه الله له، وإن اجتمعوا على أن يضروه بشي لم يضروه إلا بشي قد كتبه الله عليه.

ويؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأَمْر المؤمن كلُّه خير، إن إصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له.

ثالث أسباب السعادة: العمل الصالح، ومن أهمها أداء الصلوات، قال النبي ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» رواه النسائي، و كان النبي ﷺ يقول لبلال: «**أرحنا بالصلاة يا بلال**» رواه أحمد، وقال في فضل صلاة الفجر: «**يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عقدة، وإذا صلى انحلت عُقَدُه كلُّها، وأصبح نشيطاً، طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس، كسلان**» متفق عليه.

فإن المسلم إذا صلى، انشرح قلبُه، واطمأنت نفسُه في الرخاء، وزالت عنه الشدة في الضراء، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣]، قال ابن القيم رحمه الله: «وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أُعطِيتْ حقَّها من التكميل ظاهراً وباطناً، فما استُدْفعت شرورُ الدنيا والآخرة، ولا استُجلبت مصالحهما بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك: أن الصلاة صلة بالله ﷻ، وعلى قدر صلة العبد بربه ﷻ تُفتح عليه من الخيرات أبوابُها، وتقطع عنه من الشرور أسبابُها، وتفيض عليه موادُّ التوفيق من ربه ﷻ، والعافية والصحة والغنيمة، والغنى والراحة والنعيم، والأفراح والمسرات كلها مُحْضَرةٌ لديه، ومسارِعَةٌ إليه».

ومن الأسباب: ذكر الله تعالى، فإنه مفتاحُ كلِّ همّ، وجِلاءُ كلِّ غم، قال ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، وقال عن نبيه ﷺ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٩٧-٩٨]، وأفضلُ الذكر تلاوةُ كلامِ الله، فالقرآن هدى وبهجة وسرور، قال الطحاوي رحمه الله: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدنية، وأدواءِ الدنيا والآخرة، وما كلٌّ يؤهل للاستشفاء به».

ومن الأسباب: البذل والمعروف والجود والإحسان، فمن جاد على عباد الله، جاد الله عليه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: ٩] قال التُّستريُّ رحمه الله: «فأولئك هم الباقون مع الله حياةً طيبةً بحياة طيبة».

قال ابن القيم رحمه الله في فضل الصدقة: «إن لها تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ـ ولو كانت من فاجر، أو من ظالم، بل من كافر ـ فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس، خاصتِهم، وعامتِهم، وأهلُ الأرض كلُّهم مقرون به لأنهم جربوه».

ومن الأسباب أيضاً: تفريج الكربات، ففي الصحيحين: «**ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة**»، فمن فرج كربة فقد أحسن للمكروب وأسعده، والله يجازي عباده بمثل ما عملوا وأكثر و﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: ٦٠].

فاللهم إنا نسألك السعادة في الدنيا وفي الآخرة.

أقول قولي هذا....

الخطبة الثانية

من أسباب السعادة أيضاً: تَذكُّرُ نعم الله، قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فنظر المسلم إلى من هو أسفلَ منه في أمور الدنيا، يورث في القلب القناعة بما أعطاه الله من نعم، فيسعد قلبه، وتنعم حاله، وتطمئن نفسه، قال النبي ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» رواه مسلم.

فإذا نظر المسلم إلى أهل المصائب عرف نعمة الله عليه، وإذا رأى أحوال الزهاد والعبَّاد زادت همته، وقويت عزيمته.

ومن الأسباب: مصاحبة الأخيار، فهي من أسباب السعادة والفلاح، فإن الأخيار أدلاء على الخير والصلاح، وحماةٌ للمسلم من الشر والفساد، وفي صحيح مسلم ذَكَر النبي ﷺ فضلَ حِلَقِ الذِّكر وفيه: «**قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتُهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خَطَّاء، إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»، وضده بضده، ففي يوم القيامة ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۞ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ۞ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفُرقان: ٢٧-٢٩].

ومن أسباب السعادة: المرأة الصالحة، قال النبي ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»، قال القرطبي رحمه الله: «فُسِّرت المرأة

الصالحة في الحديث بقوله: التي إذا نظر إليها سَرّته، وإذا أمَرهَا أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله».

ومن الأسباب: ما قاله رسول الله ﷺ: «من سعادة المرء الجارُ الصالح، والمركبُ الهنيء، والمسكنُ الواسع» رواه أحمد، وقال ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق» رواه الحاكم.

ومن أسباب السعادة: قِصَرُ الأمل، وعدمُ التعلق بالدنيا، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «الحياة قصيرة، فلا تقصرها بالهم والأكدار»، ثم لا تحزن على ما فاتك من أمور الدنيا، بل اسعى وشمر فيما بقى من حياتك.

ومن الأسباب: زيارة أخ في الله، قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ بأَنْ طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً» رواه الترمذي، فينال طيبَ العيشِ في الدنيا وكذلك الآخرة.

والسلامة من الدَّين وغلبِة الرجال سببٌ للسعادة وزوال الهم وانجلاء الغم، وقد استعاذ النبي ﷺ منها.

وكما أن للمسلم سعادةً في الدنيا، فإن له أيضاً سعادةً دائمة في الآخرة يطلبها ويدعو الله بها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هُود: ١٠٨].

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل السعادة في الدارين.

الوفـــــــاء

الله سبحانه وتعالى يحبُ معاليَ الأمور، و يكرَه سَفْسافَها، وقد بَعثَ نبيَّه ﷺ بمكارم الأخلاقِ، فقال عن نفسه ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»، رواه البخاري في الأدب المفرد.

ومِنْ جملةِ الأخلاقِ الحميدةِ التي وصى بها الإسلام الوفاء، فالله سبحانه أهلُ الوفاءِ، وقالَ تعالى عنْ نفسِه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: ١١١].

لذا لـمَّا أمر عباده بطاعتِه جازاهم بجنته، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٧٣]، قال ابن كثير ﵀ ـ في تفسير الوفاء بالأجور ـ: «بأنَّه في الدنيا يكون لهم النصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات»، وذكر النبي ﷺ صفة وفاء الله في دعاءه على من مات من أصحابه، كما في حديث واثلة بن الأسقع ﵁ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول: **اللهم إن فلانَ بنَ فلانٍ في ذمتك، وحَبْل جوارك، فَقِهِ من فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، اللهم اغفر له وارحمه، إنك أنت الغفور الرحيم**» رواه أبو داود وابن ماجه.

والوفاءُ في البشر مِنْ خصالِ الكرام، و مِنْ شيم الرجالِ التي قلَّ فاعِلوها، قالَ ﷻ عنْ الأممِ السَّابِقةِ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعرَاف: ١٠٢]، وفي الحديثِ الصّحيح: «إِنَّ ثَلاثَةً من بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، رفعَ الله ما بهم مِن بلاء وأسبغ

عليهم النَّعماءَ، ثُمَّ بعثَ مَلَكاً على صورةِ ابنِ السَّبيلِ يطلبُ زاداً، فاعتذر الأبرصُ، والأقرعُ بأنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، و أنَّ المال وَرِثه كَابِرٌ عَنْ كَابِرٍ، فلم يثبتْ مِنْهم إلَّا الأعمى قالَ: «قَدْ كُنْتُ أَعْمَى، فَرَدَّ الله بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَالله لا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ الله عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

وأعظم مَنْ أوفى بالعهود وأدَّى الحقوقِ أنبياءُ الله ورُسلُه عليهم السلام، قال سبحانه وتعالى عنْ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النّجم: ٣٧]، أيْ: أطاع مولاه وبلَّغ الرسَالةَ إلى خَلْقِه.

أمَّا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيكفيه تزكيةُ مولاه حين وصَفه بقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلَم: ٤]، فكان صلى الله عليه وسلم عنواناً للوفاء، فلم ينقُضْ عهداً مع أحد سِلماً ولا حرباً، حِلاً أو تِرحالاً، حتى وصَفه أبو سفيان قبل إسلامِه لهرقل بأنَّ مِنْ صفاته صلى الله عليه وسلم أنه يأمر بالوفاءِ بالعهد.

فأيُّ وفاءٍ للنبي صلى الله عليه وسلم نبدأ؟ أمع الأقارب، أم الأباعد، مع الأحياء، أم الأموات، مع المسلمين أم الكفار؟

فإذا تأملنا حالَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجةَ رضي الله عنها بعد أن واراها الثرى، وطوتها الأيام إلَّا أنه لم ينس حقها، فقد حفِظ وُدَّها، وكرَّرَ ذِكرها حتى غارتْ مِنْها عائشةُ رضي الله عنها، فقد كان صلى الله عليه وسلم يذبحُ الشاةَ، ويهديها إلى خَلائلها ـ أيْ: إلى صديقاتها ـ، وكان يكرر ذكرها، و يقول: «**كانت وكانت وكان لي مِنْها ولد**»متفق عليه.

أمَّا مع صحابته الكرام رضي الله عنهم: فقد وفَّى النبي صلى الله عليه وسلم لصاحِبِ المواقف الحرجة، ورَجُلِ البطولات أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وفَّى له جميلَ صنعه

حتى قالَ عنه: «إن أمنَّ الناس عليَّ فِي صُحبَتِهِ ومالِهِ ابو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر». رواه البخاري.

وأمَّا وفاؤه ﷺ مع صحابته الأموات: فقد روى أَبو هريْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُؤْتَى بالرجل أظنه عليه الدَّين فَيَسْأَلُ: هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاء؟ فَإِن حُدِّث أنه ترك وَفَاءً صَلَّى عَلَيْه وَإلا قَالَ: صَلُّوا عَلَى صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قَال: أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ من أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ وَعليه دَيْنٌ فَعَلَيَّ قَضَاؤه، ومن ترك مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ» رواه مسلم.

ووفاءُ النبيِّ ﷺ لأُمته لا ينقضي، فقد دعا لأهل البقيع قبل وفاتِه بقليلٍ، ولم ينس فقراءَ المسلمين مِنْ أنْ يُشرِكَهم معه في أضحيَّته، فقد دَعَا بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ وَقَالَ: «بسم الله وَالله اكبر، اللهم عَنّي، وعَمّن لَمْ يُضَحِّ مِنْ أمتي» رواه أبو داود والترمذي.

ووفاؤه مع الكفار ظاهر في قوله لحذيفة وأبي حُسَيل رضي الله عنه في بدر، حيث أخذ كفارُ قريش منهما عهدَ الله وميثاقَه بعدم القتال مع رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله: «انصرفا نَفِي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم» رواه مسلم.

وشفاعته لأهلِ المحشرِ ولأُمَّتِه في عرصاتِ القيامةِ، كلُّ هذا وفاءٌ مِنْه ﷺ.

وقد جعلَ الله الوفاء بالعهود والنذور مِن صفات عباده الأبرار، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧]، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

فتأسوا بنبيكم ﷺ في خُلُقه ومعاملاته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

هناك أمور عظيمة يجب الوفاء بها:

أولاها: توحيدُ الله وعدم الإشراك به، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ثانيها: أداءُ الصلاةِ جماعةً في المسجدِ، قال عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ «**خمسُ صِلات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة**» رواه أبو داود، وقال رَسُولُ الله ﷺ: «**من صلى صلاة الفجر فهو في ذمة الله، فلا تُخفروا ذمة الله ﷻ، ولا يطلبنكم بشيء من ذمته**» رواه احمد.

ثالثها: حفظ ميثاق الزوجية، قال النبي ﷺ «**إن أحق الشروط أن يوفى بها، ما استحللتم به الفروج**» رواه البخاري.

رابعها: من أعظم الوفاء برُّ الوالدينِ، وأوفى الأوفياء الذي لا ينسى والديهِ بعد وفاتهما بدعوةٍ صالحة، أو إحسانٍ، أو صدقة، أو صلة، فإنَّ الميتَ مرتهنٌ بعمله إلَّا من صدقةٍ جارية، أو عِلمٍ ينتفعُ بهِ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له.

خامسها: مِن الوفاء أن يقفَ المرءُ مع صاحبِه في الحقِّ أياً مَنْ كانَ، فقد وقفَ أبو بكرٍ رضي الله عنه مع النبي ﷺ في حياتهِ كلِّها، وفي تصديقِهِ

بخبرِ الإسراء والمعراجِ، ووقف بجسده، وولده في الغار، وطريق الهجرة، ووقف بماله في جميع لحظات حياته، فكان ﷺ نِعمَ الصاحبُ.

سادساً: الوفاء بالعقود، لعموم قوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١]، فيلزم الوفاء بها، وعدمُ نكثها والإخلالِ بمقتضاها، على اختلاف أمرها في المال والنسب والبدن واللسان وغيرها.

سابعها: ومن الوفاءِ أن يؤديَ كلُّ من ائتمن أمانة، بأن يؤديَها خيرَ قيام، في التعليم والصناعة والتجارة، و كذا كلُّ صاحبِ عملٍ في عمله.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

عيادة المريض

بُعث النبي ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، فشارك عليه السلام الصحابة رضي الله عنهم أفراحَهم، فكان قدوةً لمن بعده في إجابة الداعي، وإكرام الضيف، وإبرار المُقْسِم. ولم يغفل عن مشاركتهم في أتراحهم، باتباع الجنائز، أو تخفيفِ المصاب كعيادة المريض. بل جعل عيادةَ المريض حقاً من حقوق المسلم على أخيه المسلم ـ كردِّ السلام، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس ـ وقد حرص النبي ﷺ على عيادة المريض وأَمَر بها بقوله: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني» رواه البخاري.

وقد عَرَفَ الأئمةُ قَدْر هذه الشعيرة، فبوب الإمام البخاريُّ رحمه الله باباً في صحيحه سماه: «باب وجوب عيادة المريض»، وكذلك الإمام مسلم رحمه الله وضع باباً في صحيحه سماه: «باب فضل عيادة المريض».

ويكفي في فضل عيادة المريض أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم: مرضت فلم تعدنى، قال يا رب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده، يا ابن آدم: استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه أستطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم: استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي» رواه مسلم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: ١٠]: «إنما هي عيادة المريض، وحضورُ الجنائز، وزيارة أخ في الله» قال النبي ﷺ في فضلها: «من عاد مريضاً لم يزل في خُرفة الجنة، قيل يا رسول الله: وما خرفة الجنة؟ قال: جناها» رواه مسلم، وقال ﷺ: «من أتى أخاه المسلم عائداً، مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غَمَرتْه الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح» رواه ابن ماجه.

بل إن عيادة المريض سبب من أسباب دخول الجنة، كما في سؤال النبي ﷺ الصحابةَ رضي الله عنهم بقوله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ فقال أبو بكر: أنا، فقال: من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ فقال أبوبكر: أنا، قال: من عاد منكم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة» رواه مسلم.

عيادة المريض هي من أعظم الأعمال أجراً، لأن فيها أنواعاً من الفوائد، فنوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على الزائر، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة.

وهو عنوان تكاتفٍ بين المسلمين دينياً واجتماعياً.

فاللهم إنا نسألك العفو والعافية، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا أبداً ما أبقيتنا.

أقول قولي...

الخطبة الثانية

هناك آداب ينبغي للزائر أن يتحلى بها عند عيادة المريض:

أولها: الإخلاص لله في أداء هذه الشعيرة، واستصحابُ ما يكون فيها من أجور للزائر، ونفعٍ للمزور، حتى ولو كان المريض لا يُدْرِك من زاره، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «مرضت مرضاً، فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فوجداني أغمي علي، فتوضأ النبي ﷺ، ثم صب وَضوءه عليّ فأفقت» رواه البخاري.

ثانيها: الدعاء للمريض بالدعاء النبوي فيقول: «**لا بأس طهور إن شاء الله**» رواه البخاري، أو كدعاء النبي ﷺ: «**اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً**» رواه مسلم.

ومن الأدعية المشروعة:

«**اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما**» متفق عليه.

ومنها: «**أعيذك بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**» رواه البخاري.

أو يُذكّرُ المريض بالدعاء، كما أمر النبيُّ ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ رضي الله عنه فقال: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ـ ثلاثاً ـ وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» رواه مسلم.

ثالثها: سؤال المريض أو أهلِه عن حاله، كما سأل الصحابة رضي الله عنهم

عليّ بن أبي طالب ﷺ عن حال النبي ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال: «أصبح بحمد الله بارئاً» رواه البخاري.

رابعها: أن تكون الزيارة في أول المرض، إذا لم يكن على المريض مشقة كما في الحديث: **«إذا مرض فعده»** متفق عليه، ولِمَا فيها من استباقٍ للخيرات، والأثر النفسي على المريض.

وإذا صاحب الزيارةَ دعوةٌ وتوجيهٌ فإن الأجر مضاعف، كما في زيارة النبي ﷺ للغلام اليهودي الذي يخدم النبي ﷺ فمرض، فعاده النبي ﷺ، فقعد عند رأسه فقال له: **«أسلم، فنظر الصبي إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»** رواه البخاري.

كما ينبغي للزائر أن يتحرى الوقت المناسب للزيارة، ويتحلى بتخفيف السلام، وتقليل الكلام، وتعجيل القيام إن كان ذلك يشق عليه.

وهي تُذَكِّر المرءَ بنعمة الصحة والعافية، حيث وهبك الله صحةً في بدنك، وسلامةً في عقلك، فاحفظها من الزوال بشكر المُنعِم سبحانه، وبملازمةِ الدعاء، كما كان النبي ﷺ يسأل ربه: **«العفو والعافيَة»** رواه ابن ماجه.

فاللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

الكرم

من أسماء الله «الكريم» وصفته الكرم، يرزق من يشاء بغير حساب، ويجازي العملَ القليلَ بالكثير: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعَام: ١٦٠]، وهو ﷻ يُجازي من أطاعه في سنين الدنيا القليلة بالنعيم المقيم، ومن كرمه ﷻ: أنه إذا وعد وفَى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يضره كم أعطى، و لمن أعطى، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى.

ومن كرمه: أنه يجيب دعوة الداعين، قال النبي ﷺ: «**إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً ـ أو قال ـ خائبتين**» رواه ابن ماجه.

فالله ﷻ يحب الكرم، قال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى كريم، يحب معاليَ الأخلاق، ويكره سفسافها**» رواه البيهقي.

والكرم من شيم الرجال، ومن خصال الأبرار، فإن الكريم هو الذي يهب المال لا لغرض جلب منفعة، أو تخليصٍ من مذمة، فالكريم من يوصل النفع بلا عوض.

وقد كانت العرب مشتهرةً بالكرم أيامَ الجاهلية، فَجَدُّ النبي ﷺ عبدُ المطلب، واسمه شيبة، و يقال له: شيبة الحمد لجوده، و جماعُ أمْرِ قريش إليه، و كان رجلاً كريماً، ووالدُ عبدِالمطلب ـ أيْ: جد والد النبي ﷺ ـ هاشم، واسمه عمرو، وسُمِّي هاشماً لهشمه الثريدَ مع اللحم لقومه في أعوام الجوع، والجد الخامس للنبي ﷺ اسمُه قُصيُّ بنُ كِلاب،

فَرَض على قريشٍ خَرْجاً سنوياً يؤدونه إليه لينفق منه على إطعام فقراء الحجاج.

والذي يَلُتُّ السَّويقَ للحاجَ ـ أي: يضع لهم طعاماً ـ كانت عبادة المشركين له لأجل عمله الصالحِ الذي كان يعمله، وهو إكرام حاج بيت الله.

وأكْرمُ البشرِ هم أنبياء الله ورسلُه عليهم السلام، فهذا إبراهيم حين جاءته الملائكة بالبشرى ـ قيل: بإسحاق، وقيل: بعذاب قوم لوط عليه السلام ـ جاء بِعْجِلٍ حنيذ، فأحسن إكرامهم، وأسرع في إطعامهم دون تأخير، كما وصف الله ذلك ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هُود: ٦٩].

فذبح لهم عجلاً، وشواه على الحجارة المُحْمَاة، ثم قرَّبه إليهم.

وأكرمُ من وطِئَ الثرى هو محمد ﷺ، كان أجودَ الناس، كما ذكر واصفوه ابنُ عباسٍ وأنسٌ رضي الله عنهم أنّ النبي ﷺ أحسنُ الناس، و كان أجودَ الناس، وذكر عليٌّ رضي الله عنه أنّ النبي كان أجودَ الناس كفاءةً، وأوسعَ الناسِ صدراً، وأصدقَ الناسِ لهجةً.

والدنيا في عين النبي ﷺ صغيرة، تأتيه الغنائم والعطايا ثم يوزعها على الناس، بل قال لهم يوم حنين «**لو كان عدد هذه العِضاهُ نَعَماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً**» رواه البخاري.

وقال ﷺ في صحيح البخاري: «**لو أن لي مثل أُحد ذهباً ما يسرني أن يأتي علي ثلاث ليال وعندي منه شيء، إلا شيء أرصده لدين**»، «وتُهدَى له شملةٌ منسوجةٌ فيها حاشيتها وهو محتاج لها، ثم يعطيها لغيره في نفس مجلسه» رواه البخاري.

«ولما أُتي له بمال عظيم من البحرين، قال: انثروه في المسجد، فكان أكثرَ مالٍ أُتي به لرسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً، قال: خذ، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع، فقال يا رسول الله: مر بعضَهم يرفعه لي، قال: لا، قال: فارفعه أنت علي، قال: لا، فنثر مِنْه، ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق، فما زال يُتْبِعه بصرَه حتى خفي علينا، عجباً من حرصه، فما قام رسول الله وثَمَّ منها درهم» رواه البخاري.

ولما خرج إلى الصلاة ـ في وقت توزيع مال البحرين ـ مَرَّ بالمال ولم يلتفت إليه، بل كان ﷺ من كرمه أنْ يَعِدَ الناسَ بالمال قبل أن يأتيه، كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«لو قد جاء مال البحرين، لقد أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً»** رواه البخاري.

قال ابن رجب رحمه الله: في وصف كرم النبي ﷺ: «إنه يعطي عطاءً يعجز عنه الملوكُ، مثلُ كسرى و قيصر، و يعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع».

وفقنا الله للبذل والعطاء في وجه المشروع.

أقول قولي هذا و استغفر الله لي و لكم..

الخطبة الثانية

أكرم الناس بعد نبينا محمد ﷺ صحابتُه رضي الله عنهم، فقد ربَّاهم رسول الله على البذل والعطاء، فقدَّموا أنفسهم ومُهَجَهم، وأرواحهم وأموالهم، وأولادهم في سبيل الله، ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه منافسته لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبِقُ أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً**» رواه أبو داود والترمذي.

وذكر ابن عمر رضي الله عنهما انه أهدى لرجل رأس شاةٍ فقال: إن أخي في الإسلام و عيالَه أحوجُ منَّا إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى آخر حتى رجعت إلى الأول بعد سَبْعةٍ.

ولما كان الكرم من أنواعه بذل المال للغير، أراد الشارع الحكيم أنْ يكون هذا البذل والعطاء لله، لا لثناء الناس عليه، ولذا قال ﷺ: **أوّل الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة، وذكر منهم: ورجل وسّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأتى به فعرّفه نِعَمه فَعرَفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه ثم أُلقى فى النار**». رواه مسلم.

فعلى المسلم أن يتحلى بصفات الأبرار كما وصفهم الله: ﴿وَيُطْعِمُونَ

ﭐلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسَان: ٨-٩]، والكرم لا يكون ببذل المال فقط بل بالأفعال أيضاً، وأكرم الأفعال ما يقصد به أشرفُ الوجوه، وأشرفها ما يقصد به وجهُ الله تعالى، ويحصل ذلك من المتقي، قال تعالى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحُجرَات: ١٣] قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كرم المؤمن تقواه».

ولذا قال النبي ﷺ في يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ إنه الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم، فوصف كلَّ واحد منهم بالكرم، لِمَا كانوا عليه من التقوى.

فكن كريماً ببذل مالك في أوجه الخير في حياتك، وفي وصيتك بعد مماتك.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

الصلاح

الصلاح والإصلاح سمةُ رسلِ الله عليهم السلام، قال الله في معرض ذكر أنبيائه عليهم السلام: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥]، وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦].

وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بأداء العمل الصالح فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، ولذا قال سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]. قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: ١٩]: «أي عملاً تحبه وترضاه».

وامتدح اللهُ أهلَ الصلاح فجعلهم مع أرفع خلقه منزلة، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، بل إن صلاح العباد يكون فيه النجاة من المهالك في الدنيا، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

ومن صَلَحت نفسُه سَعَد وأسْعَد ذريتَه مِن بعده، قال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، وهذا الأب هو الأب السابع، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يَذكر لهما صلاحاً».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «فيه دليل على أن الرجل الصالح يُحفَظُ في ذريته، وتشملهم بركةُ عبادته في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، وَرَفْع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة، لِتَقرَّ عينُه بهم، كما جاء في القرآن ووردت به السنة».

والله سبحانه يتولى أمر الصالحين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا التولي لهم جزاء صلاحهم وتقواهم»، قال النبي ﷺ «إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت» رواه الترمذي.

والعبد الصالح عند وفاته يَحْسن الظن بمولاه، ويوفَّق لحسن الخاتمة، وتَخْرج روحه سهلة من جسده، وجنازة العبدِ الصالح تختلف عن غيرها، قال النبي ﷺ: «أَسْرِعُوا بالجَنَازةِ، فَإِن تَكُ صالحةً فخيْرٌ تُقدِّمُونها إِليهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذلك فشرٌّ تضعونهُ عن رقابِكم» رواه أبو داود.

وإذا وضُع في القبر، ورجع المالُ والولد، وبقي العمل، فإن الميت لا ينتفع إلا من ثلاث، وكلُّها أعمالٌ صالحة، قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم.

ثم بعد ذلك يهنأ بالجزاء العظيم، كما وردت به الآيات والسنة، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بِشْرٍ، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: ١٧]» متفق عليه.

وقال سبحانه في ثواب من آمن وصَلَح عملُه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المَائدة: ٩]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وفقنا الله لعمل الصالحات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

الحياة السعيدة مصدرُها صلاحُ العملِ الموافقِ للشرع، الذي عمله المؤمن أو المؤمنة، قال الله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٧].

وإذا أدى العبدُ العملَ الصالح، فإنه الذي سيجني ثمرة عمله، قال سبحانه: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

فالعمل الصالح يلحق العبد في حياة المؤمن بركةً وتوفيقاً في عمره، وعمله، وماله، وولده، ويكون سالماً بإذن الله من الشرور، ومن أدى العمل بإخلاصٍ لله ومتابعةٍ للرسول ﷺ ظَفَر بمحبة الله، ومحبةِ ملائكته، وأهل الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مَريَم: ٩٦]، قال مجاهد رحمه الله: «أي: محبة الناس في الدنيا»، وقال ابن حيان رحمه الله: «ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقَه مودتَهم ورحمتَهم».

والمسلم لا يستصغر أداءَ العملِ الصالح مهما كان، قال النبي ﷺ: **«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»** رواه مسلم.

ولذا يحرص المسلم على أداء الأعمال الصالحة ـ كالمحافظة على الجُمَع والجماعات، وتلاوةِ كتاب الله الكريم، وأداءِ الحج والعمرة

ومتابعتِهما قدر الإمكان، وبذلِ الصدقة والإحسان، وملازمةِ مجالسِ العلماء، وحِلقِ الذكر، والاقترانِ بالمرأة الصالحة فإنها خير متاع الدنيا ـ، ويُكْثر من الدعاء بأن يوفقه للعمل الصالح المُتقبَّل كدعوة سليمان عليه السلام: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، أو بدعوة يوسف عليه السلام ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

اسأل الله عز وجل أن تكون أعمالُنا صالحةً وخالصةً لوجهه الكريم.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

البُخـــــل

خلق الله الخلق، وفاوت بين خَلْقهم وخُلُقِهم، مع أن أصل خِلقتهم من تراب ومن أب واحد وهو آدم، فظهر التفاوت في جميع صنوف الحياة، فتراهم متفاوتين في إمساك المال أو بذله، ففيهم المُنفِق والمُمسِك، وفيهم الكريم والبخيل، فالباذل لماله في وجهه المشروعِ هو مِنْ أَحَبِّ الناس، وأما المُمْسك مالَه في الوجه المشروعِ أو الواجبِ فهو مِنْ أبغضِ الناس، ويزيد قبحُه إذا زاد ماله.

وقد ورد في كتاب الله ذمُّ مَنْ بَخِل بماله، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٠]، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من خمس فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر**» رواه البخاري.

بل إن المَلَكين يدعوان كلَّ صبيحةِ يوم لكل من أنفق، قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً**» متفق عليه، قال ابن تيمية رحمه الله: «جميع بني آدم يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامةُ ما يَمدحُ به الشعراءُ في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبخل والجبن»، وقال أيضاً: «ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بيّن سبحانه أن من تولى عن

الجهاد بنفسه، أبدل الله به من يقوم بذلك، وكذلك في الإنفاق قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمَّد: ٣٨]».

والبخل درجات، وأشد درجاته أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة اليه، فكم من بخيل يُمسك المال ويَمْرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل، فكم بين مَنْ بَخِل على نفسه مع الحاجة، وبين من يُؤْثِر على نفسه مع الحاجة، فالأخلاق عطايا يضعُها الله ﷻ حيث يشاء.

والبخل نوعان: معنوي وحسي، فأما المعنوي فإن النبي ﷺ قال: «البخيلُ الذي من ذُكِرْت عنده فلم يُصلّ علي» رواه الترمذي والنسائي.

وأما الحسي فهو ضربان: بخل الإنسان بمقتنياته، وبخل بمقتنيات غيره، وهو أكثرها ذماً بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النِّسَاء: ٣٧]، وقد كانت سيرةُ النبي ﷺ مفعمةً بالكرم والسخاء، منتفياً عنها البخلُ والشح، قال النبي ﷺ من جملة ما ذكره للناس في حنينٍ يوم أَنْ قسم الغنائم: «لو كان لي عددُ هذه العَضَاه نَعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً» رواه البخاري، : «وكان ﷺ أجود الناس، وأجودُ ما يكون في رمضان» متفق عليه، وقد عُرفت سيرته ﷺ حتى قبل البعثة، قالت خديجة رضي الله عنها: «والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتَقْري الضيف، وتعين على نوائب الحق» متفق عليه. وتعوَّذ النبي ﷺ من البخل بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من البخل»رواه البخاري.

وهكذا ورثة الأنبياء عليهم السلام الدنيا في أعينهم حقيرة، فتراهم ضربوا أروع الأمثلة في البذل والإحسان، فهذا أبو بكرٍ يأتي بماله كلِّه في سبيل الله، وهذا عمُر يأتي بنصف ماله، وعثمانُ يُجَهز جيش العسرة رضي الله عنهم.

قال حُبيشُ بنُ مُبشر رحمه الله: «قعدت مع أحمدَ بنِ حنبلٍ ويحي بنِ معينٍ رحمهما الله والناس متوافدون، فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً».

وفي تعديل الرجال وجرحهم قال أبو حنيفة رحمه الله: «لا أرى أن أعدّل بخيلاً، لأن البخل لا يحمله على الاستقصاء، فيأخذ فوق حقه خيفةً من أن يُغبن، فمن كان هكذا لا يكون مأمونَ الأمانة».

فاللهم إنا نعوذ بك من البخل والجبن.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

في سيرة الرسول ﷺ أسوة حسنة للأمة كلِّها، فقد كان يَقْسِم الغنائم بين الناس، ثم بعد زمن يَرْبِط على بطنه الحجارة من شدة الجوع، فكان ﷺ باذلاً للمعروف داعياً له، مؤثراً على نفسه مع الحاجة إليه.

والمحروم من حُرم الصدقةَ والإحسانَ للخلق، قال الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]، قال: «البخلُ، أمسك الله أيديهم عن النفقة في سبيل الله، فهم لا يبصرون الهدى».

والمحروم أيضاً من حَرَمَ نَفْسَه صدقةً جارية، يوصِي بها من ماله بعد وفاته، قال النبي ﷺ: «أن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً عَلَّمه ونَشَره، وولداً صالحا تَرَكه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته» رواه ابن ماجه.

فطُرق الوقفِ متنوعةٌ بحسب قدرة الإنسان واستطاعته، وقد قام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتسبيل بئر رُومةَ، وحَبَسَ خالدُ بنُ الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَدْرُعه وأعتادَه في سبيل الله.

فاجعل يدك للخير باذلة في حياتك وبما توصي به بعد مماتك، فهو عنوان الجود والبذل.

فاللهم إنا نسألك صلاح القول والعمل.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

الرفـــــــق

أَمَر الإسلام بحسن المعاملة مع الآخرين، وأتى رسول الله ﷺ وحثَّ على الرفق، وغرس ذلك في قلوب دعاة دينه، فقال لعليٍّ وأبي موسى رضي الله عنهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا» متفق عليه، ووضع أساساً للنجاح بعد توفيق الله، فقال: «ما كان الرفق في شي إلا زانه وما نزع من شي إلا شانه» رواه مسلم، وقال النبي ﷺ: «من يُحْرم الرفقَ يُحرم الخير» رواه مسلم، قال الشيخ السَّعْديُّ رحمه الله: «من أسماء الله الرفيق في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعُه من الرفق، وشَرْعَ الأحكامِ شيئاً بعد شي، وجريانَها على وجه السداد واليسر، ومناسبةَ العباد وما في خَلْقه من الحكمة، إذ خَلَق الخَلْق أطواراً، ونقلهم من حالة إلى أخرى بِحِكَمٍ وأسرارٍ لا تحيط بها العقول، وهو تعالى يحب من عباده الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقا في أموره متأنياً».

والرفق هو مبدأ دعوةِ الرسل عليهم السلام، قال الله عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طـــه: ٤٣-٤٤]، ومن تأمل حال النبي ﷺ في أيامه ولياليه وجد الرفقَ شعارَه، بل إن الله عز وجل قــال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، وذكر مالكُ بنُ الحويرث رضي الله عنه خُلقَ النبيِّ ﷺ فقال: «أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهلنا قال: ارجعوا فكونوا فيهم،

وعلموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكبركم» رواه البخاري.

وكان يُعلِّم زوجاتِه رضي الله عنهن الرفق، فقال لعائشة رضي الله عنها: «ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق» رواه أحمد، وفي رواية له: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق».

وعندما أُخبر رسول الله ﷺ بقول عبد الله بنِ عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما: «لأقومن الليل، ولأصومن النهار ماعشت، قال: أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له: قد قلته يا رسول الله، فقال: فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وَنَم وقم، وصم الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثلُ صيام الدهر» متفق عليه.

وقصةُ بول الأعرابي في المسجد دليلٌ أن الرفقَ أساسُ قبولِ الأمر، فحين ثار الناس إليه ليقعوا به قال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء، أو سَجْلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين» رواه البخاري.

وقد كان النبي ﷺ رفيقاً بالناس حتى بالمشركين، فحينما عاد من ثقيفٍ إلى مكة ـ وهو مهموم، لم يناصروه، ولم يكتموا أمره، بل أوصوا الصبيان والمجانين أن يؤذوه، ـ أتاه جبريل عليه السلام ومَلَكُ الجبال، فسلَّم عليه وقال: إن شئتَ أن أطبق عليه الأخشبين ـ وهما جبلان عظيمان يحيطان بمكة ـ فقال النبي ﷺ: «لا، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله» متفق عليه.

فخرج من أصلابهم من فتحوا البلاد، ونفعوا العباد، ونشروا الإسلام في أنحاء المعمورة.

وفقنا الله لسلوك هدي رسوله.

أقول قولي هذا...

الخطبة الثانية

كما أن الرفق يكون مع الناس، فإنه يكون مع النفس أيضاً، رأى النبي رجلاً قد ظُلّل عليه، فقال ما له؟ قال: رجل صائم، فقال النبي ﷺ: «ليس من البر أن تصوموا في السفر» متفق عليه، ورأى النبي ﷺ رجلاً يهادى بين ابنيه قال: «ما بال هذا، قالوا: نذر أن يمشي، قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغني، وأمره أن يركب» متفق عليه.

ودخل النبي ﷺ على عائشةَ رضي الله عنها وعندها امرأة، فقال: «مَنْ هذه؟ قالت فلانة تَذْكر من صلاتها قال: مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تملّوا، وكان أحب الدِّين إليه ما داوم عليه صاحبه» متفق عليه.

وإذا كان المسلم يستطيع أداء العبادة على وجهها الشرعي دون مشقة عليه، فهذا باب خير خصه الله به، فليحرص عليه، وليداوم على فعله.

والرفق باب واسع، يشمل الأبَ والمعلمَ والتاجرَ والمسؤول، وكلٌّ على قَدْر عمله.

رزقنا الله الرفق في القول والعمل.

صلوا وسلموا...

❖ ❖ ❖

الغضب

خلق الله الخلق، وقَسَم أخلاقهم كما قسم أرزاقهم، فأوجد فيهم الحكيمَ والسفيه، والرحيمَ والغليظ، والكريمَ والبخيل، والحليمَ والغضوب.

والغضب من الصفات المذمومة التي نهى الشارع عنها، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: «**أوصني، فقال: لا تغضب، فردد مراراً، فقال: لا تغضب**» متفق عليه، قال ابن حجر رحمه الله: «هذا الرجل شديد الغضب، فأوصاه النبي ﷺ بما يناسبه»، قال الرجل: «ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله»، لأن الغضب مفتاحُ كلِّ شر، وهو عبارة عن فوران دم القلب إرادةَ الانتقام.

بل الغضبُ سببٌ لدخول النار، قال ابن القيم رحمه الله: «دخل الناسُ النارَ من ثلاثة أبواب: بابُ شبهة أورثت شكاً في دين الله، وبابُ شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وبابُ غضب أورث العدوان على خلقه».

وسبب الغضب غالباً: إما أن يكون في قلب المرء زُهُوٌ وإعجابٌ، وهَزْلٌ ومماراة، أو حَمِيةٌ عمياء.

والغضب منه ما يكون: محموداً ومذموماً، فالمحمود ما كان في جنب الدين والحق، والمذموم ما كان في غير الحق.

والله سبحانه يغضب وغضبُه محمودٌ، ومن ذلك غضبه على أعدائه

من اليهود، كما ذكر ذلك سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المَائدة: ٦٠]، وغضب أيضاً على المنافقين والمشركين الظانين بالله ظن السوء: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفَتْح: ٦].

وكذلك النبي ﷺ كان يغضب في بعض الأحيان لله ﷻ ولدينه لا لنفسه عليه السلام كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «رخَّص رسول الله ﷺ في أمر، فتنزه عنه ناس من الناس، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فغضب حتى بان الغضبُ في وجهه، ثم قال: ما بال أقوامٍ يرغبون عما رُخِّص لي فيه» رواه مسلم.

ودخل على عائشة رضي الله عنها وهي مستترة بِقِرام فيه صورة، فتلوَّن وجهه، ثم تناول السِّتر فهتكه، ثم قال: «إن من أشدِّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُشبِّهون بخلق الله» رواه مسلم.

وغضب يونس عليه السلام حين ذهب مغاضباً، قال القرطبي رحمه الله: «خرج مغاضباً من أجل ربه».

وغضب موسى عليه السلام على قومه حين بدلوا عبادة الله بعبادة العجل، كما ذكر المولى حالهم في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ﴾ [الأعرَاف: ١٥٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم...

الخطبة الثانية

لمّا كان العلم بالتَّعلم، والحِلْم بالتحَلُّم، جاءت الشريعة الإسلامية بأدوية حسية ومعنوية لتخفيف الغضب أو رفعه، منها:

ذكر الله تعالى، فإنَّ ذِكرَه سبحانه يدعوه إلى الخوف منه، ويقوده ذلك إلى طاعة مولاه، قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، قال عكرمة رحمه الله: «يعني: إذا غضبت».

وأن يتذكر الأخبارَ الواردةَ في فضل كظم الغيظ والحِلْم، فيمنعه ذلك من التشفي والانتقام، وينطفئ غيظه، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من كتم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره أي الحور شاء**» رواه ابن ماجه، وقال النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرَعَة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» متفق عليه.

وداء الغضب ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**» رواه أبو داود، أو بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، ففي حديث سليمانَ بنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قال: «استبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**» رواه البخاري.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرفها عنا سيئها إلا أنت.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

داء الحسد

دعا الله عباده المؤمنين إلى كريم الأخلاق، وحذرهم من رديئها، فمن الناس من زانه خلقُه، ومنهم من شانه صفةٌ من الصفات المذمومة، ومن الصفات التي يُذم صاحبُها ويَنْفُر منه فاعلُها داءُ الحسد، فإن أولَ معصية عُصي الله بها في السماء حسدُ إبليس لآدم عليه السلام على ما آتاه الله من الكرامات ـ مِنْ خَلْقه بيديه، وأَمْر الملائكة بالسجود له ـ وما وقع في الأرض من حسد قابيلَ وهابيل.

والحامل على التحاسد إما ازدراءُ المحسود، وإما إعجاب الحاسد بنفسه، كما قال إبليس معللاً لامتناعه من السجود: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، قال ابن القيم رحمه الله: «وهل مَنع إبليسَ من السجود لآدم إلا الحسد؟!، فإنه لما رآه قد فُضِّل عليه ورُفع فوقَه، غَصَّ بريقه، واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة».

وقد حسد المشركون رسولَ الله ﷺ على نعمة الوحي فقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزّخرُف: ٣١]، ولما حسد أهل الكتاب المسلمين على نعمة الإسلام أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۞ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

ومن خصال اليهود الحسد، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ

﴿لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [البَقَرَة: ١٠٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحسد حَمَلهم على الجحود برسالة الإسلام».

وقيل: إن المعوذات في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: ٥] نزلت بسبب حسد اليهود للنبي ﷺ حتى سحروه ـ سحره لبيد بن الأعصم اليهودي ـ كما حسد اليهودُ طالوتَ بقولهم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٧] فالحاسد يرى أن المحسود قد فُضّل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيُره، فلا يدعه الحسدُ أن ينقادَ له ويكونَ من أتباعه، بل يتمنى زوالَ نعمةٍ من مستحق لها، وربما سعى في إزالتها، قال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ وكان معروفاً بدهائه مع رعيته ـ: «كل الناس أَقْدُر على رضاه إلا حاسدَ نعمةٍ، فإنه لا يرضيه إلا زوالُها».

وقد حذّر النبي ﷺ من الحسد في أحاديثَ كثيرةٍ، لأنه بوابةٌ للتباغض والتدابرِ وضعفِ قوةِ المسلمين وشتاتِهم، قال ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**سيصيب أمتي داء الأمم، قالوا: يا نبي الله! وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا، والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج ـ أي القتل ـ**» رواه ابن ماجه، وعند الترمذي: «**دَبَّ إليكم داءُ الأمم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»، وقال ﷺ: «**لا يزال الناس بخير مالم يتحاسدوا**» رواه الطبراني، وقَلْب الحاسد قلب مريض، فلا محبة لنعمةٍ قدَّرها الله للمحسود، بل كُرهٌ وبغضٌ لأخيه المسلم، ولذا قال النبي ﷺ «**ولا يجتمعان في قلب عبد، الإيمان والحسد**» رواه النسائي.

قلب الحاسد قلب ضعيف متسخط من الأقدار، فلا قبولَ ولا تسليمَ لحكمة الله في عباده، بل تجده يلهث خلف ما أنعم الله به على عباده من نعم الدنيا، فأصبحت الدنيا شُغْلَه، غافلاً عن الآخرة، ولذا قال أبو الدرداء ﵁: «ما أكثرَ عبدٌ ذِكَرَ الموت، إلا قل فرحه، وقل حسده».

الحاسد يقتله الحسد قبل أن يصل إلى الحسود، ويكفيك من الحاسد أن يغتمَّ في وقت سرورِ المحسود، بل قد يكون نفعُ المحسود على يد الحاسد.

وإذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُويتْ أتاح له لسانَ حسودِ

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

أثنى الله تعالى على الأنصار لمّا لم يكن الحسدُ في قلوبهم تُجاه ما آتى إخوانَهم المهاجرين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحَشر: ٩].

وخطر الحاسد ليس على نفسه فحسب، بل قد يتعدى للمحسود، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما كانت نعمةُ الله على أحد إلا وجَّهَ لها حاسداً».

فعلى المسلمِ اللبيبِ أن يسعى جاهداً لدفع شر الحاسد، بالتعوذ بالله من شره، والتحصنِ بالأدعية والأوراد الشرعية في صباح كلِّ يوم ومسائه، والصبرِ على الحاسد وما يفعله، ولذا قيل:

اصبر على حسد الحسود فإنّ صبرك قاتلُه فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكلُه

وأن يُقْبِلَ على الله بتوبة نصوح، فقد يكون قد تُسُلِّط عليه بسبب ذنب أصابه، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورىٰ: ٣٠]، وعليه أن يكثر من الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، والعينِ، وشرِّ الحسد، ومن غَلَب نفسَه، وقابَلَ الحاسدَ بالإحسان إليه، فهو الموفَّق لتخفيفِ حَسَدِ الحاسدين.

ثم اعلموا أن التنافس في أعمالِ الخير والمسارعةِ إليها لا يكون من باب الحسد، كما في قول النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه

الله مالًا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» متفق عليه.

والحسد في الحديث هو الحسد المحمودُ أو الممدوحُ، لأنه حسدٌ على فعل الخير، بتمني المماثلة في أداء الخير، لا بتمني سلبِ الخير عن الغير، كأن يقول: لا غبطةَ أعظمُ أو أفضلُ من الغبطة في هذين الأمرين، حيث لا شيءَ أرفعُ من هاتين الحالتين، وقد بَوَّب الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ: بابُ اغتباطِ صاحبِ القرآن، وَذَكر الحديثَ بلفظ: «**لا حسد إلا على اثنتين، رجل آتاه الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار**».

والغبطة تفتح باب التنافس بين المسلمين وفيه ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفِين: ٢٦] وأما الحسد المذموم فإن الضرر يعود إليه، إذ ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فَاطِر: ٤٣].

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

الفـــأل

الحياة بعد أن أهبط اللهُ آدمَ عليه السلام إلى الأرض حياةٌ فيها نَصَبٌ وشدة، قال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]، وخلق الله الإنسان في كَبَدٍ وشدةٍ وطلبِ معيشة، والمرء في هذه الحياة يعتريه أفراحٌ، وأتراحٌ، وسعادةٌ، وبُئسٌ، ويسر وعسر، والمخفِّفُ لها ولآلامها، هديُ الرسول ﷺ في حسن التعامل معها، فقد لاقى شدةً، وأذى، وتَسَلُّطاً من الأعداء.

وكان من هديه مع ذلك كلِّه الفأل، لأنه حسنُ ظَنٍّ بالله، قال النبي ﷺ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة**» رواه مسلم.

والتفاؤل نابع من إيمان، ويقين، لأن مُصَرِّفَ الأمورِ هو اللهُ اللطيفُ بعباده، يُصرِّفها كيف شاء بعلمه وحكمته، وييسرها بإرادته ومشيئته، فيجعل بعد الخوف أمناً، وبعد العسر يسراً، وبعد الضيق فَرَجاً، وبعد المرض عافية، قال النبي ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إنَّ أمره كلَّه خير، وليس ذاك إلا للمؤمن**» رواه مسلم، فخليل الرحمن صار شيخاً كبيراً ولم يُرزق بولد، فدفَعَه حسنُ ظنه بربه أن يدعوَه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٠]، فوهب الله له إسماعيلَ وإسحاق، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ويعقوبُ عليه السلام فَقَدَ يوسفَ ثم ابنَه الآخرَ فقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]، وأوصى أبناءه ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن

﴿يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يُوسُف: ٨٧].

وأمثلةُ الفأل في حياة رسول الله عديدة منها:

ما قاله لخباب بنِ الأرتِّ رضي الله عنه وهو في أَوْجِ الشِّدة التي يلقاها من المشركين «وليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا اللهَ والذئبَ على غنمه» رواه البخاري.

وفي غزوة الأحزاب يظهر الفأل جلياً، ففي وقتٍ شديدٍ عصيب، وصفه الله بقوله ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزَاب: ١٠-١١]، ومع ذلك يُبَشِّر النبي ﷺ أصحابه بفتح المدائن، فحين اعترضت صخرةٌ أثناء الحفر، قال النبي ﷺ: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحُمُر الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيضَ، ثم ضرب الثالثة وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء» رواه ابن أبي شيبة، وقد ذكر الله مقولة المنافقين حينها ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزَاب: ١٢].

بل كان متفائلاً برسل المشركين، فلما أرسلت قريشٌ سهيلَ بنَ عمروٍ إلى النبي ﷺ عام الحديبية، قال النبي ﷺ لما رآه: «سَهُلَ أمرُكم».

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب،عن أبيه، أن «أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال ما اسمك؟ قال حَزنَ، قال: أنت سهل، قال: لا أُغير اسماً اسمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد» رواه البخاري.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد جُعل في غرائز الناس الإعجابُ بسماع الاسم الحسن، ومحبتِه، وميلِ نفوسهم إليه، وكذلك جُعل فيها الارتياح، والاستبشار، والسرور، باسم السلام، والفلاح، والنجاح، والتهنئة، والبشرى، والفوز، والظفر، والغُنم، والربح، والطَّيب، ونيل الأمنية، والفرح، والغوث، والعز، والغنى، وأمثالها، فإذا قَرَعت هذه الأسماءُ الأسماعَ استبشرت بها النفس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب، وإذا سمعت أضدادها، أوجب لها ضد هذا الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفاً، وطيرة، وانكماشاً، وانقباضاً عما قُصِدَت له، وعزمت عليه، فأورث لها ذلك ضرراً في الدين ونقصاً في الإيمان».

شرح الله صدورنا ويسر أمورنا.

أقول قولي...

الخطبة الثانية

التفاؤل من هدي سيد المرسلين ﷺ وهو ثقةٌ وقضاءٌ برب العالمين، يولِّد العزيمة والنشاط، ويجلب السعادة للنفس، ويُفْرِح قلب المؤمن، ويُدخل السرور فيه، وفيه تقوية للعزائم، وباعثٌ للعمل، وهو حسن ظنٍّ بمولاه، وقد ورد في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي» متفق عليه، وفي رواية أحمد: «فليظن بي ما شاء».

والمتفائل يعلم أن بعد كل عسر يسراً، وبعد كل شدة فرجاً، وبعد كل مرض عافية، فينعم بحياته، فإن تحققت وإلا لم يهتم ويغتم.

والعالِم بحال الحياة يعلم أنها قصيرة، فلا تُقصَّرها بالهموم والغموم،والتشاؤم والطيرة، فإنَّ مَن أَبْصر الحياة بالتشاؤم لن يصنع مجداً، ولن يبني داراً، والمؤمن الحق من يعمل بجد وإخلاص، وعزيمة وإصرار؛ وتفاؤل وتوكل، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

وفقنا الله لحسن الظن به.

صلوا وسلموا.

❖ ❖ ❖

متفرقات

كمال الخالق وأفضل الخلائق

يبحث المرء في هذه الدنيا عن الكمال والتمام، ويسعى في تحصيله، ويُفني عمرَه في إيجاده، وبعد البعثة النبوية المباركة تجلت صنوفُ الكمالِ والجلالِ في كتاب الله وعلى لسان رسوله ﷺ.

والله سبحانه لا أكملَ ولا أجلَ ولا أعظمَ منه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فهو سبحانه: ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له الخلق والأمر، ولا معقب لحكمه، لا يُمانَع ولا يُخالَف، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي خلق فسوى، وأعطى كلَّ شي خَلْقَه ثم هدى، وقد ذكر الله وصف المشركين: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [يس: ٧٤-٧٥] أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل، وأحقرُ وأذل، بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل، وأُجملت قواعدُ صفات الله ﷻ في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومقام الرسالة والنبوة أعلى المراتبِ وأجلُّها، وأهلها هم صفوة الخلق، قال ابن تيمية رحمه الله: «فضّل الله النبيين بعضَهم على بعض، وفضّل الرسلَ على غيرهم، وأولو العزم أفضلُ من سائر الرسل».

ونبينا محمد ﷺ هو أفضلهم، قال ﷺ **«أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفَّع»** رواه أبو داود، وقال

رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**» رواه مسلم.

قال البيهقي رحمه الله: «في مَعرِض ذِكْرِ فضل النبي ﷺ: «منها شرفُ أصله، و طهارةُ مولِده، ومنها إشادة الله تعالى بذكره قبل أن يخلقه حتى عَرفَهُ الأنبياءُ صلوات الله عليهم وأُممُهم قبل أن يَعرِفَ نفسَه وتعرفه أمَّتُه، ومنها حُسْن خَلْقه وخُلُقه، وهو صاحبُ اللواء المحمود، وصاحبُ الحوض المورود، وأقسم الله بحياته، ولم يخاطبه باسمه في القرآن ولا كنيتِه، بل دعاه باسم النبوة والرسالة».

بل فضّله الله على بقية إخوانه الأنبياءِ بخصالٍ قاربت ستين خصلة كما قاله أبوسعيدٍ النَّيسابوريُّ رحمه الله.

ومكانة الدين الإسلامي عظيمة، فهو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لنا، قال سبحانه: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]، فلا يقبل الله من أحد ديناً سواه ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ يهودي ولا نصراني ـ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**» رواه مسلم، وقال النبي ﷺ: «**طوبى لمن هدي للإسلام**» رواه الترمذي.

وأفضل القرون قرنُ الصحابةِ رضي الله عنهم، ثم القرون الثلاثة التي تليه، قال النبي ﷺ: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» متفق عليه، قال ابن تيمية رحمه الله: «إنهم أفضل الأمة عقلاً، وعلماً، وفقهاً، وديناً»، وقد أحسن الشافعيُّ رحمه الله في قوله: «هم فوقَنا في

كلِّ فقهٍ وعلم، ودين وهدى، وفي كل سبب ينال به علم وهدى، ورأيهم لنا خيرٌ من رأينا لأنفسنا»، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فضَّل الله السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على غيرِهم، وكلُّهم أولياء الله، وكلُّهم في الجنة، وقد رفع الله درجاتِ بعضِهم على بعض».

وصحابة رسول الله ﷺ: أفضلهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهو أفضل الصحابة على الإطلاق، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليُّ بنُ أبي طالب، ثم العشرةُ المبشرون بالجنة.

واتفق أهلُ السنةِ والجماعة على تفضيل المهاجرين على الأنصار، وأهلِ بدرٍ على غيرهم، ومن بايع تحت الشجرة ممن لم يحضر البيعة، فهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقبِ المأثورة، والفضائلِ المذكورة، وليس هذا التفضيل يؤدي إلى استنقاص أحدٍ منهم، بل لكلٍّ منهم منزلةٌ وفضل ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحَديد: ١٠].

وأما الملائكة: فأفضلُهم جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لشرف عمله، فهو مُوكَّلٌ بالوحي من الله تعالى إلى رسل الله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣]، وقد وصفه الله بالقوة والأمانة على تأدية مهمته، وخصه الله بالذكر في سورة القَدْر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القَدر: ٤] للدلالة على شرفه وعلوِّ فضله عليهم، وقد كان النبي ﷺ في صلاة الليل يقول: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل**» وهؤلاء الثلاثةُ المذكورون هم أفضل الملائكة.

وأفضل الكتب المنزلة القرآن العظيم، قال الله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ١-٢]، ومعنى ﴿قَيِّمًا﴾ أي: قيماً على ما قبله من الكتب السماوية، أي مهيمناً عليها، ويبين هذا التفسيرَ قولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

﴿يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، ولأجل هيمنته على ما قبله من الكتب قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [النَّمل: ٧٦].

وقد اجتمعت هذه الفضائلُ العظيمةُ في هذا القرآن الكريم، فهو أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بَضْعة فيه وهي قَلبُه، في أفضل شهر، وأعظم ليلة، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحِها، وأشملها بياناً، وهو: اللسان العربي.

وأفضل الأمم: أمةُ محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠]، وهذه الأمة لها مزية كبرى، ومِنَّةٌ عظمى، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده! إني أرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة، فكبَّرنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة، فكبَّرنا، فقال: أرجو أن تكونوا نِصف أهل الجنة، فكبَّرنا، فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاءَ في جلد ثور أسود» متفق عليه، وهذه الأمة المباركة تشهد على باقي الأمم، قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلغتَ؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣]» رواه البخاري.

وأما أفضل أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله فمكة، قال النبي ﷺ عن مكة: «والله إنك لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منكِ ما خرجت» حديث صحيح على شرط الشيخين، وهي

أيضاً أحب أرض الله إلى رسول الله ﷺ كما في قوله «**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي، والله لولا أني أخرجت منك ما خرجت**» رواه الترمذي والنسائي.

ثم بعد مكة في الفضل المدينةُ النبوية، قال النبي ﷺ: «**إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة**» متفق عليه، وقال ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حُمَّاها، فاجعلها بالجحفة**» متفق عليه.

وأفضل الشهور شهرُ رمضان، وأما الأيام فأفضلها عشر ذي الحجة، وأفضل الليالي ليلة القدر.

وأعدل الأحكام حُكمُ الله، ومِنْ أَصْلِ إيمان المؤمن الحكمُ والتحاكمُ بشريعة الله لا بغيرها، قال سبحانه ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، قال ابن القيم رحمه الله: «فأخبر سبحانه وتعالى أنه ليس وراءَ ما أنزله إلا اتباعُ الهوى، الذي يضل عن سبيله، وليس وراءَ حُكمِه إلا حكمُ الجاهلية»، وقال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]: «أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لمن عَقَلَ عن الله شرعَه، وآمن به، وأيقن وعَلِم أن الله أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادرُ على كل شيء، العادلُ في كل شيء».

وفقنا الله لطاعته.

أقول قولي....

الخطبة الثانية

الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين درجات، وأصحابها يتفاوتون في منازلها على قدر أعمالهم، وأفضلها الفردوس الأعلى، قال النبي ﷺ «إن في الجنة مائةَ درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، أُراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تُفَجر أنهار الجنة» رواه البخاري.

وأَلذُّ النظر هو النظر إلى وجه الله الكريم، قال النبي ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ» رواه مسلم.

والدنيا متاع، قال رسول الله ﷺ: «الدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم، قال القرطبي فُسِّرت في الحديث بقوله: «التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»، قال المناوي رحمه الله في قوله تعالى: «﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤] الآية، : «وتلك السبعة هي ملاذُّها وغايةُ آمال طُلَّابها، وأعمها زينةً وأعظمها شهوةً النساء، لأنها تحفظ زوجَها عن الحرام، وتُعِينه على القيام بالأمور الدنيوية والدينية، والمراد بالصالحة النّقية المُصلحة لحال زوجها في بيته، المُطيعة لأمره».

وفقنا الله لهداه، وجعل عملنا في رضاه.

صلوا وسلموا...

الفتن

كانت العرب تعيش قبل البعثة فتناً وبلايا، وقتلاً ورزايا، فلما أتت رسالةُ الإسلام جمعت القلوب، ووحدت الصفوف، فأصبح الناس يعيشون في أمن وأمان وإيمان، وأخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان: «**يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقَى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله أيم هو؟ قال: القتل القتل**» رواه البخاري، والمراد من ظهور الفتن: كثرتها وانتشارها.

ولما كانت الفتن تحيّر القلوب، وتُفرِّق الجموع، وتُضْعِف القوى، وتُسلِّط الأعداء، استعاذ النبي ﷺ بالله منها في صلواته، ودعواته، بل كان يُعلِّم الصحابةَ رضي الله عنهم الاستعاذة بقوله: «**اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ونعوذ بك من عذاب القبر، ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات**» رواه أبو داود.

والفتنة لا تعرف زمناً، ولا سِنًّا، ولا جنساً، ولا قُطْراً، وهي تُعْرَض على قلوب العباد، كعرض الحصير عوداً عوداً، قال النبي ﷺ: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشربَها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، أبيضُ مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخرُ أسودُ مِرْباداً كالكوز مجَخِّياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه**» رواه مسلم.

والفتن كثيرة ومتعددة، منها شبهات، وشهوات، وفيها صغار، وكبار، بل وصف ابن عمر رضي الله عنهما أن من الفتن ما تموج كما يموج البحر، وقال حذيفة رضي الله عنه: «الفتن منهن ثلاث: لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار».

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم تنوع الفتن بقوله: «**كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بَعَرض من الدنيا**» رواه مسلم، قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا لعِظَم الفتن، ينقلب الانسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب».

وقد تأتي الفتن بمهلكة الإنسان، وقد تتدرج به، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**تجئ فتنة فيرقق بعضها بعضاً، تجئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه**» رواه مسلم.

وأول هذه الفتنِ الظاهرةِ للأمة مقتلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن حذيفة رضي الله عنه: «**أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيكم يحفظ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ كما قال، قال: هاتِ، إنك لجريء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر، قال يا أمير المؤمنين! لابأس عليك منها، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: يفتح الباب أو يكسر؟ قال: لا، بل يكسر، قال: ذاك أحرى أن لا يغلق، قلنا عَلِم الباب؟ قال نعم، كما أن دون غدٍ الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله، وأمرنا مسروقاً فسأله، فقال مَن الباب؟ قال: عمر**» رواه البخاري.

وآخر الفتن فتنةُ الدجال، وإذا ظهرت الفتنة عمَّت وطمَّت إلا من رحم الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**والذى نفسى بيده! ليأتين على الناس زمان لا**

يدرى القاتل فى أي شىء قتل، ولا يدرى المقتول على أي شيء قُتل» رواه مسلم.

ومن الفتن المكانية فتنةُ المشرق، قال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الفتنة من ها هنا، وأشار إلى المشرق**» رواه البخاري، وعند مسلم: أن ابنَ عمرَ سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا، مِنْ حيث يطلع قرن الشيطان**».

والفتن متنوعة، فتنة المال، والولد، والزوجة، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفَال: ٢٨]، فالأموال والأولاد فتنةٌ يُختبر الناسُ بها، هل يكون المال والولد سبباً للوقوع فيما لا يرضى الله أم لا؟.

والفتن تَصْقُل معدن الرجال، فيُعلم الصادق من الكاذب، قال راهبٌ لسعيد بن جبير رحمه الله: «يا سعيد! في الفتنة يتبين مَن يعبد الله ممن يعبد الطاغوت». وأتى رجلان لابن عمر رضي الله عنهما في فتنة ابن الزبير فقالا: «إن الناس صنعوا ماترى، وأنت ابنُ عمرَ صاحبُ رسولِ الله ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم علي دم أخي المسلم، فقالا: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٣] قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله».

ولما كانت الفتن بهذه الخطورة على المسلم في دينه، وضررُها على المسلمين عظيم، ذكرَ العلماءُ أسباباً للوقاية من الفتن على اختلافها:

أولاها: الحصن الحصين، كلام رب العالمين، فهو الدواء الناجح للوقاية من الفتن، فَمَن عَمَر وقتَه آناءَ الليل وأطرافَ النهار بكلام رب

العالمين حُفظ من الفتن، قال ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال» رواه مسلم، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتابَ الله وسنةَ نبيه ﷺ» رواه الحاكم، ووصى النبي ﷺ حذيفة رضي الله عنه بكتاب الله قال حذيفة رضي الله عنه: «قلت يا رسول الله! هل بعد هذا الخير شر؟ قال فتنة وشر، قال: قلت يا رسول الله! هل بعد هذا الشر خير؟ قال: يا حذيفة! تَعلَّم كتاب الله، واتبع ما فيه، ثلاث مرار» رواه أبو داود، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الاخرة، قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]».

ثاني هذه الأسباب: ملازمة العلماء العاملين، والنهلُ من علمهم، والتخلقُ بأخلاقهم، والتأدب بآدابهم، فهم ورثة الانبياء، يُبيِّنونَ الشريعة، ويُوضحون الأحكام، ويُحذرون من الشرور، قال الحسن رحمه الله: «الفتنة إذا أقبلت عَرَفها كلُّ عالم، وإذا أدبرت عَرفَها كلُّ جاهل»، ولذا أمر الله بسؤال أهل العلم، لأن زمن الفتن يكثر اتِّباعُ الهوى والبعدُ عن الصواب، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

فإذا قلَّ العلم ظهرت الفتن، قال النبي ﷺ: «إن بين يدي الساعة أياماً يُرفع فيها العلم، ويَنزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج: القتل» متفق عليه، وعند البخاري: «إن من أشراط الساعة: أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأةً القيمُ الواحد».

وبذهاب العلماء يظهر الأئمةُ المضلون، وفي الصحيحين: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلَّوا وأضلُّوا»، وفي البخاري: «فيبقى ناس جهال يُسْتَفْتون، فيُفْتُون برأيهم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون» ولذا خاف النبي ﷺ على أمته منهم: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» رواه أبو داود.

فاللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

السبب الثالث من الأسباب الواقية ـ بإذن الله ـ من الفتن: التعوذ بالله من الفتن، في الصلوات أو في الدعوات عموماً، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله دبر الصلاة بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر» رواه البخاري.

ويتعوذ النبي ﷺ تعوذاً عاماً من الفتن، كقوله ﷺ: «تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال» رواه مسلم.

ورابع هذه الأسباب: الدعاء، قال أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا نبي الله! آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء» رواه الترمذي وابن ماجه، وعند أبي داود أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم إنى أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر الغنى والفقر»، فالدعاء سببٌ في دفع البلاء والفتن، وسببٌ في العصمة من الضلال.

وخامس هذه الأسباب: الحرص على أداء العبادات، قال النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً

ويمسى كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه مسلم، وقال ﷺ: «**العبادة فى الهرج كهجرة إلي**» رواه مسلم، قال النووي رحمه الله: «سبب كثرة فضل العبادة في الهَرْج، أن الناس يغفلون ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد»، وقال القرطبي رحمه الله: «المتمسك في ذلك الوقت، والمنقطعُ إليها، المنعزلُ عن الناس، أجره كأجر المهاجر إلى النبي ﷺ؛ لأنه ناسبه من حيث أن المهاجِرَ فرَّ بدينه ممن يصده عنه للاعتصام بالنبي ﷺ، وكذا هذا المُنْقطِع للعبادة، فَرَّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو في الحقيقة قد هاجر إلى ربه، وَفَرَّ من جميع خلقه».

وسادس هذه الأسباب: لزوم جماعةِ المسلمين وإمامِهم، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامَهم؟ قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرقَ كلَّها ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»، رواه البخارى ومسلم.

وسابع أسباب الوقاية من الفتن: الصبر عند تغير الأحوال، فقد صبر النبي ﷺ وصابر في مكة، وفي المدينة، وفي غزواته، وعلى أذى

المنافقين، وجفاء الاعراب، لذا أعد الله للصابرين أجراً عظيماً بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠]، وقال النبي ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» رواه ابن ماجه، والصبر على أذى الناس وتحمُّلهم من الواجبات التي لابد للعالِم أن يوطن نفسه عليها، ويُميز الله بها الصابرَ الصادق.

وقد خالط النبيُّ ﷺ الناسَ وقال الله له: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «خالطوا الناس وزايلوهم في الأعمال»، وعن عمرَ مثلُه وزاد: «وانظروا ألّا تَكْلِمُوا دينَكم».

وثامن وسائل الوقاية من الفتن: اعتزال الناس، قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن» رواه البخاري، وقال ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات» رواه أبو داود، وقال النبي ﷺ: «تكون فتنٌ على أبوابها دعاةٌ إلى النار، فَأَنْ تموت وأنت عاضٌ على جِذْل شجرةٍ خير لك من أن تتبع أحداً منهم» ابن ماجه.

وقد أخبر النبي ﷺ حال الناس في الفتن فقال: «ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يَشْرُف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به» متفق عليه، قال ابن حجر رحمه الله: «في الحديث التحذيرُ من الفتنة، والحثُّ على اجتناب الدخول فيها، وأن شرَّها يكون بحسب التعلق بها، وحالُ الصحابة عند ظهور الفتن هو أبلغ فعلٍ عند الاختلاف، فمنهم من قعد عن الدخول في

القتال بين المسلمين كابن عمر رضي الله عنهما ومن كان على شاكلته، وقد لزمت منهم طائفةٌ البيوت، وارتحلت طائفةٌ عن بلد الفتنة».

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ويل للعرب من شر قد أقترب، أفلح من كف يده**» رواه أبو داود.

حفظنا الله والمسلمين من الفتن.

❖ ❖ ❖

عداوة الشيطان

ذكر الله عداوةَ مخلوقٍ من مخلوقاته، شديدَ العداوة، لا يَكلّ ولا يَملّ، عادى الخلائق، وعصى الخالق ﷻ، إنه إبليسُ اللعينُ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤]، له صولةٌ وجولةٌ في إضلال عباد الله، وله ولأتباعه شأن في استراق السمع، قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۞ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ۞ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾ [الحجر: ١٦-١٨]، فالشياطينَ يَرْكب بعضُهم على بعض إلى السماء الدنيا، ويستَرِقُون السمع من الملائكة، فيُرْمون بالكواكب فلا تخطيء أبداً.

وإبليس له مع أبي البشر آدمَ عليه السلام خَطْبٌ وخِطاب، حتى أخرجه من دار النعيم، قال ابن كثير رحمه الله: «أباح الله لآدمَ عليه السلام ولزوجته حواءَ الجنة، أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرةً واحدة، فعند ذلك حسدهما الشيطان، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة ليَسلُبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن، وقال كذباً وافتراء: ما نهاكما ربكما عن أكل هذه الشجرة إلا لتكونا مَلَكين أي: لئلا تكونا ملكين، أو خالدين هاهنا، ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢١] أي: حلف لهما بالله: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] فإني مِنْ قَبْلكما هاهنا وأعلم بهذا المكان، حتى خدعهما».

وعداوة الشيطان ليس مع آدم عليه السلام فحسب، بل هو مع جميع الأنبياء عليهم السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وله مع نبينا ﷺ كذلك كما قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكل به قرينه من الجن قالوا: وإياك؟ يا رسول الله، قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**» رواه مسلم.

وأما عداوته لعموم الأمة فقد بينها الله بقوله سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وبيَّن النبي ﷺ وصفَ صنيعه مع جنده فقال: «**يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجئ أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صنعتَ شيئاً، قال: ثم يجئ أحدهم فيقول: ما تركتُه حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيُدنيه منه، ويقول: نَعَم أنت**»، قال الأعمش: أُراه قال: فيلتزمه» ـ أي يضمه إلى نفسه ويعانقه ـ رواه مسلم.

وعداوته لا يسلم منها أحد حتى الكفار، قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ [مريم: ٨٣] أي: تغويهم إغواءً إلى فعل المعاصي.

فعداوته أزلية قوية من عهد آدم إلى يوم القيامة، ومِنْ مولد الإنسان إلى وفاته، كما بينها سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [صٓ: ٨٢-٨٣].

وعداوته لا يسلم منها عالمٌ ولا عابد، ولا رجل ولا امرأة، ولا حتى الصبيُّ حال ولادته، قال النبي ﷺ: «**ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غيرَ مريمَ وابنِها**» رواه البخاري، قال القرطبي: «هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط»، والشيطان: ﴿عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [القصص: ١٥] وهو: **يبلغ من**

الإنسان مبلغ الدم كما في الحديث المتفق عليه، والسبل التي يسلكها الشيطان مع عباد الله كثيرة، وعديدة، وخطيرة.

وقد التزم الشيطان - لعنه الله - في عداوته للناس في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النِّسَاء: ١١٩]، وذكر أنه سيبذل جهده في إضلال بني آدم حتى يُضِل أكثرَهم، قال تعالى إخباراً عنه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعرَاف: ١٦]، وعند عدم طاعته ووصوله إلى مبتغاه فإنه يسلك ما يمكن أن يفعل، قال النبي ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**» رواه مسلم، والتحريش بينهم يكون: بالخصومات، والحروب، والفتن، وغيرها.

وأما خاتمة الشيطان مع أتباعه فهي عجيبة، تدل على مكره بهم، ففي الدنيا كما في غزوة بدر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفَال: ٤٨]، فقد رأى الملائكة الكرام، وهي لا تنزل إلا بالنصر لمن تناصره، والشيطان خذول بطبعه للإنسان خذول عند نزول العذاب والبلاء، قال ابن كثير رحمه الله في خذلان الشيطان للإنسان -: «يخذله عن الحق، ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل، ويدعوه إليه».

وفي الآخرة قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] عندما دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، واجتمعوا عليه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وأَجْمَلَ اللهُ مصيرَ من اتبع الشيطان ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النِّسَاء: ١١٩]، وتلك خسارة لا جَبْر لها، ولا استدراك لفائتها، لأن النار مصيرُه، قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحَجّ: ٤].

والله سبحانه يُقَرِّع الكفرة الذين أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يٓس: ٦٠]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يٓس: ٦١].

وفقنا الله لطريقِه المستقيم، والبعدِ عن طريق الشيطان الرجيم.

أقول...

الخطبة الثانية

مع هذا العداء والقوة والتسلط الشيطاني للإنسان، إلا أن الله وصف كيدَ الشيطان ومكرَه بالضعف والهوان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّسَاء: ٧٦].

والله أمر بمعاداة الشيطان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فَاطِر: ٦] ومعاداتُه تكون بطاعة الله.

وحذَّر الله عبادَه المؤمنين فيما يُزيِّن لهم الشيطان ويملي لهم، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النُّور: ٢١]، وبين أن غايته ومبتغاه هو أنه ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النُّور: ٢١].

وأعظم ما يُصْرَف به كيدُ الشيطان توحيدُ الله وإخلاصُ العبادة له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النّحل: ٩٩-١٠٠]، ومما ينصرف به الشيطان سماع النداء بالصلاة، قال النبي ﷺ: «**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء**» رواه مسلم، ـ والروحاء: تبعد عن المدينة ستة وثلاثين ميلاً ـ.

ومما يعصم المسلمَ من الشيطان الرجيم المحافظةُ على الصلوات، قال رسول الله ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كلَّ عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**» رواه البخاري.

وكذلك السجود للتلاوة، قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله ـ وفي رواية: يا ويلي ـ أُمر ابنُ آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيتُ فلي النار» رواه مسلم.

ولِما للصلاة من مَزية، فهي ناهية عن الفحشاء والمنكر، وورد في فضلِها وقوةِ حفظِ العبدِ بها قولُ النبي ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله، فلا يطلبنك الله بذمته من شيء، فإنه من أخفر الله في ذمته كبه الله على وجهه في النار» رواه مسلم.

ومما يدفع به المسلمُ كيدَ الشيطان الاستعاذةُ بالله العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعرَاف: ٢٠٠].

وعندما استبَّ رجلان عند النبي ﷺ، فجعل أحدهما تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» متفق عليه.

ومما يُدفع به شرُّ الشيطانِ الرجيم الإكثارُ من قراءة القرآن الكريم، وكلما أكثر العبد من التلاوة حصّن نفسه من الشيطان الرجيم، ومنه سورة البقرة، قال النبي ﷺ: «اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذَها بركة، وتركَها حسرة، ولا تستطيعها البَطَلة» رواه مسلم، ـ والبَطَلة: السحرة ـ ومما يُدفع به شرُّ الشيطانِ قراءةُ آية الكرسي، ولها مزية على غيرها كما في قصة الشيطان مع أبي هريرة رضي الله عنه حين قال له إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وقال له: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربَك شيطان حتى تصبح» رواه البخاري، وكذلك قراءةُ سورة الإخلاص، والمعوذتين،

ويقول عند دخول المسجد كما في الحديث: «**بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال الشيطان: حُفظ مني سائرَ اليوم**» رواه أبو داود.

ومما يَدفع كيدَ الشيطان عمومُ ذكر الله، فالشيطان يَخْنَس إذا سمع ذكر الله، قال النبي ﷺ: «**إذا قال المؤمن: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مائة مرة في أول يومه، كان ذلك حرزاً له من الشيطان في يومه، وكانت كعتق عشر رقاب، وكتب الله له مائة حسنة**» متفق عليه.

وذِكْرُ الله عند دخول المنزل حافظ لأهله، قال النبي ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عَشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء**» رواه مسلم، وذِكْر الله عندما يأتي الرجل أهله حافظ للذرية، فإذا قال: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فرزقا ولداً لم يضره الشيطان**» رواه البخاري، وفي مسلم: «**فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبداً**».

ولأهمية ذكر الله في حفظ العبد، سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبيَّ ﷺ قال: «**يا رسول الله! مُرني بكلمات أقولهن إذا أصبحتُ وإذا أمسيت، قال: قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ كلِّ شيء ومليكَه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه قال: قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**» رواه أبو داود.

والدعاء سبب لطرد الشيطان، قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ

﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧] أي: نخساتِهم لبني آدم، ليَحثُّوهم على فعل المعاصي، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨] أي: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أي أمر من أموري، سواءً كان ذلك وقتَ تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النّحل: ٩٨] أو عند حضور الأجل، أو في أي شان من شؤون حياتي.

ومما يدفع الله به شرَّ الشيطان شهودُ مجالس الخير والعلم، فهي مجالسُ مباركةٌ، تتنزل فيها السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة.

فاحرص على تحصين نفسك، وتعليمِ أهلك بما يكون فيه حفظٌ لهم في دينهم، ودنياهم، والفوزُ بنعيم الآخرة.

فاللهم أحفظنا بحفظك من الشياطين، وهمزاته، واتباع خطواته، واجعلنا من حزبك المفلحين، ومن عبادك المخلَصين.

صلوا وسلموا..

❖ ❖ ❖

أسباب تفريج الكربات

لما أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض لقي مُعاناةَ الحياة وشدّتَها، بعد نَعيم الجنة وراحتِها، فأصبح الإنسان يعيش في هذه الدنيا مكابداً، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البَلَد: ٤]، فتارة يسعد، وتارة يحزن، وتارة يرتفع، وتارة يضع، والدنيا لا تصفو لأحد في تقلباتها.

وتفريج الهموم، وتنفيسُ الكروب بِيَدِ علّامِ الغيوب سبحانه، فقد نجّا نوحاً عليه السلام ومن آمن معه من عذاب عظيم لم يشهد التأريخ له مثيلاً، قال سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وكذا موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٥]، ونجّا خليلَ الله إبراهيم عليه السلام من النار حين أُلقى فيها، فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه، ونبيُّنا محمد ﷺ لاقى شدائدَ وصعاباً عديدة، في مكة وعند الهجرة وبعدها.

وتفريج الكروب التي يَقْدِر عليها البشر من شيم الرجال الأوفياء، كما وصفت خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ حين نزل الوحي عليه أول مرة فقالت له: «**كلا، واللهِ، لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل**، إلى أن قالت: **وتعين على نوائب الحق**» متفق عليه. وهذه من صفات النبي ﷺ مع أمته في حياته.

وقد دل القرآن الكريمُ، والسنةُ النبويةُ على أسبابٍ تعين على تفريج الكروب ـ بعد إذن الله بها ـ.

أولاها وأهمها: توحيد الله، وتعلقُ القلبِ به في الشدة والرخاء، لذا صيغ الدعواتِ وذِكْرِ الله هي صيغ توحيدٍ لله ﷻ، قال سبحانه عن نوح: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [الصَّافات: ٧٥]، وقال سبحانه خطاباً لأهل مكة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعَام: ٦٤]، والله ﷻ اختص بذلك وحده: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النَّمل: ٦٢].

وقد وقع كثير من المشركين في سؤال الأموات وهم رميم، قد أكل الدودُ لحومَهم، وأصبحت عظامُهم نخرةً، قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: «الاستغاثة في تفريج الكربة لا تجوز ذلك من ميت، ولا غائب، ولا من حي حاضر إلا فيما يقدر عليه خاصة»، وقال ابن القيم رحمه الله: «التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كُرَب الدنيا وشدائدِها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥].

وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدِها، ولذلك فزع إليه يونسُ فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباعُ الرسل فَنَجوا به مما عُذب به المشركون في الدنيا وما أُعد لهم في الآخرة، ولما فَزِع إليه فرعونُ عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه، لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل، هذه سنة الله في عباده.

فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يُلْقي في الكُرَب العِظَام إلا الشرك، ولا ينجى منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها، وحصنها وغِياثها».

ثانيها: أداء الصلاة، فقد كان النبي ﷺ: «إذا حزبه أمر ـ أي:

أهمه ـ صلى» رواه أبوداود، فالصلاة مزيلة للهموم والغموم، وقد وصى المولى بها، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣]، وفي حديث خسوف الشمس قال النبي ﷺ: «**إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يريهما عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة**» رواه البخاري.

السبب الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر، خيرِه وشرِه، حُلْوِهِ ومُرِّه، فالمؤمن يتلقى الآلام والأوجاع بثباتِ قلب، وصبرٍ جميل، محتسباً الأجر والثواب من الله، عملاً بقول النبي ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**» رواه مسلم.

السبب الرابع: المداومة على ذكر الله ﷻ، قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٩٧-٩٨] لِمَا في ذكر الله من طمأنينةٍ للقلب، وراحةٍ للنفس، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر قال: «**لا إله إلا الله رب العرش الكريم**» رواه مسلم، ويقول: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» رواه الترمذي، وكان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**» متفق عليه.

السبب الخامس: دعاء الله والتضرعُ إليه، فالكرب الذي لاقاه نوح عليه السلام هو الخوف الحاصل من الغرق، أو أنه تكذيبُ قومِه وأذاهم، وكانت نجاته ومن معه بدعاء ربه حين دعا فقال: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصَّافات: ٧٥-٧٦]، وكانت نجاته

ومن معه بدعاء ربه حين دعا فقال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١٠-١١]، وكان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم**» رواه البخاري.

وفي قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرةُ توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة في الدعاء، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحةً لله، فادعوا الله تعالى بها، لعل الله يفرجها عنكم» رواه البخاري، فاستجاب الله لهم، ونجاهم من كربتهم.

اللهم اشرح صدورنا، ويسر أمورنا، وفرج همومنا، ونفس كروبنا.

الخطبة الثانية

من أسباب تفريج الكربات: السعي في مصالح المسلمين وتفريجِ كرباتهم، قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**» أخرجه مسلم.

وورد عند أحمد: «**من فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة**»، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكربة: هي الشدة العظيمة التي تُوقع صاحبَها في الكرب، وتنفيسها أن يُخفَّف عنه منها، مأخوذ من تنفُّس الخِناق، كأنه يُرخِي له الخناقَ حتى يأخذَ نَفَساً، والتفريج أعظم من ذلك، وهو أن يزيل عنه الكربة، فتفرج عنه كربته، ويزول همّه وغمّه، فجزاء التنفيس التنفيس، وجزاء التفريج التفريج».

وتفريج الكربة تارة ببذل المال إن كانت كربته من حاجة، أو بذلِ جاهه في طلبه له من غيره، أو قرضِه، وإن كانت كربته من ظُلم ظالم له فرَّجها بالسعي في رفعها عنه أو تخفيفِها، وإن كانت كربةَ مرضٍ أصابه أعانه على الدواء إن كان لديه أو طبيبٍ ينفعه، وبالجملة فتفريج الكرب باب واسع، فإنه يشمل إزالةَ كلِّ ما ينزل بالعبد أو تخفيفُه.

ويدخل فيها أيضاً ما ذكره النبي ﷺ بقوله: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع له**» رواه مسلم.

فالصدقة والبر والإحسان سببٌ في تفريج الكربات، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه.

فرج الله هَمَّ المهمومين، ونفَّس كرب المكروبين، ورزقهم الصبر، وأعظم لهم الأجر.

الرؤى والأحلام

الرؤيا مبدأُ الوحي، وأصدقُ الناس رؤيا أصدقُهم حديثاً، وعند اقتراب الزمان لا تكاد تَكْذِب، قال النبي ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن» رواه البخاري، وذلك لبعد العهد عن النبوة وآثارِها، فيتعوض بالرؤيا، و«لم يبق من النبوة إلا المبشرات» رواه البخاري، وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تَكْذب، قال النبي ﷺ لأصحابه ـ بشأن ليلة القدر ـ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر، فمن كان مُتحَرّيها، فليتحرّها في العشر الأواخر من رمضان» رواه البخاري.

ورؤيا الأنبياء وحي، فإنها معصومة من الشيطان، ولذا أقدمَ الخليلُ على ذبح ابنهِ إسماعيلَ عليهما السلام بالرؤيا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، والرؤيا يراها الأنبياء عليهم السلام وغيرُهم، فقد رأى يوسفُ عليه السلام رؤياه، كما ذكرها الله: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

ونبينا ﷺ رأى رؤىً عديدةً في الهجرةِ وبدرٍ وغيرهما، قال النبي ﷺ: «رأيت في المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت فى رؤياي هذه أنى هززت سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقراً والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير

بَعْدُ، وثوابُ الصدق الذي آتانا الله بَعْدَ يوم بدر» متفق عليه، وقد قال سبحانه في بدر: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣].

ولأهمية الرؤى، فقد أفردها المصنفون في مصنفاتهم، كما في صحيح البخاري «كتاب التعبير»، ومسلم «كتاب الرؤيا»، بل إن الإمام البخاريَّ رحمه الله من أسباب جمعه الأحاديث المسندة الصحيحة، أنه رأى في المنام رسولَ الله ﷺ، وكأن البخاريَّ واقفٌ بين يديه، وبيده مُرْوحة يَذُبُّ بها عنه، فظهر من تعبيره أنه يَذُبُّ عن رسول الله ﷺ الكذب.

ولأهمية الرؤيا في حياة النبي ﷺ كان يقول لأصحابه رضي الله عنهم، «من رأى منكم رؤيا فليقصها أُعبِّرْها له» رواه البخاري، وإذا صلى النبيُّ ﷺ الصبحَ أَقْبلَ على الصحابة رضي الله عنهم فقال: «هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا» رواه مسلم.

وجميع أوقات النوم زمن للرؤيا، قال ابن حجر رحمه الله: «إن رؤيا النهار مثلُ الليل»، وقد بوب البخاري رحمه الله باباً لذلك، وساق ابنُ حجر رحمه الله قولَ القيرواني رحمه الله: «إنه لا فرق في حُكم العبارة بين رؤيا الليل والنهار، وكذا رؤيا النساء والرجال».

والرؤى والأحلام لا تحد بسن ولا دين، وقد بوب الإمام البخاري باباً سماه: «باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك»، وأورد قصة يوسف مع السجناء ورؤاهم: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

ثم اعلموا أن من الرؤى ما هي منبهه، ودافعة للمرء على أداء العبادة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه انه رأى رؤيا فقصها لحفصة رضي الله عنها،

فقال النبي ﷺ: «**نعم العبد عبد الله، لو كان يصلي من الليل**، قال سالم: **فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً**» متفق عليه.

وقد تكون منبهةً لأهل بلد معين، كما في رؤيا عزيزِ مصر حين قال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ [يُوسُف: ٤٣]، فأعلمهم يوسف عليه السلام بأنهم سيمرون على مرحلة رخاءٍ ورغدِ عيش، ثم تأتي سنينَ عجافٌ، ثم يعود الخير مرة أخرى.

وأما تحقق الرؤيا فقد تكون قريبة، وقد تكون بعد أمد، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير رؤيا يوسف عليه السلام: «إنها تحققت بعد أربعين سنة، وقيل: ثمانين».

ورؤيا النبي ﷺ دخولَه مكةَ في قوله: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ [الفَتْح: ٢٧]، فذهب النبي ﷺ والمسلمون فصُدُّوا عن البيت، فقال عمر رضي الله عنه: أوليس كنت تُحدِّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: **بلى، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟ قال: قلت لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به**» رواه البخاري، وتحققت هذه الرؤيا بعد نزول الآية بعشرة أشهر.

وفقنا الله لطاعته...

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم..

الخطبة الثانية

قسَّمَت السنة المطهرة المناماتِ إلى ثلاثةِ أنواع:

النوع الأول: رؤيا، قال النبي ﷺ: «الرؤيا من الله» متفق عليه، وفي رواية البخاري: «الرؤيا الصادقة من الله»، وفي رواية مسلم: «الرؤيا الصالحة من الله»، وإذا رأى أحد رؤيا فليحدث بها من يحب قال النبي ﷺ: «إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يُحب» رواه مسلم، وليحمد الله عليها قال النبي ﷺ: «فإذا رأى أحدكم ما يحب فليحمد الله، ولا يحدث بها إلا من يحب» رواه الدارمي، قال ابن حجر رحمه الله: «والحكمة في ذلك، أنه إذا حدَّث بالرؤيا الحسنة من لا يحب، قد يفسرها له بما لا يحب، إما بغضاً وإما حسداً، فقد تقع عن تلك الصفة، أو يتعجل لنفسه من ذلك حزناً ونكداً».

والثاني: حديث النفس، قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا على ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والشيء يُحدِّث به الإنسان فيراه في منامه» رواه النسائي.

والثالث: الأحلام، وهي تحزين وتخويف من الشيطان، قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله، والحُلُم من الشيطان، فإذا حَلَم أحدكم حُلماً يخافه، فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره» رواه البخاري وعند مسلم قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»، وفي رواية عند مسلم أيضاً: «فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقم، فليصل، ولا يحدث بها الناس»، وحقيقة هذه الأحلام ذكرها النبي ﷺ بقوله: «إنها أهاويلُ من الشيطان، ليَحْزُن ابنَ آدم».

وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا رسول الله! إني حَلَمت أن رأسي قُطع فأنا اتبعه، فزجره النبي ﷺ وقال: لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام**» رواه مسلم.

ولا تقص الرؤى على أي أحد إلا من عُرف بالديانة والأمانة، قال ابن حجر رحمه الله: «ولا يحدث بها إلا لبيباً، أو حبيباً، ولا يقصها إلا على عالم، أو ناصح».

ولا تَقصَّ الرؤيا إلا على من تحب، وهي على رِجْلِ طائرٍ ما لم تُعبَّر، فإذا عُبِّرت وَقَعت.

وعلى المعِّبر أن يتقى الله فيمن أهمَّتْهُ رؤيا، أو أحزنه حُلْم، ولا يكون همه الظهور، أو جلبَ المال، بل يعبِّرها كما كان يعبرها عمر رضي الله عنه إذا قُصت عليه رؤيا قال: «اللهم إن كان خيراً فلنا، وإن كان شراً فلعدونا»، قال ابن القيم رحمه الله: «المفتي والمعبِّر والطبيب، يطلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا فيما يطلع عليه غيرهم، فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره».

ثم اعلموا أن التحصنَ بالأورادِ الشرعية في الصباح والمساء، والمحافظةِ على أداء الصلوات، وذكرِ الله، والنوم عِلى طهارة، وقراءةِ آية الكرسي، أسبابٌ مهمةٌ في بُعد الشيطان عن العبد في منامه، فتنصرف عنه تلك الأحلام، قال النبي ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح**» رواه البخاري.

وفقنا الله لطاعته، وجنبنا معاصيه.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

أنواع العلاج

الدنيا مليئة بالأفراح والأتراحِ، والآمالِ والآلام، وأعظمُ من صبر وصابر على شدتِها ولأْوائِهَا هم رسل الله عليهم السلام، قال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل» رواه أحمد، وفي حديث آخر: «يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشىَ على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة» رواه أحمد.

ولما كانت الصحة والعافية مَغْنماً للإنسان، وأن حياته قد يعتريها أمراضٌ وأسقام أمرنا النبي ﷺ أن نغتنم خمساً قبل خمس وذكر منها: «صحتك قبل سقمك» رواه أحمد.

فالأمراض التي تعتري الإنسانَ نوعان: أمراض قلوب، وأمراض أبدان، ومرض القلب أشد من مرض البدن، قال الله عن حال المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وشفاء مرض القلب بالتوحيد والإيمان، قال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، قال ابن القيم رحمه الله: «والقلب ربما يصدأ، وربما يموت وصاحبه حي».

وأما مرض البدن فيعتري كلَّ إنسان، فقد يكون ملازماً لصاحبه دهراً من الزمن، كما وقع لنبي الله أيوبَ عليه السلام فقد ابتلاه الله سنين عديدة، قيل: ثلاث سنين، وقيل: سبع سنين، وقيل: أكثر، وقد يتعاهد المرضُ صاحبَه بين زمن وآخر، كما وقع لرسولنا ﷺ حين أكل من

الشاة المسمومة عام خيبر، في بداية السنة السابعة من الهجرة، ولما حضرته الوفاة في السنةِ الحادية عشْرةَ قال لعائشة رضي الله عنها: «ياعائشة! ما أزال أجد ألمَ الطعام الذي أكلتُ بخيبر، فهذا أوان وجدْتُ انقطاعَ أبْهَرِي من ذلك السُّم» رواه البخاري، وقد يبتلى المرء بالمرض، ثم يُشفى وهو الأغلب.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى جملةٍ من الأدواء تطرد الداء بإذن الله، قال النبي ﷺ «ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء» رواه البخاري، وقد عكف المصنِّفون على تقصي هذه الأدويةِ النبوية، وأفردوها في مصنفاتٍ خاصة، أو تبويباتٍ في مصنفاتهم، وأثبتت التجاربُ الحديثةُ قوة أَثرِ هذه الأدويةِ النبوية.

فمن هذه الأدوية: وهو الأصل الأصيل، والحبل المتين، كلامُ رب العالمين، مَنْ تمسَّك به نَجا وهُدي، وشُفيَ وكُفي بإذن الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال ﷺ: «عليكم بالشفائين: القرآنِ والعسل» رواه الحاكم، وعندما رُقي سيدُ القوم بفاتحةِ الكتاب من أثَر لدغة شفاه الله، كما في الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «فكأنما نَشِط من عقال، فانطلق يمشي، فلما أخبر رسول الله قال: وما يدريك انه رقية».

ثاني هذه الأدوية : العسل، فقد أخبر المولى سبحانه بأنه شفاء، فقال عز وجل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وقد استُطْلق بطنُ رجل في عهد النبي ﷺ فقال لأخيه: «اسقه عسلاً»، وفي كل مرة يعاود النبيَّ ﷺ فقال النبي ﷺ له: «صدق الله، وكذب بطن أخيك» رواه مسلم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور» وقال النبي ﷺ: «الشفاء في ثلاثة: شرطةِ

محجم، أو شربةِ عسل، أو كيةٍ بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي» رواه البخاري.

ثالث هذه الأدوية: ماءُ زمزم، وهو ماء مبارك، غُسل به جوفُ رسول الله ﷺ، وهو طَعام طُعم، وشِفاءُ سُقم، قال النبي ﷺ فيه: «**ماء زمزم لما شرب له**» رواه ابن ماجه، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول إذا شربه: اللهم إني أسالك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء».

رابع هذه الأدوية: زيت الزيتون، وهو من شجرة مباركة، وثمرها مبارك، قال سبحانه: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾ [النُّور: ٣٥].

ومن الأدوية أيضاً: الحبةُ السوداء: قال النبي ﷺ: «**في الحبة السوداء، شفاء من كل داء، إلا السام**» يريد الموت. متفق عليه.

والأدوية متعددة، كالحجامة، وتمر عجوة العالية، قال النبي ﷺ: «**إن في عجوة العالية شفاء، أو إنها ترياق أول البُكرة**» رواه مسلم.

وكذلك ألبان وأبوال الإبل، كما في الحديث وفيه: «**قدم أناس من عُكَلٍ، أو عرينةَ، فاجتووا المدينة، فأمرهم النبي بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا فلما صحوا..**» رواه البخاري.

وكذلك بذل الصدقة والمعروفِ له أثرٌ في دفع البلاء، كما في حال الكسوف، قال النبي ﷺ: «**فإذا رأيتم ذلك، فادعوا الله، وكبروا، وصلوا، وتصدقوا**» متفق عليه، قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «في الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف، لاستدفاع البلاء المحذور».

كتب الله الشفاء لمرضانا، والعافية لمبتلانا.

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

من أركان الإيمان، الإيمانُ بالقضاء والقدر، والناس في ذلك متفاوتون بين صابر وجازع، وشاكرٍ وراضٍ، وأثنى الله على أيوبَ عليه السلام في صبره وتحملِه فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٤٤]، ومع ذلك كان متأدباً في دعاءه حين قال: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، مع أن ابتلاءه كان كبيراً، وزمنَه طويلاً.

وخليل الرحمنِ إبراهيمُ عليه السلام أَسند المرض إلى نفسه تأدباً مع الله، حيث قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٠] قال ابن كثير رحمه الله: «أسند المرضَ إلى نفسه وإن كان على قدر الله وقضائه وخَلْقه، ولكن أضافه إلى نفسه تأدباً».

ولم يُعرَف عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه اشتكى مرضاً، أو علة، إلا على سبيل الإخبار، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يوعك، فمسِسْته، فقلت يا رسول الله: إنك لتوعك وعكاً شديداً، قال: أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» متفق عليه.

وليعلم المسلمُ أن المرضَ إما كفارةٌ للسيئات، أو رفعةٌ للدرجات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما يصيب المسلمَ من نصب، ولا وصب، ولا همٍّ، ولا حزن، إلا كفر الله بها من خطاياه**» رواه البخاري، وقال في حديث آخر «**ما من مسلم يصيبه أذى، مرضٌ فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرةُ ورقَها**» متفق عليه.

والمرأة التي تُصْرع حينما شكت للنبي صلى الله عليه وسلم حالَها قال: «**إن شئتِ**

صبرتِ ولك الجنة، وان شئتِ دعوت الله أن يعافيك، فقالت: اصْبِرُ، قالت: فاني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها» رواه البخاري.

والدعاءُ سببٌ رئيسٌ بإذن الله في رفع البلاء، وسرعةِ الشفاء، فأيوب ويونس وزكريا عليهم السلام دعوا اللهَ فاستجاب لهم.

فَعلِّقْ قلبَك بالله، فهو الشافي المعافي.

عجل الله بالشفاء لمرضانا ومرضى المسلمين.

صلوا وسلموا....

❖ ❖ ❖

الحقوق والواجبات

الحقوق والواجبات تحث المرء على العمل، وتنظم الحياة، وتحفظ الممتلكات، وتطمْئِنُ النفوس، وترتب الأولويات، ويعلم العامل ثواب عمله، وتحذر العاصي من شؤم صنيعه.

وأعظم الحقوق: حق الله تعالى، وهو الاعتقاد بأنه الواحد الصمد، لا شريك له في أفعاله من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة وغيرها، ولا شريك له في ألوهيته، ونَصِفه بما وصف به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ، وننزهه عما نزه عنه نفسه ونزهه عنه رسوله، ونعلم أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو المتوحد بصفات الكمال، وغاية الجلال والجمال، لا نحصى أبداً ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وقد أمر الله عباده بأعظم الحقوق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، قال سبحانه ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وفي الحديث أن النبي ﷺ «**يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فقلت يا رسول الله: أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا**» متفق عليه.

فمن وحَّد الله وأدى الطاعات ولم يشرك به شيئاً استوجب دخول

الجنة، ونجَى من النار، ففي قصة أبي ذر قال النبي ﷺ: «ذاك جبريل، أتاني فأخبرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: يا رسول الله، وإن زنى، وإن سرق، قال: وإن زنى، وإن سرق» متفق عليه. وهذا يدل على أهمية توحيد الله قولاً وعملاً واعتقاداً.

والحق الثاني: حق النبي ﷺ، فحقه عظيم، فهو المُبلِّغ عن رب العالمين، قَرَن الله طاعته بطاعة رسوله ﷺ، فقال سبحانه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّسَاء: ٨٠]، وقال سبحانه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النُّور: ٥٢]، فجعل الطاعة لله وللرسول ﷺ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده، وأخبر الله أن معصية الرسول ﷺ معصيةٌ له ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

فالواجب: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد اللهُ إلا بما شرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد بين الله في كتابه حقوق الرسول: من الطاعة له، ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، ونَصْره، وتحكيمه، والرضى بحكمه، والتسليم له، واتباعه، والصلاة والتسليم عليه، وتقديمه على النفس والأهل والمال، وردِّ ما يُتنازع فيه إليه، وغيرِ ذلك من الحقوق».

وكما شرّف الله رسولَه الكريمَ فجعل حقه أعظم الحقوق، كذلك شرّف زوجاتِ الرسول ﷺ فجعلهن أمهات للمؤمنين، فأوجب احترامَهن وتعظيمَهن، وحرّم نكاحهن على الرجال، إكراماً لرسول الله ﷺ، وحفظاً لحرمته في حياته وبعد وفاته، قال سبحانه ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

وحق الصحابة على الأمة كبير، فهم خير الخلق بِعد الأنبياء عليهم السلام، لا كان ولا يكون مثلُهم، فنُنزلهم منزلتهم، ونُظهر محبتَهم،

والثناءَ عليهم، والترضيَ عنهم، والذبَّ عنهم، ونعرف أخبارَهم، وأحوالَهم، ونمسك عما شجر بينهم، فكل مؤمن آمن بالله فللصحابة ﷺ الفضل إلى يوم القيامة، بلَّغوا الدين، وجاهدوا في سبيل رب العالمين.

والمؤمن من قرابة الرسول ﷺ له حق المحبة وفضلُ القرابة، وصَّى بهم النبي ﷺ فقال: «وأهلْ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» رواه مسلم.

وأعظم حق بعد حق الله تعالى حق الوالدين، فقد أمر الله بعبادته وتوحيده، وقَرَن بذلك الأمرَ بالإحسان إلى الوالدين، قال ﷻ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣]

وأجْمَل الله معاملة الوالدين حال قوتهما وضعفهما فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣-٢٤]. وأقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما، قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» رواه مسلم، وفي حديثٍ قال الرجل ما جئتك حتى أبكيتهما، يعني والديه فقال النبي: «ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما»، وجاء معاويةُ بنُ جاهِمَةَ السُّلَميُّ ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله! أردت الغزو، وجئتك أستشيرك، فقال هل لك من أُم؟ قال: نعم، فقال: الزمها فإن الجنة عند رجلها» رواه ابن ماجه.

وحق القرابة وصى به الله في ثالث الحقوق العشر، فقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النِّساء: ٣٦]،

قال ابن كثير رحمه الله في قوله ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: «يعني الذي بينك وبينه قرابة»، ومعناه: الأمر بالإحسان لذي القربى، وإيتائِهم حقوقَهم من البر والصلة، قال سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦] ويفضل المعروف لهم عن غيرهم، قال رسول الله ﷺ «**الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي القرابة اثنتان: صلة، وصدقة**» رواه احمد.

والحق الخامس: هم اليتامى الذين فقدوا آباءَهم وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، بكفالتهم وبرهم، وملاطفتهم في القول والعمل، وجبرِ خواطرهم، وإحسان تربيتهم، وتأديبهم على أكمل وجه، والحرص عِليهم في مصالح دينهم ودنياهم، سواء كانوا أقاربَ أو غيرَهم، قال سبحانه ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النِّسَاء: ٣٦] ورتَّب النبي ﷺ لكافل اليتيم أجراً وافراً فقال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعيه السبابة والوسطى**». رواه البخاري، قال المناوي رحمه الله: «أي الكافل في الجنة مع النبي لا أنه في درجته، أو المراد في سرعة الدخول، أو هو إشارة إلى الانضمام والاقتراب»، ونهى الله عن أكل أموال اليتامى بغير وجه حق، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وتوعد الله من أكل ماله بغير وجه حق في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ﴾ [النِّسَاء: ١٠].

ومن الحقوق حق المساكين، أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية من يعولون، فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بدفع فاقتهم، والقيام بما يسد حاجتهم من الصدقة أو الزكاة، فَهُم أهل لها، قال سبحانه ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ورغَّب النبي ﷺ في السعي في مصلحة المسكين فقال: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائمِ الليل والصائمِ النهار**» رواه البخاري، وفي مسلم «**كالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**».

ومن الحقوق: حق الجوار، بدأ الله بالجار الذي بينك وبينه قرابة، فقال سبحانه ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النِّسَاء: ٣٦] فله على جاره حق وإحسان، والثاني: الجار الذي لا تربطك به قرابة وهو ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

والجار له حق مؤكد وصَّى به جبريلُ عليه السلام النبي ﷺ فقال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه ليورثنه**» متفق عليه، وقال النبي ﷺ لأبي ذر: «**يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**» رواه مسلم، ونهى الإسلام عن أذية الجار بقول أو فعل، قال رسول الله ﷺ «**لا يمنع جارٌ جارَه أن يغرز خشبه في جداره**» متفق عليه، وكلما كان الجار أقرب مكاناً كان حقه آكد، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية، والصدقةِ إنْ كان أهلاً لها، ودعوتَه لأفراحه، والنصحَ له بأجمل عبارة وألطفِ كلمة.

ومن الحقوق التي أمر الإسلام بها: حق الصاحب بالجنب، قال سبحانه ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النِّسَاء: ٣٦] قيل: هو الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل: الصاحب مطلقاً، فيشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة.

فكل صاحب على صاحبه حق في أمور دينه ودنياه، من النصح له، وبذلِ المشورة، والوفاءِ معه في الشدة والرخاء، وأن يُحبَّ له ما يحب لنفسه، ويكرَه له ما يكره لنفسه.

ومن الحقوق التي ذكرها الله ﷻ حق ابن السبيل كما قال:

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١] وهو: المسافر الغريب الذي تقطعت به السبل، فليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطَى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده، وإن كان له مالٌ فحقه على المسلمين حق البذلِ والعطاء.

وقد نهى النبي ﷺ عن منع ابن السبيل حاجته، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل..**» رواه مسلم، أما مانع الماء من ابن السبيل فلأنه مَنَعه حقَّه، وعرَّضه للهلاك ولذا استحق الوعيد، قال النبي ﷺ: «**فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي، كما منعت فضلَ ما لم تعمل يداك**» رواه البخاري.

ومن الحقوق أيضاً: ملك اليمين، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [النِّسَاء: ٣٦]، والمقصود بهم العبيد والأرقاء، ونَسَبَ المُلك إلى اليمين لأنها جارحة البطش والتغلب والتملك، وصى الله بهم لضعف حيلتهم، وأسْرهم في أيدي الناس، وحقُّهم إعانتهم على ما يتحملون، وعدمُ تحميلهم ما يَشُقُّ عليهم، وعدمُ أذيتهم بقول أو بفعل، ويكون تأديبهم لما فيه مصلحتهم، ويدخل في ذلك تحريرهم من الرق بعتقهم، وحسنُ معاملتهم في الخدمة، والقيامُ بكفايتهم، قال النبي ﷺ: «**إخوانكم خَوَلكم ـ أي خدمكم ـ، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**» متفق عليه. وقال النبي ﷺ أيضاً: «**للمملوك طعامه، وكسوته، ولا يكلَّف من العمل إلا ما يطيق**» رواه مسلم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الإسلام بتشريعاته السمحة، الحقوقُ فيه متنوعة، فالحقوق تتنوع بين الراعي والرعية، وبين أفراد الأسرة، قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» رواه البخاري.

ومن الحقوق: حق الزوج على زوجته من المعاشرة بالمعروف، وأن تطيعه في غير معصية، وأن تحفَظه في نفسها وماله، قال شيخ الإسلام: «وليس على المرأة بعد حق اللّه ورسوله أوجبُ من حق الزوج»، ولعِظَم حق الزوج قال النبي ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدي المرأةُ حقَّ اللهِ ﷻ عليها كلَّه حتى تؤدي حق زوجِها عليها كلَّه، حتى لو سألها نفسَها - أي الوطء - وهي على ظهرِ قَتَب ـ أي بعير ـ لأعطته إياها» رواه احمد. وإذا التزمت بحق الله، فأدت الفرائض، وصامت رمضان، وأطاعت زوجها في معروف، فلها ثواب عظيم، واجر كبير.

وحق الزوجة على زوجها: أن يعاشرها بالمعروف سأل رجل رسول الله ﷺ: «ما حق المرأة على الزوج؟ فقال: أن يطعمها إذا طعم، وأن يكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِّحْ، ولا يهجر إلا في البيت ـ أي المضجع ـ» رواه ابن ماجه، وإن كان معدداً فليعدل في المبيت والنفقة.

والحقوق تتنوع بين القريب والبعيد، فحق الولد على والده حسن التسمية، قال النبي ﷺ: **«إن أحب أسمائكم إلى الله عبدالله وعبدُالرحمن»** رواه مسلم، ويجتنب الأسماءَ القبيحةَ والمذمومة، وأن يراعيَ فيهم حقَّ الله، من حسن التربية، وكريم الملاطفة، قال النبي ﷺ: **«من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»** رواه البخاري، وأن يأمرَهم بأوجب الأعمال بعد الشهادتين وهي الصلاة، قال رسول الله ﷺ **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»**. رواه أبو داود.

ومن الحقوق: حق ولي الأمر، وهو السمع والطاعة في المعروف، والنصح، والدعاء له، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع و الطاعة، في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمرَ أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم» رواه البخاري.

وحق الأُجَراء: حقٌ متفق عليه، لا يجوز الإخلال به بين صاحب العمل والعامل.

الحقوق كثيرة بين المسلمين، قال رسول الله ﷺ: **«حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن يا رسول الله ؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»** رواه مسلم.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

العوامل الموجبة لمحبة الله

الله ﷻ يُحِبُّ ويُحَبُّ، قال سبحانه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: ٥٤]، فهو يحب عباده المؤمنين وهم يحبونه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اتفق سلف الأمة وأئمتُها وسائرُ أهل السنة وأهلِ المعرفة أن الله نفسه يُحِبُّ ويُحَبُّ».

ومحبته سبحانه لمن شاء من عباده موافقة لأمره ونهيه، فيحب من شاء من عباده ممن اتصفوا بصفات جليلة وأعمال حميدة:

فالله سبحانه ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المَائدة: ٩٣]، و﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجرَات: ٩]، و﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٧٦]، و﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، و﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤]

والمؤمنون يحبون الله حب شديداً أشدَّ من محبة المشركين لآلهتهم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥].

وأهم ما يتوصل به المرء إلى محبة الله هي محبة رسول الله ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، ومحبته ﷺ بلزوم هديه واتباع سنته، ويقدِّم أوامرَ الله وأوامرَ رسوله ﷺ على هوى نفسه وعلى أمر غيره وعلى نهي غيره كائنًا مَنْ كان، من نفسه وأهله ووالده، قال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» متفق عليه، وقال عمر رضي الله عنه: «يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: لا

والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر» رواه البخاري.

ومن كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما سينعم بحلاوة الإيمان، قال النبي ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه، وحلاوة الإيمان هي التلذذ بالطاعة، وطمأنينةُ القلب، وانشراحُ الصدر.

ومحبة الله متنوعة للأماكن، والأشخاص، والفئات من الناس.

فيحب الله مكة، قال النبي ﷺ «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت» رواه الترمذي. ويحب الله المساجد، قال رسول الله ﷺ «أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» رواه مسلم، قال القاضي عياض رحمه الله في سبب المحبة: «لأنها بيوت خُصت بالذكر، وبُقعٌ أسست للتقوى والعمل الصالح».

ويحب الله أشخاصاً بعينهم كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال النبي ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلُّهم يرجوه، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به» رواه البخاري.

وبعث النبي ﷺ رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ

فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه» متفق عليه.
قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه؛ لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده».

وأحب الأديان إلى الله الحنيفية، قال النبي ﷺ «أحب الأديان إلى الله الحنيفية» رواه أحمد، قال ابن حجر رحمه الله: «والمراد بالأديان الشرائعُ الماضيةُ قبل أن تبدل وتنسخ، والحنيفية: ملةُ إبراهيم، والحنيف، في اللغة: من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفاً لميله عن الباطل إلى الحق، لأن أصل الحنف الميل».

ومن أحب الأنصار أحبه الله، قال النبي ﷺ «لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله» رواه مسلم، قال النووي رحمه الله عن محبة المرء للأنصار: «من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك».

ويحب الله من الأسماء «عبدالله وعبد الرحمن» رواه مسلم، لتضمنهما لوصف المولى بالإلهية والرحمة، ووصف الإنسان بالعبودية والافتقار، ولم يقع في القرآن عبدٌ إلى اسم من أسمائه تعالى غيرُهما، قال عيسى عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مَريَم: ٣٠]، وقال في وصف عباده المؤمنين ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفُرقان: ٦٣]، وهما أيضاً أصول الأسماء الحسنى.

وأهم عمل يوجب محبة الله أداء الفرائض، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت

عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري.

وأداء النوافل سبب لمحبة الله، قال النبي ﷺ «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً، ويفطر يوماً» البخاري.

وزيارة المسلم لأخيه المسلم في الله سبب لمحبة الله، قال النبي ﷺ: «إن رجلا زار أخاً له في قرية أخرى، قال: فأرصد الله على مدرجته ملَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، فقال له: هل له عليك من نعمة تَربُّها؟ قال: لا، غير أني أحبه في الله، قال: فإني رسول الله إليك أن الله ﷻ قد أحبك كما أحببته فيه» رواه مسلم.

ويحب الله من يصلي الفريضة في وقتها، ومن يبرُّ بوالديه، ومَن يجاهد في سبيله، سأل ابن مسعود النبي ﷺ: «أي العمل أحب إلى الله ﷻ؟ قال: «الصلاة لوقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، ثم قلت أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» متفق عليه.

وكلما كثر المصلون كان ذلك أحبَّ إلى الله تعالى، قال النبي ﷺ: «وإن صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كثر فهو أحب إلى الله تعالى» رواه أبو داود.

ويحب الله من الذكر أربعاً، قال النبي ﷺ: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت» رواه

مسلم، وقال النبي ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» متفق عليه.

ودوام العمل الصالح أحب الأعمال إلى الله وإن قَل، قال النبي ﷺ «وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل» رواه البخاري.

وأداء العمل الصالح في عشر ذي الحجة أحب إليه سبحانه من غيره، قال رسول الله ﷺ «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام ـ يعنى أيام العشر ـ قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» رواه أبو داود.

وأحب المكاسب ما كان من عمل اليد، لتعُفَّ به النفس عن السؤال، قال النبي ﷺ «ما أكل أحد منكم طعاماً أحبَّ إلى الله ﷻ من عمل يديه» رواه احمد.

وخير المكاسب ما كان من عمل اليد، قال النبي ﷺ «إن خير ما أكل المرء من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه، وقد كان أنبياء الله عليهم السلام يعملون بأيديهم، فداود عليه السلام كان يصنع الدروع، قال سبحانه ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وزكريا عليه السلام نجاراً ـ كما في صحيح مسلم ـ، وما من نبي إلا ورعى الغنم، قال النبي ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» رواه البخاري

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ثمرة محبة الله للعبد يجدها في الدنيا قبل ثواب الآخرة، قال النبي ﷺ: «إذا أحب الله عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض» رواه مسلم.

ولأهمية محبة العبد لربه عليه أن يسأل الله ذلك، قال ابن القيم رحمه الله: «ومن أفضل ما سُئل اللهُ عز وجل حبَّه، وحبَّ من يحبه، وحُبَّ عملٍ يقرب إلى حبه».

وإذا أحب الله العبد أدخله الجنة، فقد كان رجل من الأنصار يؤم الناس في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورةً يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] حتى يفرغ منه، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان! ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟، فقال: إني أحبها، فقال: حبك إياها أدخلك الجنة» رواه البخاري.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

عقوبات الأمم السابقة

أرسل الله ﷻ رسله عليهم السلام مبشرين ومنذرين، فمن أطاعهم أفلح وفاز، قال سبحانه: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعَام: ٤٨]، ومن عصاهم خاب وخسر وعُذب، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعَام: ٤٩]، فالنار عذابه لمن خالفه، والجنة فضله لمن أطاعه.

وقد حاز رسلُ الله عليهم السلام الخُلُق الرفيعَ في العمل والمعاملة، فلا يسألون الناس أجراً، ولا يطلبون متاعاً، قاموا بالرسالة حق القيام، قال النبي ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك**» رواه ابن ماجه، وقال أبي ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكرنا منه علماً» رواه الإمام أحمد.

رسل الله عليهم السلام صبروا في الدعوة، وتحملوا الأذى، وأصيبوا بالجراح، ومنهم من قُتل، قال الله عن فعل اليهود: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ [البَقَرَة: ٨٧] مثل تكذيبهم لعيسى ومحمد عليهما السلام، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٧] مثل قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام.

رسل الله عليهم السلام مكثوا في التبليغ دهراً من الزمن، فنِيَت أعمارهم في هذه الغاية العظمى، فنبينا عليه السلام مكث في الدعوة قرابة ربع قرن، ونوح عليه السلام مكث عشرة قرون إلا خمسين عاماً، وتنوعت وسائل وأساليب وزمن الدعوة، فهي بالليل والنهار، والسر والجهار، دون أن ينظروا إلى كثرة

الأتباع، قال رسول الله ﷺ: «**عرضت علي الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد**» متفق عليه.

وما من أمة إلا بعث الله إليهم رسولاً، قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧] يبعث إليهم خاصة، قال سبحانه عن نوح عليه السلام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وكذلك بقية أنبياء الله عليهم السلام صالحٌ وشعيبٌ وهودٌ وغيرهم بُعثوا إلى أقوامهم خاصة، وأما نبينا محمد ﷺ بعث إلى الناس عامة، قال سبحانه ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وفُضِّل النبي ﷺ على الأنبياء عليهم السلام بأنه «**أرسل إلى الخلق كافة**» رواه مسلم.

وأخبر الله أن الغاية من مبعث الرسل عليهم السلام إلى أقوامهم إقامة الحجة، قال سبحانه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فمن أطاعهم حصل له النعيم، ومن كابر وعاند وردَّ الحق فإن العذاب حالٌّ لا محالة، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] أي: لم يعذبوا حتى يَبعث إليهم رسلاً ينذرونهم، وكقوله سبحانه ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ولا يلقى في النار إلا من أرسل إليهم رسول فكذبوه، فخزنة النار تسأل الكفار ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [المُلك: ٨-٩].

ونزول العذاب على الأمم المكذبة هو بحكمةٍ من الله عز وجل على من استحقه، لا لأحد من الأنبياء له فيها تعجيل، فلما كذب وعاند المشركون النبي ﷺ وطلبوا تعجيل العذاب، بيَّن لهم أنه ليس بيده ذلك ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٨]، وكقول الله:

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هُود: ٨]، وقد قال قوم نوح لنبيهم مثل ذلك ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هُود: ٣٢]، وكقول قوم صالح لنبيهم: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعرَاف: ٧٧].

وعذاب الله لنزوله موعد ولو أبطأ، قال تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هُود: ١٠٤]، وإذا أمر الله به فإنه لا يؤخر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نُوح: ٤].

وإذا كتب الله على قوم الهلاك فالعذاب قادم لا محالة، قال سبحانه ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحَجّ: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هُود: ٨].

وعذاب الله إذا نزل ليس للبشر في صده قوة ولا حيلة، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ [المعَارج: ١-٢]

ونزول عذاب الله قد يأتي بغتة دون مقدمات، ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العَنكبوت: ٥٣]، أو بمقدمات ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعَام: ٤٧].

وقد يأتي العذاب في الليل حال نومهم، أو في النهار حال لعبهم، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعرَاف: ٩٧-٩٩].

وإذا نزل العذاب فلا يجدي الفرار والهرب، قال سبحانه ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [الأنبيَاء: ١١-١٢]، فقالت الملائكة لهم ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ

﴿مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبيَاء: ١٣]؛ فلما عاينوا العذاب قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٤]

ولا تنفع التوبة والرجوع عند نزول العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ۞ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥].

وإذا نزل العذاب على الأمم المكذبة أَهْلَكَ الجميعَ فلا ينجو منه أحد، قال سبحانه عن قوم لوط ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحِجر: ٦٦] أي: مستأصَلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد، وإذا نزل العذاب بالأُمة لم يبقي لهم أثر، قال الله عن قوم شعيب: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾ [الأعرَاف: ٩٢] أي: كأن لم يعمروها ويقيموا فيها زمناً طويلاً.

وأنواع العذاب على الأمم يتنوع كما يشاء سبحانه، لما نزل العذاب بأهل الأرض زمن نوح عليه السلام قال سبحانه: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۞ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ [القَمَر: ١١-١٢]، أو بالريح العاتية كقوم عاد ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ [الحَاقَّة: ٧]، ومن قوة هذه الريح تقلعهم من الأرض المُنْدسِّين فيها وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فتَبِيْن الرأسَ عن الجسد، كأنهم أعجاز نخل منقعر، وقد يعذب الله المكذبين بالصيحة العظيمة ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحَاقَّة: ٥]، وقوم لوط أرسل الله عليهم أنواعاً من العقوبات، قال سبحانه: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ۞ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحِجر: ٧٣-٧٤]، وهلاك فرعون بالماء لمن بعده آية، قال سبحانه: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القَمَر: ٤٢]، وهكذا تتنوع العقوبات، ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ [العَنكبوت: ٤٠].

والمشركون إذا ركبوا البحر وتلاطمت بهم الأمواج وأوشكوا على الهلاك، دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون، فبين الله لهم قدرته في تعذيبهم في جانب البر مما يلي البحر بالخسف، أو يرسل عليهم حاصباً، او يعيدهم في البحر مرة أخرى فتغرقهم الأمواج ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٨-٦٩].

ونزول العذاب عليهم جزاءَ تكذيبهم أنبيائهم: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۞ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: ١٢-١٤].

وهناك أقوام بعد قوم نوح وعاد وثمود، وهم خلق كثير، كفروا وكذبوا الرسل، لم يذكرهم الله لنا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]

ويعذب الله الأقوام بكفرهم وتكذيبهم، وكذلك بأعمال مشينة ارتكبوها، قال شعيب لقومه: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال عن قوم لوط: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ [العَنكبوت: ٢٩].

ثم اعلموا أن كل الأمم السابقة الذين كذبوا أنبيائهم حلت عليهم العقوبات، واستثنى الله من الأمم كلِّها قومَ يونس ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨] قال البغوي رحمه الله: «فلما آمنوا أزال الله الخوف عنهم، وآمنهم من العذاب، ومتعهم إلى الأجل الذي أجل لكل واحد منهم».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

ذكر الله هلاك جملةٍ من الأمم الغابرة، منها من أرادت ببيت الله سوء، فحلت بهم العقوبة، وهم أصحاب الفيل، وتوعد الله من أراد بيته الحرام بسوء أو إلحاد بالعذاب الأليم في الآخرة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحَجّ: ٢٥]، وكذلك من أراد بالمدينة أو بأهلها سوء، قال النبي ﷺ: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع، كما ينماع الملح في الماء**» رواه البخاري، وفي رواية مسلم «**من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله**»، لذا فإن عذاب الله إن نزل عم وطم وأهلك، قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢] وقال الله عن قوم فرعون: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزّخرُف: ٥٥] - أي: اغضبونا - ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزّخرُف: ٥٥-٥٦] سلفاً لِمثْل من عمل بعملهم، وعبرة لمن بعدهم.

وقصص هلاك الأمم كان معلوماً لمشركي قريش لقربهم من أهل تلك الديار المكذبة حتى يأخذوا العبرة والعظة ، قال الله عن قوم لوط وشعيب: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحِجر: ٧٩] فديارهم على ظهر الطريق الذي يمرون فيه المعبَّر عنه بالسبيل والإمام، و لما مر النبي ﷺ بالحِجْر ـ وهو لثمودٍ قوم صالح ـ قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قنّع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي**».

فكانت النهاية والنتيجة معهم ومع غيرهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ

لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤]، فالعاقبة والظفر دوماً لأوليائه ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧١-١٧٣]، وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجَادلة: ٢١] وقال ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١].

ثم اعلموا أن هذه الأمة ليست كالأمم السابقة فإذا نزل بهذه عذاباً لا تهلك جميع أمة محمد، وإنما يهلك من أراد الله له الهلاك، قال النبي ﷺ: «وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة» رواه مسلم.

فعلى المسلم أن يعتبر بأحوال الأمم السابقة، فيؤديَ ما يوجب رضوان الله، ويبتعدَ عما يسخط المولى سبحانه، فيؤديَ الفرائض، وينتهيَ عن النواهي، ويقومَ بحق الله في عباد الله على أتم وجه، ولا يغترَّ بإمهال الله للمخالفين لأمره وأمر رسوله ﷺ.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه...

❖ ❖ ❖

خطبة عيد الفطر

الله أكبر (٩ مرات)

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

الحمد لله الذي جعل لنا في أيامنا عيداً، ووهب لنا فيه أجراً مزيداً، مَنَّ به علينا بإكمال شهر رمضان.

ووفقنا فيه بالصيام والقيام، والصدقةِ، والإحسانِ، وتلاوةِ القران، وسائرِ الأقوال والأعمال، فالحمد لله على صيامه وإتمام أيامه، فلك الحمد ربنا أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً.

ونصلي ونسلم على خير خلق الله، محمدِ بنِ عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

في يوم العيد تختلط الأفراحُ بالأتراح، وفي العيد يفرح من حَفِظ صومَه، وقام بالعبادة لمولاه، ويندم من ضيعه ولم يَقْدُرْه قدْرَه.

رَحَل عنَّا بعد أن عشنا أجمل أيام عامِنا، طاعةً وعبادةً، وقربةً وإيماناً، في نهاره صيامٌ، وفي ليلِه قيامٌ، رقَّت فيه القلوبُ للطاعات، وانصرفت النفوس عن الوقوع في الآثام، وعطفت النفوسُ فيه على المساكين، وبُذِلت الأموالُ للمحتاجين، فيا لله ما أجملها من أيام، ويا لله ما أنفسَها من ليالي.

الله اكبر، الله اكبر، لا اله إلا الله، والله اكبر، الله اكبر، ولله الحمد.

مَنَّ الله علينا بأعظم مِنَّة لولاها لما أَدينا الواجبات، ولا انتهينا عن المحرمات، عَبَدْنا الخالقَ، وتراحمت الخلائق، هي نعمة الإسلام، فاحفظوا لهذه النعمة قدرَها، فهي أساسُ بقاءِ بقيةِ النعم، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤]، شرَّفك الله بهذا الدين العظيم، فابذل له وقتَك وجهدَك ومالَك في سبيل نشر تعاليمِه السمحة، وشريعتِه الغراء، قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا يَنقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم.

الله اكبر، الله اكبر، لا اله إلا الله، والله اكبر، الله اكبر، ولله الحمد.

الإسلام يأمر بإخلاص العبادة، وينهى عن الشرك والبدعة والضلالة، يأمر بالمحافظة على الصلوات في الجماعة، حيث تجتمع القلوبُ والأبدانُ للقاء ربها خمسَ مرات في اليوم والليلة، قال الله ﷻ: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٨]، فمن حافظ عليها فهو محفوظ، ومن ضيعها فهو خاسر، قال النبي ﷺ: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً وبرهاناً ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبي بنِ خلف» رواه الإمام أحمد.

الله اكبر، الله اكبر، لا اله إلا الله، والله اكبر، الله اكبر، ولله الحمد

يأمر الإسلام بحسن الخلق مع القريب والبعيد، وخص منهم

صاحبيِّ الفضلِ والجميل، فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسرَاء: ٢٤]، وقد فضل النبي ﷺ برَّهما على الجهاد في سبيل الله، سأل ابن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ: **أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة لوقتها، قال: قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله**» متفق عليه.

في العيد تتقارب القلوب على المحبة، وتجتمع على الألفة والمودة، فرصة للتزاور والتهادي، ومجالٌ رَحْب للتلاقي.

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وسائرَ الأعمال.

أقول قولي هذا..

الخطبة الثانية

الله اكبر (٧ مرات)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

شهرُ رمضانَ تصرمت أيامُه، وطُويت صحائفُه، إلا أن العمر لا يزال فيه بقية، وقد ندبكم نبيُّكم ﷺ لصيام ست من شوال «من صامها مع رمضان، كان كمن صام الدهر كله» رواه مسلم.

وقد كان عمل النبي ﷺ دِيمةً ـ أي دائماً غيرَ منقطع ـ إذا عمل عملاً حافظ عليه، وواظب عليه، وقد سُئل رسول الله ﷺ: «أي العمل أحب إلى الله؟ قال أدومه وإن قَل» رواه مسلم.

بعد شهر رمضان اجعل وِرْداً تقرأ فيه كلامَ ربك، وركعاتٍ يسيرةً في كلٍّ ليلة، واجعل لسانَك رطباً من ذكر الله، ويدَك بالخير باذلة.

في خطبة العيد وجَّه النبي ﷺ موعظةً خاصةً بالنساء، فهن عماد الأسرة، وساعدٌ رئيسٌ في التربية والصلاح، فبصلاحهن صلاحٌ للأسرة وللمجتمع.

أمرهن رسولُ الله ﷺ بتقوى الله في أنفسهن وأزواجهن، وأن يحفظن حدودَهن، «فمن صلَّت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئتِ» رواه احمد.

استمسكي بحجابِك، وليكن ساتراً، وربِّي من استرعاكِ الله عليه، فهي وقايةٌ، وحماية، وعبادة.

أيام العيد أيامُ فرحٍ مباح، وسعادةٌ مشرقة، وإظهارٌ لشكر المُنعِم سبحانه بدون إسراف، ولا تبذير، ولا تباهٍ.

ابتهجوا بعيدكم، وأدخلوا السرور على والدَيكم، وصِلُوا أرحامَكم، وأَفْشُوا السلام، وأطعموا الطعام، تنالوا رضا الرحمن.

ومن هديه عليه الصلاة والسلام إذا كان يومُ العيد خالفَ الطريق بين الذهاب والإياب.

أعاد الله علينا وعليكم من بركات هذا العيد السعيد، وحشرنا وإياكم في زمرة أهل الفضل والمزيد، تقبل الله منا ومنكم الصالحات.

صلوا وسلموا على رسول البرية..

❖ ❖ ❖

خطبة عيد الأضحى

الله أكبر (٩ مرات)

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الحمد لله وفق من شاء من عباده لفعل الخيرات، وتابع لهم مواسم الأعمال الفاضلات، وحثهم على اغتنام الباقيات الصالحات، ووعدهم على ذلك وافرَ الأجر وجزيلَ الهبات، أحمده سبحانه على نعمه التي لا تعد، وأفضالِه التي لا تحد، وأصلي وأسلم على خير عباد الله، محمد ابن عبد الله، عليه وعلى آله وصحابته أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

أما بعد، أيها المسلمون:

إن يومكم هذا يومُ الحجِّ الأكبر، وهو عيد الأضحى والنحر، يقضي الحجاجُ فيه أكثرَ مناسكِ الحج، يرمون الجمرة، وينحرون الهدي، ويحلِقون رؤوسهم، ويطوفون بالبيت، ويسعون بين الصفا والمروة، فلذلك سُمي يومَ الحج الأكبر، فمعظم أعمال الحجيج في هذا اليوم المباركِ تؤدى.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

يومكم هذا سمي بعيد الأضحى والنحر، لأن الناس يُضَحُّون فيه وينحَرون هداياهم، وما عمل ابن آدم يومَ النحر عملاً أحبَّ إلى الله من إراقة دم، وهذه الأضاحي سنةُ أَبيكم إبراهيمَ ونبيِّكم محمدٍ عليهما السلام، وهي سنة مؤكدة فقد «**ضحى النبي ﷺ بكبشين، أملحين، أقرنين، ذبحهما بيده وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما**» متفق عليه، وبعد البسملة والتكبير يقول: اللهم هذا منك وإليك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ في معنى منك ـ: «أي تفضلاً من رزقك وعطاياك، ومعنى إليك: أي تقرباً به إليك وحدك».

وذَبْحُها أفضلُ من الصدقة بثمنها، لما فيها من إحياءِ السنة، والأجرِ العظيم، ومحبةِ الله لها، ويصح للمضحي إشراكُ من يريد في أضحيته من الأحياء أو الأموات.

وعلى المضحي أن يتحقق من إجزاء الأضحية، كسِنِّها حسبَ نوعها، فللإبل خمسُ سنين، وسنتان في البقر، وسنة كاملة في المعز، ونصف سنة في الضأن، وأن تكون سالمةً من العيوب، فلا تجزئ العمياء، والعرجاء، والمريضة، والهزيلة.

وأن تقع في الوقت المحدد للأضحية شرعاً، وهو من الفراغ من صلاة العيد، إلى غروب الشمس من اليوم الثالث بعد يوم العيد، وأفضلها يوم العيد، وكلما كانت الأضحيةُ أكملُ في ذاتها وصفاتها فهي أفضل، فكلوا منها، واهدوا، وتصدقوا، ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحجّ: ٣٦].

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

أقول ما تسمعون، واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين...

الخطبة الثانية

الله أكبر (٧ مرات)

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون:

في يوم عيد الأضحى تجلَّت على الأمة النعم، قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣] أكمل الله لنا هذا الدين، وأتمَّ علينا النعمة، وارتضى لنا هذا الدين، ولن يُقبل من أحد دينٌ سواه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥]، فهو دين شامل كامل، كاملٌ من جهة عبادة الله، وكاملٌ من جهة معاملة عباد الله، وصالح لكل زمان ومكان، واضاءَ بنوره أرجاءَ المعمورة، وتحقق ما قاله النبي ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو ذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» رواه ابن حبان، فعلى المسلم أن يتمسك به، ويدعوَ غير المسلم إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

في خطبة يوم العيد بيَّن النبي ﷺ حرمة الدماء فقال: «إن دماءكم،

وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟» رواه البخاري، فبيَّن في خطبته عِظَم حرمةِ دمِ المسلم، وعِظَم شأنه، بل وبين حقوقاً بين أفراد المجتمع، عامتِهم وخاصتهم، قال النبي ﷺ: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع رِبَانا ـ ربا عباسِ بنِ عبد المطلب ـ فإنه موضوع كلُّه، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» رواه مسلم. فعلى المسلمِ أن يراعيَ حقوقَ عبادِ الله، ويُحسِنَ التعاملَ معهم.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

ثم اعلموا عباد الله: أن أيامَ التشريق قال فيها النبي ﷺ: «أيام التشريق أيامُ أكل وشرب وذكرٍ لله» رواه مسلم، فأكثروا فيها من ذكر الله بالتكبير والتهليل، والتحميد في أدبار الصلوات وفي جميع الأوقات.

واعمروا أيامَكم بالطاعات، ورطِّبوا ألسنتكم بذكر رب البريات.

أعاد الله علينا أعيادنا بالأفراح والخيرات والمسرات.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

❖ ❖ ❖

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

أركان الإسلام و أركان الإيمان ٧

أهمية الشهادتين ٩

فضل الصلاة ١٧

أهمية أداء الزكاة ٢٣

فضل الصيام ٢٨

فضل العشر الأواخر من رمضان ٣٤

فضل أيام العشر من ذي الحجة ٣٨

فضل الحج ٤٢

أركان الإيمان ٤٧

القرآن الكريم ٥٥

فضل القرآن الكريم ٥٧

مراحل جمع وكتابة القرآن الكريم ٦٢

تأملات في سورة الفاتحة ٦٨

تأملات في آية الكرسي ٧٥

تفسير قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ٨٠

تفسير قوله تعالى ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ٨٦

أصحاب الفيل ٩١

أمـور الغيـب ٩٥

تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ ٩٩
الأحاديث النبوية ١٠٣
شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات» ١٠٥
شرح حديث «دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة» ١٠٩
شرح حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله» ١١٦
شرح حديث: «أيُّ العمل أحب إلى الله» ١٢٢
شرح حديث: «أي الأعمال أفضل» ١٢٧
شرح حديث «ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا» ١٣١
شرح حديث «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس» ١٣٦
شرح حديث المرأة السوداء التي تصرع ١٤٠
شرح حديث «صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك» ١٤٥
شرح حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه ١٥٠
شرح حديث «من أصبح منكم اليوم صائماً» ١٥٧
فضل المساجد الثلاثة ١٦٣
فضل مكة المكرمة ١٦٥
فضل المدينة النبوية ١٧١
فضل المسجد الأقصى ١٧٦
العبـادات ١٨١
فضائل يوم الجمعة ١٨٣
الإخلاص ١٨٧
أهمية الدعاء ١٩١
التوبـة ١٩٧
من مواطن حمد الله ٢٠٢
الأسباب الجالبة لرحمة الله ٢٠٦

الاستقامة ٢١٤
الاستخارة ٢١٧
فضل الاستغفار ٢٢٢
أعمال صالحة أجرها مضاعف ٢٢٧
أسباب الاستمرار على العمل الصالح ٢٣٣
سير الأنبياء ٢٣٧
نوح عليه السلام ٢٣٩
إبراهيم عليه السلام ٢٤٤
موسى عليه السلام ٢٤٩
شُعيبٌ عليه السلام ٢٥٤
يوسُفُ عليه السلام ٢٥٩
يونس عليه السلام ٢٦٥
أيوب عليه السلام ٢٦٩
الأحداث والسير ٢٧٣
الهجرة النبوية ٢٧٥
فضل الصحابة رضي الله عنهم ٢٨٢
سيرة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٢٨٨
سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢٩٦
سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٣٠٣
سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٠٧
سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ٣١٢
سيرة أُمِّ المؤمنين عائشةُ بنتُ أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنها ٣١٦
سيرة أبي هريرة رضي الله عنه ٣٢٣
سيرة كعب بن مالك رضي الله عنه ٣٣١

ذكر خبر فرعون ٣٣٧
قصـة قـارون ٣٤٤
يوم عاشوراء ٣٥٠
الغـــزوات ٣٥٧
عوامل النصر ٣٥٩
غزوة بدر ٣٦٥
غزوة أحد ٣٧٥
غزوة الأحزاب ٣٨١
فتح مكة ٣٨٧
الأخلاق والرقائق ٣٩٣
بر الوالدين ٣٩٥
صلة الرحم ٤٠١
أسباب السعادة ٤٠٦
الوفـــاء ٤١٢
عيادة المريض ٤١٧
الكرم ٤٢١
البُخــل ٤٣١
الصلاح ٤٢٦
الرفــق ٤٣٥
الغضب ٤٣٨
داء الحسـد ٤٤١
الفـأل ٤٤٦
متفرقـات ٤٥١
كمال الخالق وأفضل الخلائق ٤٥٣

العوامل الموجبة لمحبة الله ٤٩٩
الرؤى والأحلام ٤٨١
أسباب تفريج الكربات ٤٧٦
الحقوق والواجبات ٤٩١
عداوة الشيطان ٤٦٨
الفتن ٤٥٩
أنواع العلاج ٤٨٦
عقوبات الأمم السابقة ٥٠٥
خطبة عيد الفطر ٥١٣
خطبة عيد الأضحى ٥١٨

❖ ❖ ❖